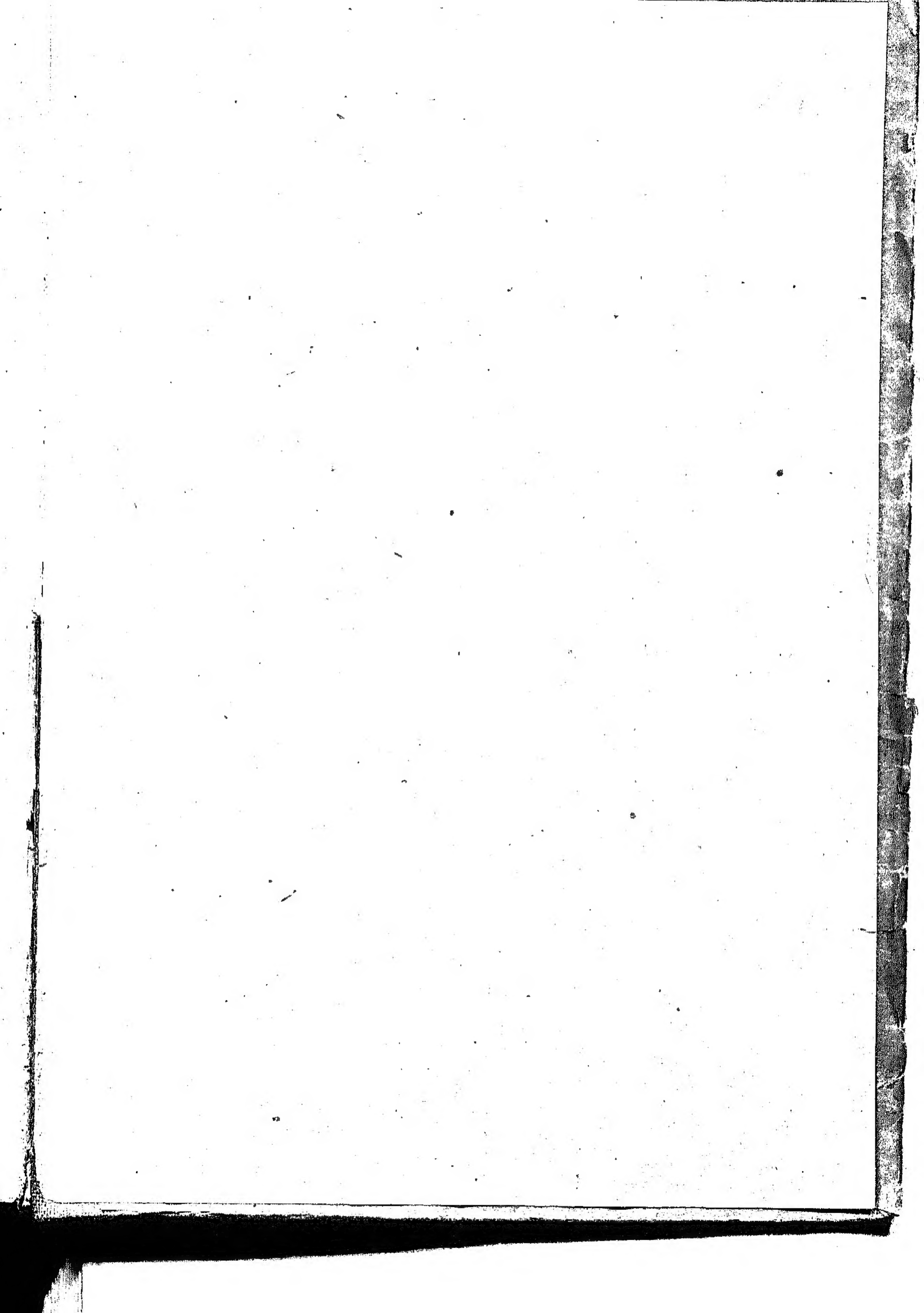
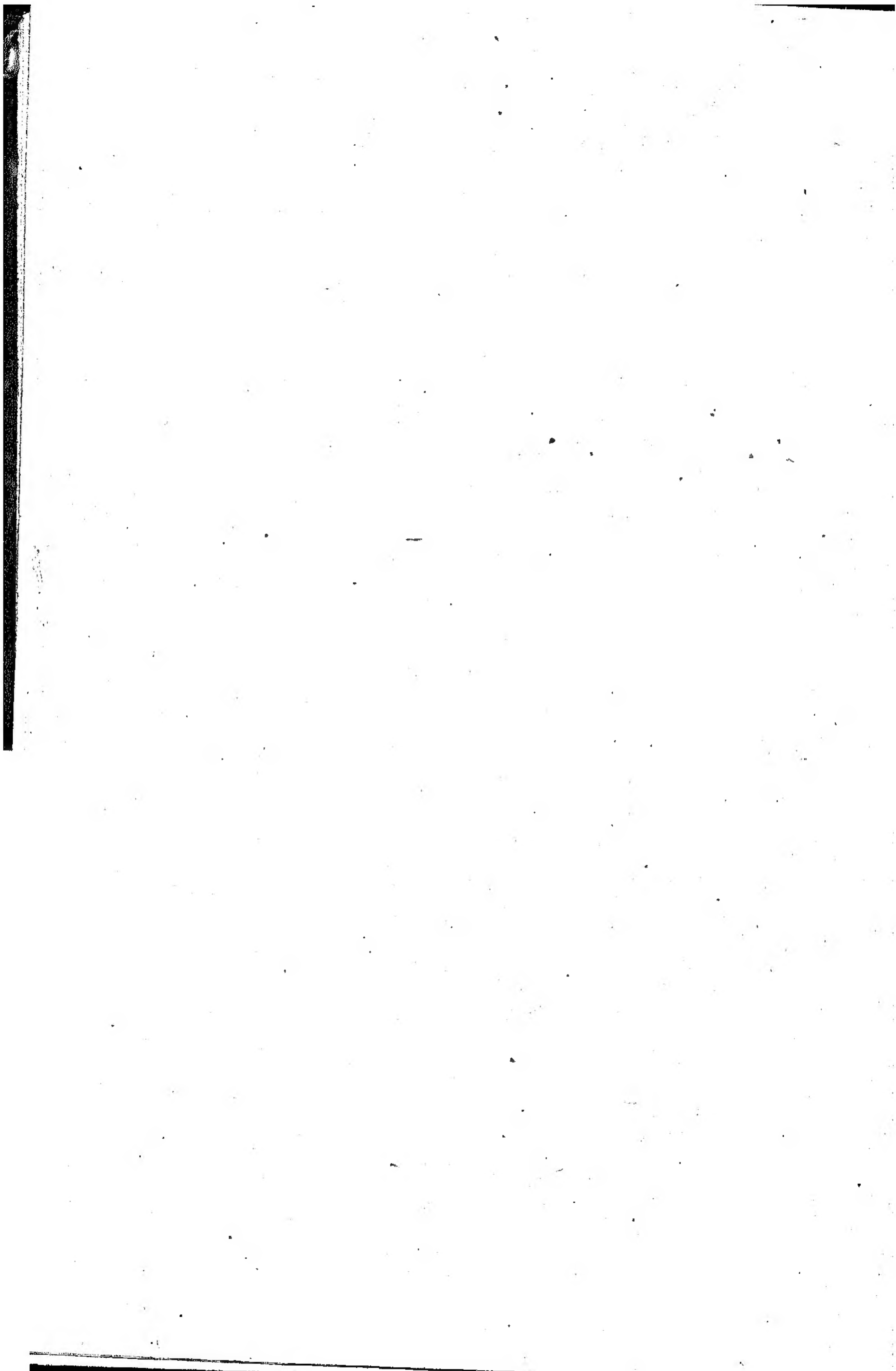


قصص الأنبياء





اهداءات ٢٠٠٠

المرحوم ا.د. فريد شافعي
أستاذ العمارة الإسلامية - القاهرة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

قصص الانبياء

المسمى بالعبرانيين

تأليف: العالم العلامة ابي اسحاق احمد بن محمد

ابن ابراهيم النيسابوري الشعبي

المتوفى سنة ٤٢٧ هـ تغمده الله برحمته

وأسكنه فسيح جناته آمين



يطلب من

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliothèque Alexandrine

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبة عبد الفتاح عبد الحميد

بشارع الصناديق بالأنزه

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد وآله (قال) الأستاذ أبو إسحق
أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشعبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على
قصص الانبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان .

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة)
(في تفصيله تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) قالت
الحكمة إن الله تعالى قص على المصطفى ﷺ أخبار الماضين من الانبياء والامم
الحالية لخسة أمور أي حكم :

(الحكمة الاولى) منها أنه إظهار لنبوته ﷺ ودلالة على رسالته وذلك أن
النبي ﷺ كان أمياً لم يختلف إلى مؤدب ولا إلى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه
فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم
إلى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث
الناس بأخبار ماضى من القرون وسير الانبياء والملوك المتقدمين فمن كان من
قومه عاقلاً موفقاً صدق بما يوحى إليه وإخباره إياه بذلك فآمن به وصدقه
وكان ذلك معجزة له ودليلاً على صحة نبوته ومن كان منهم عدواً معانداً حسده
وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتبها
فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً قال الله تعالى تكذيباً لهم وتصديقاً للنبي ﷺ (قل
تزله الذي يعلم السر في السموات والارض) .

(الحكمة الثانية) أنه لما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم
أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء الصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم
وأثنى عليهم واتقوا أمته عن أمور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها إليها
واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فيتمم الله بذلك معالي الاخلاق

فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الأنبياء أثنى الله عليه فقال تعالى (ولأنك لعل خلق عظيم) ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن .

(الحكمة الثالثة) أنه إنما يقص عليه القصص تثبيتها له وإعلاماً بشرفه وشرف أمته وعلى أقدارهم وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الأنبياء والاولياء وخفف الله عنهم في الشرائع ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي على الأمم الماضية . كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) أما النعمة الظاهرة فهي تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (وما جعل الله عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحد من الأنبياء والأمم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماء فليل يارسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم أفتخر عليه السلام فقال «بعثت بالحنفية السمحة» .

(الحكمة الرابعة) أنه إنما قص عليه القصص تأديباً وتهذيباً لأمته وذلك أنه ذكر الأنبياء وثوابهم والأعداء وعقابهم ثم ذكر في غير موضع وتحذيره إياهم عن صنع الأعداء وحشهم على صنع الأولياء فقال تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) وقال (وهذه وموعظة للمتقين) ونحوها من الآيات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص .

(الحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الأنبياء والاولياء والماضين لإحياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في إبقاء ذكره مثبتاً له تعجيل جزائه

في الدنيا حتى يبقى لذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغب خليل الله إبراهيم عليه السلام في إبقاء الشئاء الحسن فقال (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) والناس أحاديث يقال مامات ميت والذكر يحويه وقيل ما أنفق الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر وأنشد ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الدريدي :

ولما المرء حديث بعدة فكان حديثاً حسناً لمن وعى

(مجلس في صفة خلق الأرض)

قال الله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) الآية ونظائرها كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعمة خلق الأرض على سبعة أبواب :

(الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها)

روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان مثقفة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ثم نظرة إليها نظرة هيبية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فغلي وارتفع منه زبد ودخان بخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك يرجع إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي قصد وعمد إلى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الأرض فأول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكة فدحا الله من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهو قوله (والأرض بعد ذلك دحاهما) ولما خلق الله الأرض كانت طبقة واحدة ففتقها وصيرها سبعاً وذلك قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناها) ولذلك قال بعض حكماء الشعراء :

لا تخضعن لخلق على طمع	فإن ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله بما في خزانته	فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما	استغن الملوك بدنياهم عن الدين

وقال كعب الاحبار إن الأرض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله بالجبال وذلك قوله تعالى (والجبال أرساها) وقوله تعالى (والجبال أوتادا) وقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم) يعني لكيلا تتحرك بكم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما خلق الله الأرض عجت وقالت يارب تجعل على بني آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذي أقسم به الله فقال (ق والقرآن المجيد) .

وروى يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تمتد خلق الجبال وألماها عليها فاستقامت فتعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الإنسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله .

(الباب الثاني في حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها)

روى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال (بين كل أرض وأرض سبعين سنة) وهي سبعة أطباق الأرض (الأولى) هذه فيها سكانها والأرض (الثانية) مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفي الأرض (الثالثة) خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم

لا يعصون الله طرفة عين ليلاً نهاراً ونهاراً ليلاً والارض (الرابعة) فيها
حجارة الكبريت التي أعدها الله لأهل النار تسجر بها جهنم .

قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده إن فيها لاودية من كبريت لو أرسلت فيها
الجمال الرواسي لانماعت ، قال وهب بن منبه الكبريت الاحمر والصخرة منها مثل
الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
ناراً وقودها الناس والحجارة)

قال منصور بن عمار دخلت خربة فوجدت شاباً يصلي صلاة الخائفين فقلت
لنفسى إن لهذا الفتى لشأناً عظيماً لعلة من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من
صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد علي فقلت ألم تعلم أن في جهنم وادياً يسمى لظى
نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فاعى فشوق شقيقة فخر مغشياً عليه فلما
أفاق قال زدنى فقلت (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس
والحجارة) الآية فخرميتاً فلما كشف ثيابه عن صدره رأيت مكتوباً عليه بقلم القدرة
(فهو في عيشة راضية في جنة طالية قطوفها دائية) .

عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فإذا كان غداً
جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فإذا كان غداً جعلها الله حيث
يشاء وأما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف به الارض
وبداره وبأمواله ففي الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها إلى
يوم القيامة وقال النبي ﷺ بينما رجل يتبختر في بردته وينظر في عطفه وقد أعجبه
نفسه نخسف الله به الارض فهو يتجملجل فيها إلى يوم القيامة .

(الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الآية قال
ابو إسحق شبك بيدي أبو بكر محمد بن أحمد القحطان قال شبك بيدي أحمد بن

الحسين بن شاذان قال شبك بيدي إبراهيم بن يحيى قال شبك بيدي صفوان بن سليم
قال شبك بيدي أيوب خالد الأنصاري قال شبك بيدي عبيد الله بن أبي واقع قال
شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم عليه السلام فقال دخل الله الأرض
يوم السبت والجبال يوم الأحد والأشجار يوم الإثنين والظلمات يوم الثلاثاء
والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة .

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه الأولى من الأرض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة
تقيلا والرابعة بطيحا والخامسة متثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ترى .
(وما أسماؤها المذكورة في القرآن) فهي سبعة أيضاً سماها الله فراشاً فقال
(الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وسماها قراراً فقال (أم من جعل الأرض
قراراً) وسماها رتقاً فقال (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقاً) وسماها بساطاً فقال (والله جعل لكم الأرض بساطاً) وسماها مهاداً فقال
(ألم يجعل الأرض مهاداً) وسماها ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتاً فقال
(ألم يجعل الأرض كفاتاً) قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة
فنظر إلى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الأحياء ثم نظر إلى المقبرة فقال هذه
كفاة الأموات .

(يحكى) أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صاحبه من أولاد المجوس شاب
متطيب يدعى تحقيق الكلام وأظهر مسألة تحريق الأنفس بالنار وكان يزعم أن
الجسد جيفة منتن في حال الحياة فإذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب في زيارة
قدنه وأن الواجب إحراقه وإذراء رماده فقبل لبعض الفقهاء إن الناس قد
افتتنوا بمقالة هذا المجوسى لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله بن طاهر أن أجمع بيننا
وبين هذا المجوسى لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسى بمقالته

تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحضنته أيهما أولى به فقال له الأم
فقال إن هذه الأرض هي الأم منها خالق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا إليها
فأقبح المجوسى وأشد في معناه أمية بن أبي الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها فولد

(وسئل) يحيى بن معاذ الرازى إن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار
قرار فلم يطمئن إليها قال لأنه منها خالق فهي أمه وفيها نشأ فهي عيشه ومنها رزق
فهي عيشه وإليها يعود فهي كفاته وهي عمر الصالحين إلى الجنة .

باب الخامس في ذكر ما زين به الأرض)

زين الأزمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى (إن
رأى في كتاب الله يوم خالق السموات والأرض
الأشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة
سدة والحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بأربعة
ومسجد العشائر وزينها أيضاً بالأنبياء عليهم
إبراهيم الخليل وموسى السليم وعيسى الوجيه
أجمعين وهم أهل الكتاب وأصحاب الشرائع
أحمد ﷺ وزينهم أيضاً بأربعة على وفاطمة

وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والأئمة

ن .

مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال (لا يجتمع حب

ومن قال ألس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله

بهم بأربعة العلماء والقراء والفزاة والعباد وزينها بأنواع

الحيوانات والنباتات والجمادات .

(الباب السادس في عاقبتها وما آلتها وآخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء أحدها التبديل وهو قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحواري لم يعص الله عليها قط ظرفة عين ولا وصم فيها ولا قسم مستوية كالصلب المهند .

(والثاني) الزلزلة قال الله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الآية وقال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر المخرج قيل وما المخرج ما رسول الله قال القتل ، فإذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة وإذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو وإذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت وإذا منعوا الزكاة قحظوا ولولا البهائم لم يمتروا .

وفي الحديث د أن الأرض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فأخذ بهضادى منبر رسول الله ﷺ وقال يا أهل المدينة إنكم رجفتم وإن الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان التمر من قلة الصدقة وإنكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون فأويفر عمر من بين أظهركم .

(والثالث) البرز قال الله تعالى (وترى الأرض بارزة) يعنى لفصل القضاء . (والرابع) الرج قال الله تعالى (إذا رجفت الأرض رجاً) قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها خوفاً من ربها .

(والخامس) الرجف قال الله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) (والسادس) المد حتى تتخلى وتلقى ما في بطنها قال الله تعالى (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت)

(والسابع) الدك قال الله تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا) وقال تعالى (فعدكتا دكة واحدة)

(الباب السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن)

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى في الرعد والأنبياء (أولم يروا أنا
نأت الأرض تنقصها من أطرافها) يعني أرض مكة .

(الوجه الثاني) أرض المدينة قال الله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها) يعني أرض المدينة وقال تعالى (إن أرضي واسعة) وقال الله تعالى (وإنه
كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها)

(الثالث) أرض الشام وذلك قوله تعالى (ادخلوا الأرض المقدسة) الآية
يعني بلاد الشام وقال تعالى (ونجيناه ولو ظأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)

(الرابع) أرض مصر قال تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أرض مصر
وقوله تعالى (اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عليم) وقوله (فإن أبرح
الأرض) أي أرض مصر وقوله تعالى (إن فرعون علا في الأرض) وقال
(ويستخلفكم في الأرض) أي أرض مصر .

(الخامس) أرض المشرق وذلك قوله تعالى (إن يأجوج ومأجوج مفسدون
في الأرض) .

(السادس) الأرضون كلها وذلك قوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على
الله رزقها) وقوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا ظائر يطير بجناحيه إلا
أمام أمثالكم) في التسخير وقال تعالى (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام)
وقال تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً)

(السابع) أرض الجنة وذلك قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقوله تعالى (وأورثنا الأرض نلبوا من
الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) .

(مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)
(وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضاً على سبعة أبواب)

قال وهب بن منبه كادت الأشياء أن تكون سبعة فبالسموات سبع والأرضون سبع والجمال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والأيام سبع واليكموا كب سبعة وهي السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبعة ورعى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام قال تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) وإيتاؤه ملك مصر سبع سنين (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان) وكرامة الله للمصطفى ﷺ سبع قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) ورزق الإنسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى قوله (مناها لكم ولا نعمكم) وأمر السجود على سبعة أعضاء .

(الباب الأول في بدء خلق السموات)

قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي قصد ثم ففتحها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما)

(الباب الثاني في جواهرها وأجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا من موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء .

(الباب الثالث في هيتها وحدودها)

قال الله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثالثة وكذلك إلى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى (بغير عمد ترونها) وعمادها من فوقها .

(وعن أبي هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكرون فقال قيم أنتم تتفكرون ؟ فقالوا نتفكر في الخلق فقال لهم تتفكرون في الخلق ولا تتفكرون في الخالق فإنه لا يحيط به الفكرة تفكرون في أن الله خلق السموات سبعة والأرضين سبعة وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والأرض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء من خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يتجاوز الماء كعبه .

(الباب الرابع في أسباطها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة ظفطاف والسادسة سمياق والسابعة اسحا قاتل .

وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى (والسماء بناء) والسقف قال الله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) والطرائق قال الله تعالى (وجعلنا فوقكم سبع طرائق) والطباق قال الله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) والشداد قال الله تعالى (وبيننا فوقكم سبعاً شداداً) والرتق الفتق قال الله تعالى (كانتا رتقا ففتقناهما) والدخان قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) .

(وروى) أن الملائكة قالت يارب لو أن السماء والأرض أمرتهما ففصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت أمر دابة من دوابي فتبعتها ففصياك يارب

فأين تلك الدابة ؟ قال في مرج من مروجي قالت يارب فأين ذاك المرج قال في علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى :

وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وخطودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسير بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحق بن بشر عن جوير عن الضحاك ومقاتل قال خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينتها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى وإسمها برقيما وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الزعد وهذا الرعد يسبح بحمده وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملايكوت .

وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شجرة بين مناكبهم لما انقاست رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وإسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام .

ولون السماء الثالثة كلون الشبه وغلظها مسيرة خمسمائة عام وإسمها الماعون وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح ويقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا وهم

صفوف قيامهم كأنهم بنيان مرصوص لو قيس شجرة بين مناكبهم ما انقاست
لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى .

وخلق الله السماء الرابعة بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها مسيرة
خمسمائة عام ولونها كاون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على
ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عدداً من السماء التي تليها إلى
الضعف وفي السماء السابعة ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وهم في كل يوم في
زيادة وذلك قوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال وهم قيام وركوع وسجود
على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أمورهم فينطلق الملك
ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي أتى بجانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح
قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو قال :

وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب
واسمها الاحقون ومنها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون
على ملائكة الأربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها إلى
يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا نعبدك حق عبادتك .

وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة
مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله الأعظم الأكبر الكروبيون لا يحصى عددهم إلا الله
تعالى وعليهم ملك جنوده سبعون ألف ملك وكل منهم جنوده سبعون ألف ملك
وهم الذين يبعثهم الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح
وقد أحاطوا به ... باقية حرام .

خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة
وعليهم ملك وهو على سبعمائة ألف ملك كل منهم له من الجنود مثل قطر السماء
وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات
وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة

بيضاء من السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهوتا . سيرة خمسمائة عام وعليه جنود
الله من الملائكة وهم رؤساء وهم أعظمهم سوى الروح وحمة العرش والعرش
فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى .

(الباب الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها)

روت الرواة أن الله تعالى ابتداء خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس وخلق
يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من
يوم الجمعة فخلق في الساعات الأولى الاوقات والآجال وفي الثانية الارزاق وفي
الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل (فقضاهن سبع سموات في
يومين وأوحى في كل سماء أمرها) الآية .

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهي عشرة أشياء الشمس قال الله تعالى (وجعل الشمس سراجا) وقال تعالى
(سراجا وماجا) والقمر قال الله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) والسكواكب
قال الله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) وهي على ضربين منها معلق
كمتعليق القناديل في المساجد ممسكة بقدرة الله عز وجل .

(وروى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش مثل جميع ما خلق
الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)
وأن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية الخفقان الطير المسرع ثمانين ألف
عام والعرش يكسب كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق
من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وإن لله ملكا يسمى
حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر
له خاطر هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الاجنحة مثلهما فكان له
سنة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله

تعالى إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم
العرش ثم ضاعف الله تعالى له الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين
ألف سنة فبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى إليه أيها الملك لو
طرت إلى أن ينفخ في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال له
الملك سبحان ربي الأعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك الأعلى) فقال
النبي ﷺ « اجعلوها في سجودكم » .

(وروى) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال
الكرسي أولؤها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أماناً لأهل
الإيمان من شر الشيطان .

(وروى) إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي عن أبي هريرة رضي الله عنه
أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوماً ففتح الباب فإذا التمر قد
أخذ منه ملء السكف ثم دخل يوماً آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوماً
آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ
فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال إذا فتحت الباب فقل
سبحان من سحرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فإذا هو قائم بين يديه فقال
له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم لا أعود ما كنت أخذت منه إلا لأهل
بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال أيسرك أن تأخذه
قال نعم قال فإذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضاً ففتح الباب وقال سبحان من
سحرك لمحمد فإذا هو قائم بين يديه فقال يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود
فقال دعني هذه المرة فإني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذ الثالثة فقال أليس قد عاهدتني
أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ فقال لا تفعل فإني إن تدعني
هلكك كلمة فإذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لأصغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى
قال له لتفعلن إن تركتك قال نعم قال فما هي؟ قال (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

حتى ختمها فتركة فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال
 له أما علمت يا أبا هريرة هذه ؟ إنه كذلك صدق النخبيث ، واللوح والقلم قال الله
 تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون) ،
 وقال ابن عباس أن مما خلق الله تعالى لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من
 ياقوتة حمراء كتابيه نور وقلبه نور وعرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تعالى
 فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء
 فذلك قوله تعالى (كل يوم هو في شأن)

(ويروى) أن أول ما خلق الله القلم فنظر إليه نظرة هيبية وكان طوله كما بين
 السماء والأرض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب
 بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال أجز بما هو كائن إلى يوم القيامة .

(ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجدته مغموماً فقال له
 روح عني يا ابن الزيات فأشدد يقول :

الهم فصل والقضاء غائب وكان ما خط في اللوح
 فالتمس الروح وأسبابه أيأس ما كنت من الروح
 والبيت المعمور :

(وروى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
 أن في سماء الدنيا بيتاً يقال له البيت المعمور بخيال الكعبة وأن في السماء السابعة
 بحراً من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه
 انغماسه ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فينطق
 الله تعالى من كل قطرة ملكاً فيأمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه
 فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون إليه إلى يوم القيامة وسدرة المنتهى
 قال الله تعالى (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) .

(وقال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش إليها ينتهي عام الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الأمم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هي ؟ قال من يدخل الجنة حتى لا يموت ومنعم لا يياس ولا تعب ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبننة من ذهب ولبننة من فضة بلاطها مسك أزفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتراها الزعفران .

(وزوى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ أن السماء أطت وحق لها أن تثط ليس منها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأخرجتم إلى الصعراء تجارون إلى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها)

لأعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدهما المور قال الله تعالى (يوم تمور السماء مورا) يعني تدور كدوران الزحان من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كاللؤلؤ فقال تعالى (يوم تكون السماء كاللؤلؤ) يعني دردى الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) والرابع الإنشقاق قال تعالى (إذا السماء انشقت) والخامس الانفطار قال تعالى (إذا السماء انفطرت) و(السماء منفطربة) والانفطار أكثر من الإنشقاق والسادس الانفراج قال تعالى (وإذا السماء فرجت) والسابع الكشط قال تعالى (وإذا السماء كشطت) أى نزعت من مكانها وطويت طياً قال تعالى (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) الآية وأحسن الشاعر حيث قال :

إذا قيل من رب هذى السما فليس سواء له مضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا لقال العباد جميعاً كذب

وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه بأبى أنت
 وأمى يا رسول الله ذكرت بحرى الخنفس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى
 بالخنفس فى القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنفس؟ فقال يا على هن السكواكب
 الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه السكواكب
 الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر فى الفلك وأما سائر السكواكب فكلها
 معلقة فى السماء كتعليق القناديل فى المساجد وهى تدور مع السماء دوراناً بالتسبيح
 والتقديس والصلوة لله تعالى ، ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن أحببتهم أن تستبينوا ذلك
 فانظروا دوران الفلك مرة من هنا ومرة من هنا وإن لم تستبينوا الفلك فالجرة
 وبياضها مرة من هنا ومرة من هنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران
 السكواكب معها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها
 ودورانها يوم القيامة فى سرعة دوران الرحمان أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى
 (يوم تمور السماء موراً) يعنى تدور دوراناً (وتسير الجبال سيراً) فإذا طلعت
 الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكاً
 تمشى أجنحتهم يحرونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات
 النهار والقمر كذلك قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر فى الشتاء كان ذلك
 أو فى الصيف أو بينهما من الخريف والربيع فإذا أحب الله أن يبتلى القمر والشمس
 ويرى العباد آية من الآيات يستعجبهم رجوعاً عن معاصيه وإقبالاً على طاعته تحركت
 الشمس على العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة وهو الفلك فإذا أراد
 الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشهد خوف العباد غربت الشمس كلها فلا يبقى على
 العجلة شئ منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها
 فإذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان فى الماء
 ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف وإتلاء الشمس والقمر
 وذلك تخويف العباد واستعجاب من الله تعالى فأى ذلك صارت الملائكة الموكله

بمجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الأخرى
تقبل على العجلة فتجرها إلى الشمس وهم في ذلك يقرءونها في فلك على مقادير ساعات
النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهاراً لكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم
الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة الذي ترون من خروج الشمس والقمر
بعد السكسوف قليلاً قليلاً من ذلك السواد حتى يحمد الله تعالى على ما قوام لذلك
ويتعلقون بعري العجلة حتى يجرونها بإذن الله تعالى قال ﷺ عجبت من خلق الله
وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة
(أتعجبين من أمر الله).

إن المجتهدين في الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة في الأرض في كل بلد من بلاد
المسلمين في هو ان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام
قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي وردة ولا يصبح نحو ما كان
يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكانه
والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في مكانها من أول الليل فينكر ذلك ويظن
فيها الظنون ويقول خفت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود
إلى مصلاه فيصلي ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضاً فإذا هو بالليل مكانه فيزيده
ذلك إنكاراً ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من سوء ثم يقول لعلى قصرت
صلاتي أو خفت قراءتي أو قمت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما
يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضاً مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر
فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فلا ينظر إلى السماء فإذا هو بالنجوم قد استدارت
مع السماء فصارت في أماكنها في أول الليل فشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف
لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة.

ثم ينادى بعضهم بعضاً وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع
المجتهدون من أهل بلده في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون إلى الله تعالى
بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فإذا مات لهم مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى

جبريل عليه السلام إليهما فيقول لهما إن الله تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا
منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبيكيا عند ذلك وجل من الله تعالى وخوف يوم
القيامة بكاء يسمعه أهل السبع السموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن
فوقها فيبكون جميعاً لبكائهما لما خالطهما من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع
الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المجتهدون يبكون ويتضرعون إلى
الله تعالى والخافلون في غفلتهم إذ نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من
مغاربهما فينظر الناس فإذا بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما
في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) وقوله تعالى
(إذ الشمس كورت) فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين فينازع كل واحد
منهما صاحبه استباقاً ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهما
والأحبة عن ثمرات فؤادهما فتشغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والابرار
فإنهم ينفعهم بكائهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار
فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فإذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفهما
جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرنهما ويردهما إلى المغرب فلا يغربهما من تلك
العيون ولسكن يغربهما من باب التوبة .

فقال عمر بن أبي أمية يا رسول الله وما باب التوبة ؟ فقال يا عمر خلق الله
تعالى باباً للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكلان بالدر والجواهر ما بين
المصراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق
الله تعالى الدنيا إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب
عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحاً منذ خلق الدنيا إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك
التوبة في ذلك الباب ثم ترتفع إلى الله تعالى .

فقال معاذ بن جبل يا أمي يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم
العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه كما لا يعود
اللبن إلى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين

ثم يلثم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما ضدع قط وإذا أغلق باب التوبة فلم يقبل العبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسناً فإنه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) فقال أبي بن كعب باني أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا؟ فقال يا أبي إن الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كان قبل ذلك وأما الناس فانهم مع مارأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا ويحرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى أن ينفخ في الصور فقال حذيفة جعلني الله فداك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور قال يا حذيفة والذي نفسي بيده لينفخن في الصور ولتقوم الساعة والرجل قد لا ط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقوم الساعة وقد أخذ ابن لقمته من تحتها فلا يشربه ولتقوم الساعة والثوب بين الرجلين فلا يذشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية (وليا أنينهم بغتة وهم لا يشعرون) فإذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين وأهل الجنة والنار وقبل أن يدخلواهما يدعوا الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا وفرائعهما ترتعد من هول يوم القيامة وهول ذلك ومن مخافة الرحمن تعالى فإذا كان حذاء العرش خرسا جدين لله تعالى ويقولان يا إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في طاعتك وصرعنا للمضي في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا فقد علمت أنا أن ندعوهم إلى عبادتنا ولم نزلهم عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقنا إني قد قضيت على نفسي أن أبدى وأعيد وإني معيدكما إلى ما بدأكما منه فارجعا إلى ما خلقكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقكما من نور عرشي فارجعا إليه فيلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نوراً فيختلطان بين نور العرش فذلك قوله تعالى (يبدى ويعيد).

(مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)
(الباب الأول في ذكر وجود الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام)

قال الحكماء خلق الله الخلق ليظهر وجوده وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحسنة لأنها لا تتأتى إلا من قادر حكيم وليعبد فيانه يحب عبادة العابدين ويشبههم عليهم على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وإن كان غنياً عن عبادة خلقه لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون) وليظهر إحسانه لأنه يحسن فأوجد لهم ليحسن إليهم وليفضل عليهم فيعامل بعضهم بالعدل وبعضاً بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل (وكان بالمؤمنين رحيماً) وقال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)

قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك عن مزاحم أي للرحمة خلقهم وليحمدوه لأنه يحب الحمد (ويروى) أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والوسيم والابيض والاسود والايض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى إني أحب أن أشكر .

(قال) أبو الحسن القفال خلق الله تعالى الملائكة للقدره وخلق الأشياء للعبرة وخلق الإنسان للمحنة قال عز وجل (هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) .

(قال العلماء) خلقكم لإظهار القدرة ثم رزقكم لإظهار الكرم ثم يميتكم لإظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لإظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال الخلق جميعهم لأجل محمد ﷺ .

عن قتاده عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال « أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن ، وقيل خلقهم لأمر »

عظيم غيبه عنهم لا يحليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى (أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه (يا أيها الناس ذاقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهم ولا أهمل سدى فيبغوا)

وقال الأوزاعي دباخنى أن في السماء ملكاً ينادى كل يوم لا ليت الخلق لم يخلقوا موليتهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له ، وقال بعضهم د إذا ما ثو ثم خلقوا عرفوا ما خلقوا له وجلسوا فتذكروا ما عملوا ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاة د إلهي غيب عني أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى إلى أى الدارين منقلبى لقد أوقفتنى وقفة المحزونين أبدا ما أبقيتنى ، وقال أبو القاسم الحكيم د إن الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح فى جسده فهو فى البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فأتى له السرور وهو بين البلوى والبلى .

وقال بعض الحكماء يا ابن آدم أنظر إلى خطر مقامك فى الدنيا وإن ربك حلف فقال (لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وإن إبليس حلف فقال (فبمرتك لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) وأنت يامسكين بين الله تعالى وبين إبليس مطروح ساء لاه والله أعلم .

(الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة إن الله تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض إني خالق منك خلقاً منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى منهم أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأنيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الأرض إني أعوذ بعزة الذى أرسلك أن لا تأخذ منها شيئاً يكون فيه غداً للنار نصيب فيرجع جبريل عليه السلام إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الأرض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيئاً فيرجع إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً فبعث الله ملك الموت فأتى

الأرض فاستعادت بالله أن يأخذ منها شيئاً فقال ملك الموت وإني أعوذ بالله أنه
أعصى له أمراً فقبض قبضة من زواياها الأربع من أديمها الأعلى ومن سبختها وطينها
وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها ومهادها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والنخب
والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلف صدورهم وألوانهم قال الله تعالى
(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ثم صعد بها
ملك الموت إلى الله تعالى فأمره أن يجعلها طيناً ويخمرها فخرجتها بالماء المر والعذب
والمالح حتى جعلها طيناً وخرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام
أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً
ﷺ فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقر بين الكرويين وملائكة
الصفح الأعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي ﷺ وهي يومئذ بيضاء نقية فخرجت
بماء التسليم ورعرت حتى صارت كالذرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة
كلها فلما أخرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الدرة الطاهرة
فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف
قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبياً فكل الأنبياء صلوات الله على
نبيينا وعليهم أجمعين.

قال الله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) الآية قال ابن عباس
الإسلام آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسداً ملقى على باب الجنة في صحيح
الترمذي بالإسناد عن رسول الله ﷺ في تفسير أول البقرة (إن الله خلق آدم
بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض
والأحمر فجاءت الأولاد على ألوان الأرض).

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ كيف خلق الله آدم عليه السلام؟ فقال: خلق
رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس ونخذه من
أرض اليمن وساقية من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز وبده اليمنى من أرض
المشرق وبده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملا من.

الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل ذلك رأيا شيئا يشبهه من الصور فرب به إبليس فرآه فقال لأمر ما خلقت ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يشبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرايتم إن فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا قال إبليس في نفسه والله لأن فضل هذا على لأعصيته ولأن فضلت عليه لأهالكته فذلك قوله تعالى (وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون) يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وإبليس من المعصية وقوله تعالى (إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) وفي الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه مطر السرور سنة واحدة فذلك كثرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها إلى الفرح والراحة ، وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانه المهرجاني :

يقولون إن الدهر كله يومان فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة وأيام مكروه كثير اليدائة
وأنشدني ابن الأعرابي فقال :

عن الزمان كثيرة لا تنقضي وسرووه يأتيك بالقلبات
وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز :

أى شيء يكون أعظم من ذا لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا والبلايا تسكال بالقفزات

(الباب السادس في صفة نفخ الروح)

قال العلماء لما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القمر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك الثالثة إلى أن قال في الرابعة أدخلها وأخرجي كرها فلما أمرها الله

نمالي بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت من دماغه فاستدارت نزلت في عينية والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى إذا تتابعت عليه السكرامات لا يدخله الزهو ولا المعجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه فيعطس حين فراغه من عطاسه نزلت الروح إلى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحي شصبي ثم نزلت الروح إلى صدره وشرايينه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى (وكان الإنسان عجولاً) وقوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) فلما وصلت الروح إلى جوفه اشتبه الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام .

(وفي) بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على أم رأسه قال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال إني أذنبت ذنباً فقال من أين علمت ذلك فقال لأن الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده إذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشر الروح في جسده كله فصارت لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وعصباً ثم كساه الله تعالى لباساً من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسناً فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد ثم خلق الله فرساً من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل أخذ بالجامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم إلى يوم القيامة ثم عليه الله تعالى الاسماء كلها .

(واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع ابن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس عليه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى

(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وأكثر العلماء على أن الأمر بالسجود لآدم إنما توجه على الملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشى فيها وحشياً لم يكن له من بحالسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألماً ولو تالم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم لبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لأنها خلقت من شيء حتى قالوا ولما ذا خلقها الله تعالى لتسكن إلى وأسكن إليها وذلك قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) قال النبى ﷺ خلقت المرأة من ضلع أعوج فإن تقمها تسكسرها وإن تتركها تستمتع بها على عوجها .

(وقيل) الحكمة فى أن الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسناً وجمالاً لأنهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة وجمالاً والنساء يزددن على مرور الايام قبحاً لأنهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فساداً .

وفى بعض الاخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مديده إليها فقالت الملائكة له يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله ؟ فقالت الملائكة حتى تؤدى مهرها قال ومهرها فقالوا أن تصلى على محمد ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت .

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله آدم عليه الصلاة والسلام)
(وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام أباح لهما نعيم الجنة كلها إلا شجرة واحدة ذلك قوله تعالى (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) إلى قوله (فتكونا من الظالمين) واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة .

فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي السكرمة فوسوس لها الشيطان حتى زين لها الشجرة فأكلا مانها ربهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها .

وكان وصول عدو الله إليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الأخبار أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لإبليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته في فيها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلد فاغتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل إن إبليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلي الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال في إخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به إلى آدم فمكث على باب الجنة قبيها هو كذلك إذ خرج إليه الطاووس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه إبليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة اسمي طاووس فبكى إبليس فقال له الطاووس من أنت ومم بكائك ؟ فقال له إبليس أنا ملك من الملائكة

السكرابين إنما بكيت تأسفاً على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاووس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وأنتك تفنى وتبديد وكل الخلائق يبدون إلا من تناول من شجرة الخلد فإنهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاووس وأين تلك الشجرة قال إبليس هي في الجنة قال الطاووس ومن يدنا بمكانها قال إبليس أنا أدلك عليها إن أدخلتني الجنة قال الطاووس كيف لي بإدخالك الجنة ولا سبيل إلى ذلك المكان فإنه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها إلا بإذن الله ورضوانه ولا يمكن سادلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلها فإنه إن قدر على ذلك فهو دون غيره فإنه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال إبليس فبادر لئليها فإن لنا فيه سعادة الأبد لعلها تقدر على ذلك .

فجاء الطاووس إلى الحية وأخبرها بمكان إبليس وما سمع منه وقال إني رأيت بباب الجنة ملكاً من السكرابين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخله الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها إبليس نحواً من مقالته للطاووس فقال كيف لي بإدخالك الجنة ورضوان إذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحويل ريحاً فتجعلني بين أنيابك قالت نعم .

فتحول إبليس لعنه الله ريحاً ودخل في فم الحية فأدخلته الجنة فلما دخل إبليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه إبليس فنأح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من نأح فقالا له ما يبكيك فقال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما وانخما لذلك وبكى إبليس ومضى ثم إن إبليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قاله نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الخلد فقال نهاني ربي عنها فقال إبليس ما نهاك ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تسكرنا ملكين أو تكونا من النخالين فأبيا أن يقبلأ منه فأقسم لهما بالله إنه لهما من الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحداً يحالف بالله كذباً فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها .

ولذلك قال رسول الله ﷺ والخمر يجمع الخبائث وأم الذنوب ، ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالوا نعم لا تقربها ولأننا كل منها ولم نمتدنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكاهما الله تعالى إلى أنفسهما حتى أكلتا المنهى عنهما

فلما أكل من الشجرة المنهى عنهما ابتلاه الله بعشرة أشياء (الأولى) معاقبته لهما على ذلك بقوله (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) (والثانية) الفضيحة فإنه لما أصاب الذنب بدت لهما سوءاتهما تهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتجبر آدم وصار هارباً في الجنة فتلقت شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداه ربه أفراراً مني يا آدم قال لا يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالقصر حياء إلى يوم القيامة .

ويروى أن آدم لما بدت سوءاته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمة شجرة التين فأعطته ورقة فطفقا يعني آدم وحواء يخرصان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أو هن جلده وصيره مظلماً بعد أن كان جلده كالظفر وألقى عليه من ذلك قدراً يسيراً على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجته من جواره ونودي أن لا ينبغي أن يجاورني من عصائي فلذلك قواه تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر) الآية يعني آدم وحواء وإبليس والحية والطاروس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود قيل وحواء بجدة بلاد أرض الحجاز وإبليس بالآبلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية بأصبهان والطاروس بأرض بابل .

أخبرني نافع بن أذفر بن أحمد بإسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين ابن عطاء يذكر أن آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا إبليس بالخطيئة إلى

الأرض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء . مادمننا في دار سبياء
حتى نرد إلى الدار التي سبيننا منها وقال الشاعر :

يا ناظراً يروى بعيني رافداً وه شاهد الأيام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فأبحتها سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمأ منها إلى الدنيا بذنوب واحد

(الخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد
منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا
بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة في يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة .

(السادسة) العداوة ألقى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى (بعضكم لبعض
عدو فالإنسان عدو الحية بشدخ رأسها حيث يراها والطاووس عدو الحية عدوته
تلدغه إذا أمكنها وإبليس عدو لهم جميعاً وفيه إشارة إلى أن الأحباب إذا اجتمعوا
وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى (الأنفال يومئذ
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) .

(السابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) .
(وروى) أن إبراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال
يا رب خلقت آدم بيديك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك وأسكنته
جنتك بلا عمل ثم بوزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة
فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد .
(الثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى (وأجاب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركتهم) الآية .

(التاسعة) جعل الدنيا سجناً له ولأولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة الحر والبرد فيها ولم يكن لها بهما عهد لعود هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) قال رسول الله ﷺ الجنة سبج لا حر فيها ولا قفر ،
(العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب .

(فصل) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن .
(الأولى) الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة رميت الشجرة قال الله تعالى أن لك على أن أدميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله ﷺ في الحيض د إن هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم وحواء ،
(الثانية) ثقل الحمل .

(الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) وفي الخبر د لولا الزلزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يتخضن ولا يكن حلييات وكن يحمان سرأ ويضعن سرأ .

(الرابعة) نقصان دينها .

(الخامسة) نقصان عقلمها عن أنى سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله ﷺ ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدا كن فقلن له وما نقصان عقلمنا وديننا يا رسول الله ؟ قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلمها أو ليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان ودينها .

(السادسة) أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين) .

(السابعة) تخصيصهن بالعدة .

(الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجل كما قال تعالى (الرجال قوامون على النساء) وقال عليه الصلاة والسلام د استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوار عندكم .

(م ٣ — قصص الأنبياء)

(التاسعة) ليس لمن من الطلاق شيء ولا يملكون ذلك وإنما هو للرجال .

(العاشرة) حرمان من الجهاد (الحادية عشر) ليس ممن نبي .

(الثانية عشر) ليس ممن سلطان ولا حاكم .

(الثالثة عشر) لا تسافر إحداهن إلا مع ذي رحم محرم .

(الرابعة عشر) لا تنعقد بين الجمعة (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن .

وعاقب إبليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء : أولها عزله من الولاية وكان له ملك الأرض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة .

(الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه إلى الأرض .

(الثالثة) مسح الله صورته فصوره شيطاناً بعد ما كان ملكاً .

(الرابعة) غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه إبليس لأنه أبليس من رحمة الله تعالى .

(الخامسة) جعله إمام الأشقياء (السادسة) لعنه الله تعالى (السابعة) نزع منه المعرفة .

(الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريداً أي خالياً من الخير والرحمة .

(العاشرة) جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها .

وأمشاها على بطنها ومسح صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها

التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما

سرونها يقتلونها وأباح رسول الله ﷺ قتلها في الصلاة وفي حال الإحرام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما سألنا من منذ

حاربنا من ترك شيئاً ممن خيفة منه فليس من يعنى الحيات .

حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الأعين المعبدي عن

أبي الأحوص الحسني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فإذا هو بحية تمشي على

الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ

يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلاً مشركاً قد حل دمه .

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الأرض وما كان منه)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ولما هبط آدم إلى الأرض على جبل سرنديب وذكر أن ذروته أقرب من ذرى جبال الأرض إلى السماء .

(قال) وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الأرض عطس عطسة فسأل أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الأرض الدم فاسود على وجهها كاللحم ففرع آدم من ذلك فرعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعث الله إليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشى فاستراح فما كان يصيبه من الغم .

قال شهر بن حوشب (بلغني أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى) .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) الآية واختلفوا في تلك الكلمات ما هي قال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى فلم أخرجتني منها ؟ قال لشؤم معصيتك قال أي رب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ترجعني إلى الجنة فهي الكلمات ، وقال عبد الله بن عمر أن آدم قال يارب أرأيت ما أتيتني شيئا ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء فدونه علي قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته فاغفر لي .

وقال محمد بن كعب القرظي هي قول لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتبت على إنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمي إنك أرحم الراحمين

وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة أوحى الله تعالى إلى آدم أنه إلى
حرماً بحيال عرشى فأتته فطف به كما تطوف حول عرشى وصل عنده كما تصلى عند
عرشى فهناك استجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند إلى أرض مكة لزيارة البيت
وقيض الله له مكاناً أرشده فمكان كل موضع يضع عليه قدمه عمراناً وماتعداه مفاوز
وقفاراً فلما وقف بعرفات وكانت حواء طالبتها وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم
عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما أنصرفا إلى منى قيل لآدم تمني على قال أتمنى المغفرة
والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبيهما وقيل توبتهما ثم انصرفا إلى أرض الهند
قال مجاهد حدثني ابن العباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه
ف قيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأى شيء كان يحمل فوالله إن خطوته
لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها
تلقته الملائكة يهنئونه بالحج وقبول النوبة فقالوا برحمتك يا آدم فدخله من ذلك
شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام
ف تقاصرت إلى آدم نفسه .

(وروى) سفيان عن منصور بن ممر عن زبني بن خراش عن حذيفة قال
سمعت رسول الله ﷺ يقول لما أهبط آدم من الجنة إلى أرض الهند وعليه ذلك
الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس وتطير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل
والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يا رسول الله المسك هو من الدواب
أم من الشجر قال إنما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فيصير المسك
في ممرتها فإذا رعت الربيع جعله الله مسكاً وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يا رسول
الله ف أين يقع قال : قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الأرض إلا فيها
أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يا رسول الله العنبر إنما هي دابة
في البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله إليها جبريل
عليه السلام فساقها وما معها فقذفها في البحر وهي أعظم ما تذكرن من الدواب
غلظها ألف ذراع وإنما ترمى كما ترمى البقر أختها فربما يخرج من جوفها العنبرة
ووزنها ١٥٠٠ رطل ونحو ذلك ثم إن آدم وجه الماء في رأسه وجسده فشكا ذلك

إلى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال إن في هذه الشجرة شفاء من كل داء إلا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة لإلهيلج الأبيض والأسود والأصفر فقال له إن ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فإنك إن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء إن بقي في جوفك فلا تخف وإن خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ.

(قال) في الأخبار إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك إلى جبريل فقال لك تشكو العري فأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشاً منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منها جبة لنفسه وجعل لحواء درعاً وخماراً فلبسا وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فخواء أول من نسج ولبس الصوف .

(وعن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي ؟ فقال رسول الله ﷺ وما حرفتك ؟ فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وإن الله عز وجل يحب حرفتك فإنها حرفة يحتاج إليها الأحياء والأموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وابشروا فإن حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائداًكم إلى الجنة .

(وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ عليكم بلباس الصوف تجدون قلة إلا كل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وإن النظر في الصوف ليورث القلب التفكير والتفكير يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثرت فكره قل طمعه وكل من قل تفكيره كثرت طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، قالوا ثم إن آدم عليه

الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال جبريل ما الذي أصابك فقال أجد في نفسي قلقاً واضطراباً لأجد إلى العبادة منه سبيلاً وإني أجد بين لحمي وجلدي ديباً كد يب النمل فقال جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك ؟ قال سوف أهديك إلى ذلك فغاب عنه ثم جاء بشورين أحمرين والعلاة يعني السندان والمطارقة والمنبحة والسكبتين ثم جاءه بشر من جهنم فوقع في يد آدم فطار منه شراره فوقع في البحر فدخل جبريل إليها وأتى بها فرفعها إلى آدم فطارت منه أيضاً حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي ﷺ إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع مرات ، فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار قالت يا آدم إني لا أطيعك وإني منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم إنما إن تطيعك وليكني أسجنها لك ولأولادك ليسكون لك ولأولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحديد فذلك قوله تعالى (أفرايتم النار التي تورون أنتم) الآية .

(وروى) أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدي ولا تحرق يدك ؟ قال لا لك عصيت الله وإني لم أعصه ثم أمر جبريل باتخاذ آلة الحرت فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بضرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الأنثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال يا آدم خذها فإنها سبب سد جوعك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك إلى أن تقوم الساعة ثم أمر أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليها ففعل ذلك وجعل يحرق الأرض عليهما فهو أول من حرق الأرض وبكى الثوران على ما فاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الأرض فنبت منها الجاورس وبالأ فنبت منه الحنص ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كسرها ثم بذرها فنبت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله ؟ فقال لا أصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله ؟ قال لا وعله الحصاد فلما حصدها قال آكله ؟ قال لا وعله الدياس فلما داس قال آكله ؟ قال لا وعله التنقية فلما نفاه قال آكله ؟ قال لا وجاء بحجرين وعليه الطحن

فلما طحن قال آكله ؟ قال لا وعليه العجن ويقال إن آدم عليه الصلاة والسلام لما
نخل دقيقه فأمر جبريل أن يذث النخالة في الأرض المستحصده فنبت فيها الشعير فلما
عجن قال آكله قال لا فأمره أن يحفر حفرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها ناراً
ففعل ذلك حتى جعله خبزاً ثم وضع عجينة عليه فخبز فهو أول من خبز فلما أخرجه
قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دامت عيننا آدم عليه السلام وقال
ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذي وعدك فذلك قوله تعالى (إن هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أما أن لك أن تأكل من كد يمينك
وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكاً من بطنه ولم يدرك ما هو
فشكا ذلك إلى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فم أسكنه فغاب عنه ثم
حاد إليه ومعه الممول وقال له احفر الأرض فما زال يحفر حتى بلغ إلى ركبتيه فنبع
الماء من تحت رجله ماء زلالاً أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب
منه شربه فشربها فاطمان ثم أنه بعد ذلك وجد تشكياً أشد من الأول والثاني فقال
لجبريل ما هذا الذي أجده قال لا أدري فبعث الله إليه ملائكة ففتق قلبه ودبره ولم
يكن قبل ذلك الطعام مخرج فلما خرج منه آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك .

(قالوا) لما أنزل الله إلى آدم الحديد نظر إلى قضيب من حديد ثابت على الجبل
فقال هذا من هذا لجعل يكسر أشجاراً قد عتقت ويبست فأوقد على ذلك الحديد
حق ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدينة فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي
ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعباد بالهند .

(قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرجه معه من الجنة
قطعة من الذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه
الأرض ولا تأكله النار لأنه من الجنة حمل .

(وقيل) أن الله تعالى زود آدم حين أهبطه إلى الأرض من الثمار ثلاثين نوعاً
عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فأما التي هي
في القشور فالجوز واللوز والفسق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط
والنارنج والرمان واللوز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والإجاص والعناب

والفرسك والرطب والفبيرة والنبق والزعرور والمقل وأما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح
والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والأترج والخروب والخيار والبطيخ
(وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسنة وهي سيدة رياضين
الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام أهل الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا .

(قال) ابن عباس لما هبط آدم إلى الأرض كان أول شيء أكله من الثمار التين .
(قال) وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض ورأى سمعتها ولم يرفيها أحداً
غيره قال يا رب أما لأرضك هذه من عامر يسبح بحمدك ويقدم لك غيري قال الله
تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدمني وسأجعل فيها بيوتاً ترفع
بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني
حق عبادتي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخضه بكرامتي وأوثره باسمي فأسميه بيق
وأطلقه بعظمي وعليه وضعت جلالتي وأجعل في ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمة
ما حوله وما فرقه وما يحته فن حرمه استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد
حقر ذمقي وأباح حرمة واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول
بيت وضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شعناً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق يرجون بالتلبية رجياً ويضجون بالبكاء ضجيجاً ويعججون بالنكبير عجيلاً
فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارتي واستضافني فحق على الكريم أن
يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته .

(وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله إلى آدم بعد ما تاب عليه آدم إلى
أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لك واحدة بيني وبينك واحدة
بينك وبين الناس فأما التي لي فتمتقدي ولا تشركني شيئاً وأما التي لك فأجزيك
بعملك أحوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومنى الإجابة وأما التي
بينك وبين الناس فإن رضى لهم ماترضى لنفسك قال آدم يا رب شغلت بطالب المأبشة
وطالب الرزق عن التسبيح والعبادة واستأعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا
فأهبط الله تعالى إليه ديكاً فأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذ
آدم من الخلق فكان الديك إذا سمع التسبيح في السماء سبى في الأرض فيسبح آدم بالتسبيح

(و يروى) أن الله تعالى أوحى إلى آدم لما أراد أن يهبط إلى الأرض يا آدم
إني منزلتك أنت وذريتك داراً مبيناً على أربع قواعـد أما الأولى فإني أقطع
ما تصلون وأما الثانية فإني مهرق ما تجمعون وأما الثالثة فإني أخرب ما تبغون
والرابعة أميت ما تلدون ولذلك قيل :

لدوا للموت وابنوا للخراب وكلكموا يصير إلى ذهاب

الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله إلى الأرض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) الآية (قال الشعبي) أنزل إبليس
من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شيء أعور في إحدى رجليه نعل .

(وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال إنما كره أن يتخصر في
الصلاة لأن إبليس هبط متخصراً .

(وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن إبليس قال
يا رب أخر جنتي من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسطائك قال فأنت
مسلط عليه قال يا رب زدني قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله قال يا رب زدني
قال صدورهم مساكن لك ونجعل منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال أجلب عليهم
يخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً
قال آدم يا رب قد سلطته على وإني لا أمتنع منه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا
وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدني قال الحسنه بعشر أمثالها وأزيدها
والسيئة بمثلها واحدة أو أمحوها قال يا رب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي
(وروى) أن إبليس قال يا رب لعنتني وأخرجتني من الجنة وجعلتني شيطاناً رجماً
مذموماً مدحوراً وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسل ؟ قال
السمكة قال فما كتبتي ؟ قال الوشم قال فما حديثي ؟ قال حديثك الكذب قال فما قرأتني ؟
قال قرأتك الشعر قال فما مؤذني ؟ قال مؤذني المزمار قال فما مسجدي ؟ قال مسجدك
السوق قال فما بيتي ؟ قال بيتك الحمام قال فما طعامي ؟ قال طعامك ما لم يذكر اسمي
عليه قال فما شرابي ؟ قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى ؟ قال مصايدك النساء

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراءى له إبليس)
(فرآه عياناً وكله شفاهاً)

يروى أن آدم التقى بإبليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له يا ملعون
أي شيء هذا الذي أحملت في غررتني وأخرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال
فبكي إبليس وقال يا آدم إني فعلت بك ما تقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بي
ما أنا فيه وأحلفي هذه المنزلة ؟

(و يروى) أن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنس بمصر في الحمام فأنكره
فرعون فقال لإبليس ويحك أما تعرفني ؟ فقال لا قال فكيف وأنت خلفتني أأست
القائل (أنا ربكم الأعلى) ،

(و يروى) أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل إبليس فقال أي الأعمال أحب
إليك وأبغض إلى الله تعالى فقال لو لا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك إني لست
أعلم شيئاً أحب إلي وأبغض إلى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة

و يروى عن النبي ﷺ أنه قال ما من آدمي إلا قد عمل خطيئة أو هم بها إلا يحيى
ابن زكريا فإنه ما عمل خطيئة ولا هم بها واقده قال رب أرني إبليس كما هو وأعزم
عليه أن لا يكتمني شيئاً سألته عنه فأوحى الله تعالى إلى إبليس أن أنت عبيدي يحيى
ابن زكريا كما هبط إلى الأرض ولا تسكتهم شيئاً يسألك عنه فأتاه وقال يا يحيى أنا
إبليس أمرني ربّي أن آتيك كما هبطت إلى الأرض فنظر إليه يحيى فإذا على رأسه
خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان بأكوار كور هنا وكور هنا وفي رجليه خلاخيل
فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك ؟ قال بها أخطف عقول بني آدم قال
فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحرکها لبني آدم حتى يغني أو يغني له قاله
فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر ؟ قال حين يمتلي شعباً ورأى قال فهل وجدت

في نفسي شيئاً قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم إليك طعامك ذات ليلة
وكنيت قد صمت فشهيتته إليك حتى أكلت أكثر من عادتك فتشأقلت عن وردك
وعادتك فقال يحي لا جرم لأشبع أبداً فقال إبليس لا جرم ولا أنصح آدمياً أبداً

(وقيل) لما مات رسول الله ﷺ وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا
الموضع .

قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما وضعت له ﷺ على المغتسل
إذا بهاتف بهاتف من زاوية البيت يا علي لا تغسلوا محمداً فإنه طاهر مظهر قال
غرق في قلبي من ذلك شيء وقلت ويلك من أنت ؟ فإن النبي ﷺ أمرنا بهذا وهذه
مدته وإذا بهاتف آخر بهاتف بأعلى صوته يا علي فإن الهاتف الأول كان الشيطان
حسد محمداً ﷺ أن يدخل قبره مغسلاً قال علي جزاك الله خيراً قد أخبرني أن
ذلك إبليس فمن أنت ؟ قال أنا الخضر .

(ويحكى) أن قوماً من بني إسرائيل ترامى لهم إبليس فقالوا له نف موقفاً
كنت تقفه بين يدي الله تعالى حسباً كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال إنكم
لا تطيقون رؤية ذلك فألحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا إليه وإلى خشوعه
وخضوعه ماتوا عن آخرهم .

(ويروى) أن رجلاً كان يلعن إبليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم
قائم إذا أتاه شخص وأيقظه فقال له قم فإن الجدار ما هو يسقط فقال له من أنت ؟
الذي أشفقت على هذه الشفقة ؟ فقال له أنا إبليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل
يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهادة عند الله تعالى نفشيت أن
تكون منهم فتعال معهم كما ينالون .

(الباب التاسع في قصة قابيل وها بيل)

قال الله تعالى (راتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً) إلى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين إن حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاماً وجارية إلا شيئاً فإنها ولدت مفرداً وكان جميع من ولدت حواء أربعين من ذكر وأُنثى في عشرين بطناً .

أولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثرت الله في ليل آدم كما قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) الآية قال ابن عباس لم يمضت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفاً ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وها بيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت قابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد

وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تهبط إلى الأرض فحملت بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحملاً ولا نصيباً ولا طلقاً حين ولدتهما ولم ترمعهما دماً لطهارة لبعثه فلما هبطا إلى الأرض واطمأننا بها فغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيها الوحمة والنصب والطاق والدم حتى إذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم ينزوج أي أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه فإنها لا تحمل له وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته إقليما في بطن واحد وها بيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما ستان في قول النكاح وأذكر كوا أمر الله تعالى ، أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل إقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجل النساء وأحسنهن خلقاً فذكر آدم ذلك لولداه هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هي أختي ولدت مني في بطن وهي أحسن من أخت هابيل فأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فأنا أحق بأختي

فقال له أبوه إنها لا تحمل لك فإني أن يتقبل ذلك منه وقال إن الله تعالى لم يأمره بذلك وإنما هو من رأيه فقال لها آدم قربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفر الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنته فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله ﷺ ولا كان دين آدم إلا دين نبيينا محمد ﷺ (إن الله تعالى أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما وولده بنت فسماها عناق فبغت وهي أول من اغنى في الأرض فسلط الله عليها من قبلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنيته من الجن يقال لها عمالة في صورة النسوة فخلق لها رحمة وأوحى الله إلى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حوراء في صورة النسوة وخلق الله لها رحمة وكان اسمها تركه فلما نظر إليها هابيل ورمقها أوحى الله إلى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال يا أي ألت أكبر من أخى وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

فقال لا وليكنك أثرته على بهواك فقال له إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ إذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها وإذا لم تقبل لم تنزل نار لا كالأكل السباع فخرجوا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أراد زرعاً واضمر في نفسه ما أبالي أيقبل أم لا لا يتزوج أخى أبداً وكان هابيل زاعياً صاحب ماشية فقرب كبشاً سميناً من خيار ماشيته ولبناً وزبداء واضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لأمره

وقال اسماعيل بن رافع أن هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب إليه منه وكان يعمل على ظهره فلما أمر بالقربان قرب به قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبداء واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لأنه لم يكن بزاكي القلب وقيل قربان هابيل لأنه زاكي القلب فما زال الكبش يرتفع في الجنة حتى فدى ابن إبراهيم فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) إلى قوله من المؤمنين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب

قاييل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغى وكان يضمهما قبل ذلك في نفسه إلى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالأمانة فأبت فقال للأرض والجبال فأبيا فقال ذلك لقاييل فقال نعم ترجع ونراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قاييل فذلك قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) يعني قاييل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه

قالوا فلما غاب آدم أتى قاييل إلى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلتك قال ولم ؟ قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنسكح أختي الحسنة وأنسكح أختك الذميمة فيتحدث الناس أنك خير مني وأفضل ويفتخر والدك علي ولدي فقال له هابيل وما ذنبي إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين

(قال) عبيد الله بن عمر وإن كان المقتول الأشد ولكنه منعه التحرح أن يبسط إلى أخيه يده قال الله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله) الآية أي طوعته وساعدته فقتله

قال السدي لما قصد قاييل قتل هابيل هرب منه في رموس الجبال ثم أتاه يوماً من الأيام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قاييل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعته وموضع قتله قال ابن عباس على جبل تود قال بعضهم على عقبة حراء

وحكى محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أن يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الأرض ثم القاه في الحفرة وواراه

وقا بيل ينظر إليه فلما رأى ذلك قال يا ويلقى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب
فأوارى سواة أخى فأصبح من النادمين يعنى على عمله لا على قتله .

(وروى) عن الأوزاعى قال حدثنى المطلب بن عبد الله بن حنطب الخزومى
لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه
كما تشرب الماء فناده الله أين أخوك ها بيل ؟ قال ما أدرى ما كنت عليه رقيباً
فقال الله تعالى إن دم أخيك لينادىنى من الأرض فلم قتلته أخاك ؟ قال فأين دمه إن
كنت قتلته فحرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً .

(عن الضحاك عن ابن عباس) قال لما قتل قابيل ها بيل وآدم بمكة اشتاك الشجر
وتغيرت الأطعمة وتحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث
فى الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل ها بيل فأشأ يقول وهو أول شعر .

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال الشعر فقد كذب على
الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وإن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم فى النهى عن الشعر
سواء قال الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ولكن لما قتل قابيل ها بيل
رثاه آدم وهو سريانى وإنما يقول الشعر من تكلم بالعربية قال آدم مرثيته فى ابنه
ها بيل وهو أول شهيد على وجه الأرض قال آدم لشيث يا بنى إناك وصي قاحفظ
هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان بن هود
عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الابل وتكلم
بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فإذا هو سجع فقال إن هذا ليقوم شعراً
فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فما زاد فيه شعراً ولا زاد ولا نقص
حرفاً من ذلك فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها
تغير كل ذى طعم ولون
وقاييل أذاق الموت هاييل
وما لي لا أجود بسكب دمع
وجاءت شعلة ولها رنين
لقتل ابن النبي بغير جرم
وجاورنا لعين ليس يفنى
فوجه الأرض مغير قبيح
وقل بشاشة الوجه الصبيح
فواحرزناه قد فقد المليح
وهاييل تضمنه الضريح
لهابها وقاييلها يصيح
فقلبي عند قتله جريح
عدو لا يموت فأنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا
وما يفنى البسكاه عن البواكي
فأبك النفس وانزل عن هواها
بموت ليس بالثمن الربيح
إذا ما المرء غيب في الضريح
فلمست مخلداً بعد الذريح

فأجابها إبليس لعنه الله شامتا بهما :

تفج عن البلاد وساكنيها
وكنت بها وزوجك في رخاء
فما زالت مكيدتي ومكرى
فلولا رحمة الجبار أضحي
ففي الجنات ضاق بك الفسيح
وقلبك من أخى الدنيا مريح
إلى أن فأتك الثمن الربيح
يكلميك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبي الجعد لما قتل قاييل هاييل مكث آدم مائة سنة لا يضحك
ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكاك قال ولما مضى من غار آدم مائة
وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قاييل هاييل بخمس سنين ولد له شِيث وتفسيره
هبة الله يعنى أنه خلف الله من هاييل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق
وكل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولى عهده وأما قاييل

فقل له اذهب فذهب طريداً شريداً فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته
إقليميا وذهب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتى إليه إبليس وقال إنما أكلت النار
قربان أخيك لأنه كان يخدم النار ويعبدها فأنت أيضا أنت ناراً تكون لك
وإعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها

قال وكان لا يمر واحد من ولده إلا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن
له فقال ابن الأعمى لآبيه هذا أبوك قابيل فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله قال فقال
ابن الأعمى إنه أبوك قرفح يده فلطمه فمات فقال الأعمى ويل لي قتلت ربي برميقي
وقتل ابني بلطمي قال مجاهد فملقت إحدى يدي قابيل إلى فخذهما وساقهما وعلقت
من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهت إلى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف
حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج

قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع التطبول والمزامير والطناير
وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والأوثان والفواحش حتى أغرقهم
الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الأخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته
أحد عشر يوماً وأوصى إلى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها إلى شيث وأمره أن
يخفي ذلك من ولده قابيل لأن قابيل قد قتل هابيل حسداً منه له حين خصه آدم
بتزويج أخته إقليميا فخاف عليه أيضاً أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فأخفى شيث
وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به

(وروى) أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم
من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فإذا قوم غليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين
(م ٣ - قصص الأنبياء)

عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل وإذا فيهم رجل يزهو وهو أضوأهم نوراً
فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب
زد في عمره قال لا إلا أن تزيد أنت من عمرك فقد جف القلم بأعمال بني آدم
وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك
كتاباً وشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة وجاء إليه ملك
الموت ليقبضه فقال آدم عجأت على يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت
أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال إنك قد وهبتها لابنك داود قال
ما فعلت ولا وهبت له شيئاً

فأنزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهوداً ثم إن الله أكل لآدم ألف سنة
وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله ﷺ نسي آدم فأنسى ذريته وجهده
فحدث ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ

(قال) ابن إسحق وغيره ثم إن آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي
الرحمن فتدفنه الملائكة وشيئ وإخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول
قرية كانت في الأرض فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله إليه بمحنوط وكفن من
الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاث
ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده

وقال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل
تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فأما نحن فهي في الصلاة
وأما نحن وعشرون فهي تفضيل لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن إسحق
في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار
يقال له الغار الكبير

(وروى) أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل تود بالهند
وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما
خرج نوح من السفينة دفن آدم ببית المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت
حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم .

(باب في المخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خالق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخطاه
في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قال (والذين والزيتون وطور سين
وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ولقنه الحمد حين عطس
ثم قال له يرحمك ربك فسبقت رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل
وأباح له جميع الجنة إلا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود
له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفة في الأرض وعرف الملائكة
فضله عليهما ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب بسببه وهو أول حامد
وأول تائب وأول محببى وأول مصطفى وأول خليفة لله في الأرض وهو المميز
للأرواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فيمض النار من ذريته فهذه
ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه عليه السلام وشرف وكرم والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي إدريس عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً) قال أهل العلم
بأخبار الماضين وقصص النبيين هو إدريس بن برد وقيل ياريد بن مهلائيل بن
هيمان بن أرش بن شيث بن آدم واسمه أخرون وسمى إدريس لكثرة درسه
الكتب وصحف آدم وشيث وأمه اشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم وأول
من خاط الثياب ولبس الخيط وأول من نظر علم النجوم والحساب بعنه الله تعالى
لأبى وأبى قابيل ثم رفعه الله لأبى السماء .

قاله على ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يا رب إني مشيت في الشمس يوماً فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من نفسه خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت على حر الشمس فما حال الذي قضيت عليه فيه قال تعالى إن عبادي لإدريس سألتني أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبتني إلى ذلك فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه حلة فأذن الله تعالى له فكان لإدريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرني أنك أكرم الملائكة على ملك المارت وأمكنهم عنده فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فأزداد شكراً وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها

قال قد علمت ذلك وليكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك ثم حملة الملك على جناحه حتى رفعه إلى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم إنه أتى إلى ملك الموت فقال له لي إليك حاجة فقال أفعل لك كل شيء أستطيعه فقال لي صديق من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلي ولكن أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم في نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فأخبره بإسمه وقال إنك كلمتني في إنسان ما أراد يموت أبداً قال وكيف ذلك قال إني لأجده يموت عند مطلع الشمس قال فإني أتيتك وتركته هناك فقال له انطلق فلا أراك بحمد إلا وقد مات والله ما بقي من أجل لإدريس شيء فرجع الملك فوجدته ميتاً

(قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعهم في زمانه فمجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان لإدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكروه وقال له في الليلة الثالثة إني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك

فقال إدريس لى إليك حاجة قال وماهى قال قبض روحى فأوحى الله تعالى
إليه اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله تعالى عليه ساعة فقال
له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمه
فأكون له أشد استعدادا ثم قال لى إليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى
إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى
إليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكما يفتح لى أبواب النار حتى أردها
ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتحها
ففتحت له أبوابها فدخل فقال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق
بشجرة وقال لا اخرج منها ، فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك
لا تخرج لأن الله تعالى قال (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته وقال تعالى (وإن
منكم إلا واردها وقد وردتها) وقال تعالى (وما هم منها بمخرجين) فلمست اخرج
فقال الله تعالى لملك الموت دعه فإنه بإذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى
هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله اعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) الآية قال اهل
التفسير إن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مده زوال
ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم
يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم
سليمان إلا بهذا

قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة إنسان فأتى زمرا من بنى إسرائيل
فقال هل ادلكم على كنز لا يفنى أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان
وذهب معهم فأراهم المكان وقال ناحية فقالوا له ادن فقال لا وليكن ههنا فإن لم
تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسى إلا احترق

تفحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما اخبروها قال الشيطان إن سليمان كان يضبط
الجن والانس والشياطين والظير به — هذا ثم طار الشيطان وذهب واما علماء
بنى اسرائيل وصالحوهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان فإن كان هذا
علمه فقد هلك سليمان واما الجاهل والسملة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب
الانبياءهم فأنزل الله هذه الآية لإظهارا لعذر سليمان وبياناً لإبراءته فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

قال المفسرون إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من اعمال بنى آدم
الخبیثة وذنوبهم السكثيرة وذلك فى زمن إدريس عليه السلام عيروهم بذلك
وانكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلعا فى الارض واخترتهم فهم
يعصونك فقال تعالى لو انزلناكم إلى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعالتهم
مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى
اختاروا ملكين من خياركم اهبطهما إلى الارض فاختاروا هاروت وماروت
وكانوا من اصالح الملائكة واعبداهم

قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا الملائكة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت
وعزاييا وهو ماروت وعزريائيل ولما غيرا اسمهما لما اقترفا من الذنب كما
غير الله اسم إبليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التى ركبتها
نقى بنى آدم واهبطهم إلى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن
الشرك والقييل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزريائيل فإنه لما وقعت
الشهوة فى قلبه استقبل ربه وسأله ان يرفعه إلى السماء فأثاه ورفعاه وسجد
اربعةين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطاطاً رأسه حياء من الله تعالى
واما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فإذا امسيا ذكرا
اسم الله تعالى الاعظم وصعدا إلى السماء

قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتننا وذلك انه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة
وكانت من اجل النساء قال على رضى الله عنه كانت من اهل فارس وكانت ملكة

في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراودها عن نفسها فأبت والصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فقالت لا إلا أن تعبد ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشرب الخمر فقالا لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها فالصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل إليهما ما فيها فراودها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالأسف فقالوا الصلاة لغير الله أمر عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر بشرب الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فآههما إنسان فقتلاه .

قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فسخ الله الزهرة كوكبا وقال على رضى الله عنه والسدى والكلبى إنها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به إلى السماء فقالا لا تصعدا إلا بالإسم الأعظم فقالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه قال أحدهما اصاحبه عليهما فقال إني أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله تعالى فعلماهما ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فسخها الله تعالى كوكبا .

(وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي ارمق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلعت فأيقظني فلما طلعت أيقظته فلما نظر إليها سبها سبها شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما ساطعا مطيعا فقال إن هذه كانت بغيا فلقى الملك منهما ما أقيما وكذلك قال ابن عباس وأنيكر الآخرون هذا القول وقالوا إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) وإنما كانت المرأة التي فتنت هاروت وماروت تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لها الاسم فلمنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله ﷺ هذا النجم الموافق لإسمه لإسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما فارقا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا إلى إدريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله تعالى وقال له لا نار أيناك

يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله تعالى
ففعّل إدريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا عذاب
الدنيا لأنه ينقطع فهما ببابل يعذبان .

(واختلف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما
إلى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما وقال بجاهد ملء
حطب نارا فجعلوا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان
بسياط الحديد .

(وروى) أن رجلا قصدتهما لتعليم السحر فوجدتهما معلقين بأرجلهم موزقة
أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربعة أصابع وهما يعذبان
بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقالا له إلا الله فلما سمع كلامه قال لا إله إلا
الله قال من أنت قال رجل من الناس قال له ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم
فقالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال بعم فحمدا الله تعالى وأظهما الاستبشار فقال الرجل ومم
استبشار كما قالوا إنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا .

(وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت
تقتبني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر وما
تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله فمكنت
تبكي حتى رجعتا ثم قالت إني أخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج
غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت إن فعلت ما أمر لك به جعلته يأتيك
فلما كان الليل جاءتنى بكلمين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن
كثير حتى وقفنا ببابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم
السحر فقال إنما نحن فتنة فلا تسكفري فأرجعني من حيث أتيت فقلت لا فلا فاذهي
إلى التنور فبولي فيه فذهبت لأبول ففرغت فلم أفعل فرجعت فقلت فقلت نعم
فقالا هل رأيت شيئا فقلت لم أر شيئا قالا فأرجعني إلى بلادك ولا تسكفري فأبى فقلنا
اذهبي إلى التنور فبولي فيه فذهبت فأقشعر جلدي ونفخت ثم رجعت إليهما فقلت

قد فعلت فقالت ما رأيت قلت لم أرى شيئاً قال كذبت لم تفعلى فارجمنى إلى بلادك ولا
تمكفرى فإنك على رأس أمرك فقلت لا فقال لا لى اذهبي إلى التنور فبولى فيه فذهبت
إليه فبالت فيه فرأيت فارساً مقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب السماء وغاب حتى
ما أراه فجئت بها فقلت قد فعلت قال فما رأيت ؟ قلت رأيت فارساً مقنعا بالحديد خرج
منى وذهب فى السماء فلم أره قال صدقت ذلك إيمانك خرج منك فاذهبي فقلت والله
ما أعلم شيئاً ولا قال لى شيئاً فقال لا تردى شيئاً إلا كان خذى هذا القمح فابذريه
فبذرت ثم قلت له اطلع فطلع فقلت انحصد فحصد فقلت انفرك ففرك ثم قلت
له انطحن فطحن ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت أننى لا أريد شيئاً إلا كان سقط
فى يدى فرجمت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً .

قال الأوزاعى بلغنى أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال يا جبريل صف
لى النار فقال إن الله تعالى أمر أن يؤقد عليها الف عام حتى احترت ثم أوقد عليها الف
عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهيبها والذى بعثك
بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لما اتوا جميعاً ولو أن ذنوباً
من شرابها صب فى ماء الأرض جميعاً لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التى
ذكرها الله وضعت على جبال أهل الأرض جميعاً لذابت وما استقلت ولو أن رجلاً
دخل النار وخرج لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى
النبى ﷺ وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكى وأنت
الروح الامين أمين الله على وحيدته قال أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت
وماروت فهذا الذى منعنى من التمسكى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت
مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد
أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وأن فضل محمد ﷺ على سائر الانبياء كفضل جبريل
على سائر الملائكة .

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه) الآية وهو نوح بن المالك متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه أقينوش بنت راكيل وقيل بنت كاييل بن مخوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى إلى ولده قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل فيهم صباحة وفي نساءهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فاجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ إبليس شيئاً مثل الذي يؤمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فباغ ذلك من حوله ثم هاتواهم إليه مستمعين إليه واتخذوه عيداً يجتمعون إليه في السنة فتبرج النساء للرجال والرجال لهن وهو قوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى).

(قال ابن عباس) كان آدم أوصى أن لا يناكح بنو شيث بنى قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظاً لئلا يقرب به أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بنى شيث صباح يوم لو نظرنا ما فعل بنو عمننا يعنون بنى قابيل فهبط المائة إلى نساء السهل صباح الوجوه من بنى قابيل فاحتبس النساء والرجال ثم مكثوا ما شاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل أخواننا فهبطوا من الجبل إليهم فاحتبسهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكبر بنو قابيل حتى ملئوا الأرض وأكثروا الفساد فبعث الله إليهم نبيهم نوحاً بن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى ويخوهم بأبيه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله (قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدكم دعائي إلا فراراً) وقال تعالى (وقوم نوح من قبل لم يؤمنوا قوما فاسقين).

(وروى) الضحاك عن ابن عباس أنه قال إن نوحاً كان يضرب ثم يلف في

ليد ثم يلقى في بيته فيرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى آيس من إيمان قومه
فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر إلى هذا الشيخ إياك
أن يغرك فقال يا أبت مكنتي من العصا فأعطاها العصا فقال ضعني في الأرض فوضعه
فمشى إليه فضربه بالعصا .

فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فإن لم يكن لك في عبادك حاجة
فأهدهم وإن لم يكن غير ذلك فصبرني إلى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين
فأوحى الله إليه أنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون فأيسه من إيمان قومه وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام
النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال (رب إنهم عصوني) الآية إلى قوله
(ولا تذرن وبدأ ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) وهم أسماء
أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى (رب لا تذر على الأرض
من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)
وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أي هلاكاً ودماراً فأجاب الله دعاءه
وأمره بأن يصنع الفلك كما قال الله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) .

ثم بعث الله جبريل يعلم نوحاً صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب
الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرّون عليه وهو في عمله
فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون
إلى هذا المجنون يتخذ بيتاً يسير به في الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى (ويصنع
الفلك وكلامه عليه ما لا من قومه سخروا منه) فيقول نوح (إن تسخروا منا فإنا
نسخركم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم) وأوحى الله إلى نوح أن عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني
قاسم أجرة نوح أجراً يعملون معه وأولاده سام وحام وياث ينحتون معه السفينة
فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثة
وثلثون ذراعاً هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلّاهما بالقار داخلها

وخارجها وشدها بالدر وهو مسامير الحديد وذلك قوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر) وفجر الله له عين القار بحب السفينة فغلى غلياناً حتى طلاه به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله إليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كماها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله نوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد اليه فقال إذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك في الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى (فإذا جاء أمرنا وفار التنور) أي عذابنا وهو الطوفان (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) الآية.

وقال ابن عباس كان التنور بالهند والنوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمر الله تعالى.

(قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوماً وليلة فأقبلت الوحوش والطيور والدواب إلى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منهما من كل زوجين اثنين فمكث أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق إبليس بذنبه فلم تستقر رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فانمض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك كلمة ذل بها أساءه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك فقال أخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك لك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين لأنه من عبادنا المؤمنين)

(عن وهب ابن منبه) قال لما أمر الله تعالى نوحاً أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالأسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى من ألقى بينهم العداوة؟ قال أنت يا رب قال فأنا أولف بينهم حتى لا يضاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الأولى فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل:

وما الكلب محموماً وإن طاله عمره لعمرك ما المحموم دوماً سوى الأسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شيء واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى (ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة من بنيهم سام وحام ويافث ونساءهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فهدما نوح ربه فتخيرت نطفته فجاء بالسودان .

(قال السكبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب السكبي على السكبية فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاثة كنهان له وقال ابن إسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح وبنيه سام وحام ويافث وستة أناث ممن كانوا آمنوا معهم وأزواجهم جميعاً .

وقال ابن عباس فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينا بيع الأرض والغوط الأكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال الله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) يعني التقى ماء السماء وماء الأرض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الأرض حتى كثر واشتد وكان بين إرسال الماء واحتمال الماء الفلك أربعين يوماً وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح (وكان في مهزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سأوى إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وكان عهد كنعان بالجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين) وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً .

(وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال د لورحم الله أحداً من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك أنها خشيت عليه من الماء وكانت تحبها حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت قمته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتهما رفعتة بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله أحداً منهم لرحم هذه .

قالوا ثم ظافت السفينة بأهلها الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً وقد رفع الله البيت الذي كان يحججه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور ونخباً جبريل الحجر الأسود في جبل أبي قبيس فلما ظافت السفينة بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه .

قال مجاهد تشاغت الجبال وتطاوت لئلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعاً وتواضع لأمر ربه الجودي فلم يفرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى (واستوت على الجودي) (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الأرض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والأشجار فلم يبق شيء من الحيوانات إلا نوح ومن معه في الفلك إلا عوج ابن عنق فذلك قوله تعالى (وقيل بعد القوم الظالمين) أى هلاكاً . (وقيل يا أرض أبلعي ماءك) أى انشقي (ويأسماء أقمعي) أى احبسى ماءك (وغيض الماء) أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الأرض لأنها آخر ما بقي في الأرض من ماء الطوفان وبقي في الأرض أربعين سنة ثم ذهب .

(وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كشيبي من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .

قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب السكيب بعصاه وقال له قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأبا شاب ولكن ظننت أنها الساعة فمن ثم شئت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمر ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه فلما كثر الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك أنه ترأله في السفينة أوحى الله تعالى إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد يبست قال بعث نوح غراباً يأنيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فذلك لا يالف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق الزيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تسكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا تنطلق به إلى أهلنا فيجلاس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لارزق له ؟ ثم قال له عد بإذن الله تعالى فعاد تراباً .

قال أهل التاريخ أرسل الطوفان لثلاثة عشر يوماً نخلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتتمة ألفي سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلوان من رجب ونخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه في الفلك سالمين صام نوح وآمن جميع من معه من الإنس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكراً لله تعالى ويقال إن نوحاً وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر إلى الماء فأمروا بالاكتمال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة .

(عن ابن عباس) قال قال رسول الله ﷺ من اكتمل بالاثم يوم عاشوراء لم ترمد عينيه أبداً ، فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ من ناحية من الأرض الجزيرة موضعاً وأبطن هناك قرية سموها سوق ثمانين لأنه كان ابطن فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى بسوق ثمانين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا يعود الطوفان إلى الأرض أبداً وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم قبضه الله تعالى إليه (و يروى) أنه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال (كبئت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساماً وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساماً وهو بكره فقال يا بني أوصيك بإثنين وأنهاك عن لائتين فأما اللذان أنهاك عنهما فالإشراك بالله والكبر فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فإني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى قول لا إله إلا الله وسبحان الله فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ إلى ربها ولو جمعت لا إله إلا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون .

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمسة عشرة خصلة لم يسم أحداً من الأنبياء بإسمه وسمى بذلك لسكينة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع إلى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبه أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الأرض كلهم بدعائه ويقال إن الله تعالى أوحى إليه بعد الطوفان إني خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتى فانتهمكوا معصيتى فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقى وقد حلفت إني لا أعذب بمثل هذا العذاب أحداً من خلقى بعدها ولكن جعل الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم بأعمالهم إذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمراً وقيل له أكبر الأنبياء وشيخ المرسلين وعمر ألف

سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبلغ أحدهم الرسل في الدعوة مثل ما بلغ
وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وسراً ولم يلق نبي من أمته من الضرب
والشتم والأذى والجفاء مثل ما لقي فلذلك قال الله تعالى (وقوم نوح من قبل لمهم
كانوا قوماً فاسقين .

وجعل ثانياً المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي قال الله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين
من بعده) هو في البعث أول من تذاشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ وأعطاه
الفلك وعليه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكوراً فقال تعالى
(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) وأكرمه بالسلامة والبركة فقال
تعالى (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية .

(قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام وكل مؤمن ومؤمنة إلى
يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل .

(وروى) عن الحسن بن سمره بن جندب قال قال رسول الله ﷺ د ولد
نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السود
ويافث أبو الترك ويأجوج وماجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يمدو
شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح
وذريته من الملك قسم الأرض بين ولده أثلاثاً فجعل لسام وسط الأرض ففيها
بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيهون وذلك ما بين قيسون إلى
شرق النيل وبين بحري الجنوب إلى بحري الشمال وجعل لحام قسمة غربى النيل وما بين
بحري ريح الجنوب وما وراء إلى سيحون إلى بحري ريح الدبور وجعل قسم يافث
من قيسون فما وراء إلى بحري الصبا فذلك قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين
وتركناهم عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه
من عبادنا المؤمنين) :

(م ٥ -- قصص الانبياء)

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى عاد أخاهم هوداً) إلى (تتقون) وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الأول وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشجر والاحقاف كما قال الله تعالى (راذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر) الآية وهو رمال يقال له رمل عاج وهو ما بين عمان إلى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فسدوا في الأرض وكثروا وقهروا أهلها لفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أي عظماً وطولاً وقوة وشدة .

وقال محمد بن إسحق بن يسار وهو د بن عامر بن شالح بن أرخشذ بن سام بن نوح وولد لشالح عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه إلهاً غيره وأن يكفوا عن ظلم للناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى (أتبنون بكل آية تعيثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضربهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند يده الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم ليجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم بمكة عارف بحرماتها وسكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وإنما سموا العماليق لأن أباهم عماليق ابن سام بن نوح وكان سيد العماليق وإذ ذاك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية إسمها ناهدة بنت أجبيري رجل من عاد فلما قحط المطر من عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفداً إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عازن والقيم بن هزال بن هزيل وعبيد بن ضد بن عاد الأكبر ومرثد بن عفير وكان مسلماً كنتم لإسلامه وجهامة بن الخبيري .

قال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضاً لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الأكبر فالطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قبيحتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومه يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفى والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستمعى أن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه فيظنون أنه ضيق من مقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً فشكا ذلك من أمرهم إلى الجرادتين فقالتا له قل شعراً تغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر :

ألا يا قيل ويحك قم فميتهم	لعل الله يمنحنا غلاماً
فتسقى أرض عاد إن عاداً	قد أمسوا لا يبينون الكلام
من العطش الشديد فليس ترجوا	به الشيخ الكبير ولا الغلام
وقد كانت نساؤهموا بخير	فقد أمست نساؤهموا عيامى
وإن الوحش يأتيهم جواراً	ولا يخشى لعداى سهام
وأنتم هنا فميتهم	نهاركموا وليامكموا تمام
فتبجح وفدهم من وفد قوم	ولا لقوا النحية والسلام

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومه يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرّاً إنكم والله لا تسقون بدعائكم وإن أطعتم نبيكم وأنبئتم إلى ربكم سقيتم فأظهر إسلامه عند ذلك وقال جهامة بن الحخيرى خال معاوية حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود عليه السلام

أيا سعد فإنك من قبيلى	ذوى كرم وأملك من ثمود
فإننا لا نطيعك ما بقينا	ولسنا فاعلين لما تريد

أنا مرننا لنترك دين رفد ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين أباء كرام ذوى رأى وتبع دين هود

ثم قال لماوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخاً كبيراً احبسا عنا مرثد بن سعد
حتى يقدم معنا مكة فإنه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا إلى مكة يستسقون
لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة
قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا إليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد
أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطنى سؤلى ولا تدخلنى فى شيء مما يدعو وقد عاد
وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم اعط
قيل ما سألك واجعل سؤالننا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم
يدخل فى دعوتهم فقال اللهم إني جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى .

وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجدى لمريض فأداويه ولا لاسير
فأفاديه اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد
هلكنا فأنشأ الله سحباً ثلاث واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء
ناداه مناد من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث
فقال قيل اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناده المنادى يقول
اخترت يا قيل رماداً رمداً فلم تبق من آل عاد أحداً لا والداً تتركه ولا ولداً
لا جعلتهم رمياً همداً إلا بنوا اللويذة المهدا وبنو اللويذة رهط من هزال بنى هزىل
ابن بكر وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد
الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى
خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا
عارض مطرنا فقال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل
شئ بأمر ربها) أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح
مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تذبذبت ما فيها من العذاب صاحت ثم صمعت
فلما أفاقت قالوا لها ما رأيت؟ قالت رأيت ريحاً فيها كشمس النار أمامها رجال يقولونها

(أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا إسماعيل بن عيسى أنبأنا إسحاق بن بشر أخبرني المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد ففثتهم لهم منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض عما يلي المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب إن يطيقوها ولو خرجت على حالها لأهلك ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله إليهم أن يرجعوا فخرجت على قدر خربة الخاتم وهي الحلقة قال ففسخها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي دأمة متتابعة فلم تدع أحداً من عاد إلا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيدونهم من الريح إلا ما يلين جلودهم ولذ به الأنفس وأنها من عاد لظمن فتحمّلهم ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا قال محمد بن إسحاق السدي : بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فتبارت البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فمهلكوا ، فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سوداء لتلقونهم في البحر فألقتهم فيه (قال) ابن بشر لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم أحدهم الخليلان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فنزلها فجعلت الريح تدخل إلى تحت الواحد منهم فتحمّله ثم ترمي به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية) حتى لم يبق منهم إلا الخليلان قال إلى الجبل فأخذ بجانب منه فمزقه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول :

لم يبق إلا الخليلان نفسه يالك من يوم دهاني أمسه

فقال له هود ويحك يا خليلان أسلم تسلم فقال مالي عند ربك إذا أسلمت ؟ قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كأنهم البخت ؟ قال هود ذلك الملائكة قال إن أسلمت أيقيني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملائكة

يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت فجاءت الرياح فالحقته بأصحابه وأهلكته
وأفنى الله عاداً سبوى من بقي من قومهم بمكة ونواحيها.

قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما
هم عنده إذ أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة من أنصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد
فقالوا له أين فارقت هوداً وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكلمهم شكروا فها
حدثتهم به فقالت هرقة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنصور بن يعقوب بن أخي
معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لارثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عمرو
دعوا بمكة قد أعطيتهم منها فاختاروا لأنفسكم فقال لارثد اللهم اعطني براً وصدقة
فأعطى ذلك وقيل قال اختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا أباي
لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فأصابه الذي أصاب عاد من العذاب فهلك وقال لقمان
يا رب اعطني عمراً فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بقرات سمان ثمور اظب عقر لا يمسها
القطر أو عمر سبعة أنسر إذا مضى نسر حولت إلى نسر آخر فاستحق بقاء الأبقار
واختار عمر النسر فعمر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته
فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى
أتى إلى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلم يبق غير السابع .

قال ابن أح لقمان يا عم لم يبق من عمرك إلا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخي
هذا أبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسر غداة من رأس
الجبيل ولم ينهض لبد فيها وكان نسر لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبد لم ينهض
مع النسر ونام إلى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهذا ولم يكن
يجده قبل ذلك فلما انتهى إلى الجبل رأى نسر لبد واقفاً بين النسر فتأداه أنهض
لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل (أق أبد
على لبد) وقال النابتة الذيباني :

ضجعت قفاراً وأضحى أهلها احتملوا أخى عليها الذي أخى على لبد

وقال محمد بن إسحاق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذي أخبر
بإهلاك عاد شعراً :

عصت عاد رسولهم فأمرسوا	عطاشاً ما تبلهم السماء
وسير وفدكم شهراً ليسقوا	فأردفهم مع العطش العناء
بكرمهم برهم جوارا	على آثارهم عاد الصفا
ألا نزع الإله حلوم عاد	فإن قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن إذا عصوه	وما تفي النصيحة والشقاء
مغفسي وإبتأى ولم ولي	لنفس نبينا هود فداء
أنانا والقلوب مغميات	على ظلم وقد ذهب الضياء
إنا صمم يقال له بصود	يقابله صدى والهناء
فأبصره الذين له أنابوا	وأدرك من يكذب الشقاء
رواني سيف الحق آل هود	ولأخوته إذا جن المساء

ثم لأنه لحق بهود ومن معه وبقي هود فاشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن وائلة سمعت علياً رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كتيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثيرة يتأحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين إنك لتنته لي نعت رجل قد رآه قال لا ولاكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام .

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي الغرابي أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندی أنبأنا يوسف بن محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبياً وأن قبر هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة .

(مجلس في قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) وهو ثمود بن عامر بن لارم بن سام ابن نوح وهو أخو جديس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلام سميت ثمود لقلة ماؤها والنهد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن إسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهيب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عاداً الأولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الأرض خلوا فيموا وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يلقى المسكن من الحجر والبر فيندم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فاحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا في سعة من معاشهم .

كما قال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعشروا في الأرض مفسدين) .

خالفوا أمر الله وعبدوا غيره فافسدوا في الأرض فبعث الله إليهم صالحاً نبياً وهو صالح بن عبيد بن آصف بن ماسح بن عبيد بن خاذر بن ثمود وكانوا قوماً عرباً وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فبعثه الله تعالى إليهم رسولاً فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فلم يتبعه إلا قليل مستضعفون فلما أوحى إليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون صدقة لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم آية تريدون ؟ قالوا تخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعون إلهك وتدعوا آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم ؛ فخرجوا بأصنامهم إلى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أصنامهم وسألوها أن لا يستجاب لصلح في شيء مما يدعونه .

ثم قال جندع بن عمرو بن حواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال من ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مختبرية جوفاء وبراء عشرة والخمسة ما شاكت البخت من الإبل فإن فعلت ذلك صدقتك وآمننا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه إذا فعل ذلك صدقوا وآمنوا به .

ثم أن صالحاً عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمنعت الصخرة تمنع التنوج بولدها ثم تحركت الهضبة فصعدت عن ناقة عشواء جوفاء وبراء كما سأله لا يعلم ما بين جديهما إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت سقيا مثلاً في العظم فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويبيعوا معه ففهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحباً أو ثائهم وذؤاب بن صهر وكانوا من أشراف ثمود وكان جندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يعلم ففهم أولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من ثمود :

وكانت عصابة من آل عمرو	إلى دين النبي دعوا شهاباً
عزيز ثمود كلهم جميعاً	فهب أن يجيب ولو أجاباً
فأصبح صالح فينا عزيزاً	وما بدلوا بصاحبهم ذؤاباً
ولكن الفواة من آل حجر	نالوا بعد رشدهم ذؤاباً

فلما خرجت الناقة قال صالح (هذه ناقة لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم) فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فمكثت ترد الماء يوماً ولهم يوم فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال له بئر الناقة فيرتفع الماء إليها فما ترفع رأسها إلا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتفجج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ماشاؤا فيشربون ويدخرون ويعلمون أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لأنه يضيق عليها .

قال أبو موسى الأشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته سمين مفراعاً فإذا كان الغد من يومهم - شربوا - من الماء وقد أخرجه الله تعالى من البئر

وأدخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا مع ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف إذا كان الحر أطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم ويقومون ولا يلهم وتربط إلى بطن الوادي في حره وحدته فكانت المواشي تنفر منها إذا رأتها إذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادي في البر والحدة فأضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختيار فكانت مراتعهم الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على الناقة فاحتالوا في عقرها .

وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنيم بن عثك وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهمل وكانت امرأة ذؤاب بن عثر وكانت عجوزاً مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الإبل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت الحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواشي كثيرة وكانت هاتان المراتان من أسد الناس عداوة لصالح وكانتا تحتالان على عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهم وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صقيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فأبلم وحسن إسلامه وكانت صدوق قد وضعت إليه مالها فأنفقته على من أسلم من أصحاب صالح عليه السلام حتى نفذ المال فأطلع صدوق على إسلامه فماتت به على ما فعل فأظهر لها دينه ودعاها إلى الله تعالى فأنت عليه وأخذت أولادها فغيبيتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما ألتح عليها قالت حتى أحاكك إلى بني عمي وذلك أن بني عمهم كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمهم إليهم فقال لها بنو عمها والله لتمطينه ولده طائفة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده وكانت أوفر الناس جالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كالا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف أهل قرح واسم أمه قديرة وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً ويزعمون أنه كان لزانية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولي لكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار أعطيتك من بناتي أيما شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً في قومه وذكره رسول الله ﷺ وإذا نبتت أشقاها ورجل عزيز في قومه مثل أبي ذمة .

قالوا فانطلق قدار ومصدق واستعانوا بمن استعانوا من ثمود فأتبعهم سبعة نفر
وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض
ولا يصلحون) فأتهم هديات بن مبلخ خال قدار وكان عزيزاً من أهل الحجر ودعر
ابن غنم بن داغرة أخى مصدع وخمسة لم يذكر أسماءهم فاجتمعوا على عقر الناقة .

قال السدى وغيره أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك
فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم لأنه سيولد في شهركم هذا غلاما يعقرها ويكون
هلاكمكم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد إلا قتلناه فولد
التسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للماشرا بن فأب أن يذبح
إبنة وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن الماشر أزرق أحمر فنبئت نباتاً
سريعاً وكان إذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا
أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم
فقتلهم بالله لنبيته وأهله قالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا لسفر فأتى الغار
فتمكن فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أئذناه فنقلته ثم رجع إلى
الغار فتمكن فيه وتصرف بعد ذلك رجالنا فنقول ما شهدنا سمك أهله وإنا
لصادقون في صدقونا ويظنون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام الليل
مهم في القرية وكان يأوى إلى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه بالليل فإذا
أصبح أتاهم ووعظهم وذكركم فإذا أمسى خرج إلى المسجد فصلى فيه .

فلما دخلوا الغار وأضروا أنهم يخرجون إليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم
صخرة من الغار فقتلتهم فالتطابق رجال من كان قد اطلع على ذلك إلى الغار فإذا هم
مريض فرجعوا يصيحون في القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم
حتى قتلهم فاجمع أهل القرية عقر الناقة .

(قال) ابن إسحق إنما كان تهايم التسعة على تبديت صالح عليه السلام بعد
عقرهم الناقة وإلذار صالح إليهم بالهدايا وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا

هلم فليقتل صالحاً فإن كان صادقاً كسنا عجلنا قتله وإن كان كاذباً كسنا الحقناه فأتاه
ليلاً فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله فرميتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطتوا على أصحابهم
أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح
أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته وأخذوا السلاح وقالوا والله لا تقتلونه أبداً
فقد وعدكم بأن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقاً فلم تزدوا ربكم عليكم
إلا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليأتهم تلك

(قال) السدي غيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدار وكان يشب في كل يوم
شباب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب
غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيدون الشراب فأرادوا ماء يمزجون به
شربهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء شربة الناقة فاشتد عليهم ذلك
وقالوا ما نضع باللبن ولو كسنا نأخذ الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا
وحرثنا كان خيراً لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم

(قال) ابن إسحق وغيره فالطاق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا
الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقهما وكمن لها
مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة
ساقها وخرجت أم غنمة وعذيرة وأمرت لبنها وكانت من أحسن الناس وجهاً
فترأت لقدار وأسفرت عن وجهها لو حرضته على عقر الناقة فشدد عليها بالسيف
فكشف عرقوبها فأرداها وطعن في لبنها ونحرها وخرج أهل البلد واقتسموها
وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقيم ذلك انطلق حتى أتى جبلاً
منيعاً يقال له ضوه وقيل اسمه فارة

وروى ذلك مسنداً عن رسول الله ﷺ من حديث شهر بن حوشب عن حمير
ابن خازجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدركت عاقبتك قد عقرت فأقبل وخرجوا
يتلقونه ويعتذرون إليه ويقولون يا نبي الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم

صالح انظروا هل تدركون فصيحاً فإن أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا
يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا إليه ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتطاير في
السماء حتى لا تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالبت
دموعه ثم دعا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام ليكل أمة
أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب يا صالح

قال محمد بن إسحق بن يسار أتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة
وفيهم مصداق وأخوه ذؤاب ولد مخرج فرماه مصدع بسهم فأنظلم قلبه ثم جره
برجله فأنزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال له صالح عليه السلام انتم كنتم حرمته الله
فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح ولما آتاه
ذلك وكان يسمون الأيام فيوم الأحد الأول والإثنين أهون والثلاثاء ديار والاربعاء
جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر: يا صالح

أومل أن أعيش وأن يومي بأول أول بأهون أول جبار
أو المردى ديار فإن أفه مؤنس ذؤاب شبار مؤنس

قالوا وكان عقر الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوهم عن
وقت العذاب وآيته إنكم تصبحون غرة مؤنس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم
العروبة وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
يوم الأول فأصبحوا يوم الخميس وجوهكم مصفرة كما نما طليت بالخلق صغيرهم
وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه
ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام من بابه حتى لحق ببطل من قومهم فقال لهم: بتوا غنم
قنزل على رجل منهم يقال له: نقيز ويكنى أبا هذيل وهو مشرك فقتلوه عنقه فلم
يقدروا عليه فعدوا على أصحاب صالح يذبحونهم ليدلوه عليه فقال من أجل أن
أصحاب صالح يقال له: مبدع بن هرم يأنى الله إنهم ليعذبوننا فلذلك نلهم عليهم أفند لهم

قال نعم فدلهم عليه مبدعاً فأنوا أبا هذب فكلّموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس
لكم إليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه
فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يزون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد
مضى يوم الأجل فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم حمرة كأنما خضبت بالدم
فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا فإذا وجوههم
مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعاً ألا قد حضركم العذاب .

فلما كان ليلة الأحد خرج صالحاً عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من
آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبحوا تسكفونوا وتحنطوا وكان
حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالأرض فجعلوا
يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة ولا يدرون من أين يأتيهم
العذاب فلما أشد الضجى من يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل
صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق
فيهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال عز وجل (فأصبحوا في دارهم جاثمين) كان
لم يغنوا فيها إلا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لنمود) ولم ينبج منهم إلا جارية
مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق لها
رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع شيء يكون حتى أتت قرحاً
وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز والشام فأنخبتهم بما عاينت من العذاب وما
أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فلما شربت ماتت .

(وروى) أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي ﷺ بالحجر في
غزوة تبوك قال لا صحابه لا يدخلن أحد هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا
تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا بأكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم
قال أما بعد فلا تسألوا رسوليكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم رسولهم الآية
فنبئت الله لهم الناقة .

وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك
أنه انتقل من الشام إلى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك
حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة .

(أخبرنا) محمد بن عبد الله بن محمد الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا
وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال
رسول الله ﷺ يا علي أتدرى من أشقى الأولين قال قلت الله ورسوله أ لم قال
حافر الناقة قال يا علي أتدرى من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال
قاتلك والله أعلم .

(مجلس في قصة إبراهيم عليه السلام والنمروذ)

وهو إبراهيم بن تازخ بن ناحور بن ساروغ بن ادغو بن قالع بن عابر بن
شالح بن قينان بن أرخشدد بن سام بن نوح وكان اسم أبي إبراهيم الذي سماه به
أبوه تازح فلما صار مع النمروذ قيعاً على نخزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد إن
آزر ليس اسم أبيه وإنما هو اسم صنم وقال ابن إسحاق ليس اسم صنم بل هو لقب
عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالقبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد
ما مضى من عمره سبع وعشرين سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم .

(الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من
أرض الأهواز وقال بعضهم كان مولده ببال من أرض السواد بناحية يقال لها
كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية حدود كسكر ثم نقله أبوه إلى
الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثة وقال بعضهم كان مولده بجران ولكن
نقله أبوه إلى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد إبراهيم عليه السلام
في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم عليه السلام ألف
ومائتان وثلاث وستون سنة ونمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام

ابن نوح (ويقال) ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان فسلیمان
ابن داود وذو القرنين عليهما السلام ، وأما الكافران فنمرود وبختنصر ، وكان
نمرود أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الأرض ودعا الناس إلى عبادته ؛
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل
الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في
كتب الأنبياء .

(وقال السدي) رأى نمرود في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس
والقمر حتى لم يبق لها ضوء ففزع فرعاً شديداً ودعا السحرة والكهنة والفاقة وهم
الذين يخطون في الأرض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه
السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمرود بذبح كل غلام
يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بمنزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة
رجلاً رقيباً أميناً فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها إذا أمن المواقعة فإذا طهرت
عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو إبراهيم فرجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع
عليها في ظهرها فحملت بإبراهيم عليه السلام .

(وقال) محمد بن إسحق بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فخبئها عنده
إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحملها وذلك أنها كانت جارية حديثة السن
لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها .

(قال ابن عباس) لما حملت أم إبراهيم قال السكهان لنمرود إن الغلام الذي
أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم
إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطالع عليها فيقتل ولدها فوضعت
في نهر يابس ثم لفته في خرقه ووضعت في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بأنها
قد ولدت في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سرداباً عند
نهر فوارة وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه ،

(وقال السدي) لما عظم بطن أم إبراهيم خشي آزر أن يذبح فانطلق بها إلى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها في سرداب من الأرض وجعل يتهمد بها ويكتم ذلك عن أصحابه فولدت إبراهيم عليه السلام في ذلك السرداب فشب فكان وهو ابن سنة كإبن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت طمع الذباحين ثم ذكر آزر لأصحابه أن له ابناً فانطلق به إليهم .

(قال ابن إسحق) لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلة إلى مغارة وكانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح المولود ثم مدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حياً يمص إبهامه (قال أبو زريق) كانت أم إبراهيم كلما دخلت على إبراهيم عليه السلام وجدته يمص إبهامه فتألت ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبناً ومن أصبع عسلاً ومن أصبع سمناً .

(قال ابن إسحق) وكان آزر سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل فتألت ولدت له غلاماً فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر يوماً حتى جاء إلى أبيه آزر فأخبره أنه ابنه وأخبرته امرأته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً .

(الباب الثاني في خروج إبراهيم عليه السلام من السرداب ورجوعه إلى قومه)
(ومحتاجته إياهم في الدين وإلقاتهم إياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب إبراهيم عليه السلام وهو في السرداب قال لأمه من ربي ؟ قالت أنا قال فمن ربك ؟ قالت أبوك قال فمن ربي ؟ قالت له عمروذ قال فمن ربي عمروذ ؟ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرايت الغلام الذي يحدث أنه يغير دين أهل الأرض فإنه ابنك ثم أخبرته بما قال (م ٦ - - قصص الأنبياء)

لها فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربي ؟ قال أمك قال فمن رب أمي قال أنا قال فمن ربك ؟ قال نمروذ قال فمن رب نمروذ ؟ فاطمه لطمه وقال اسكت وذلك قوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) .

ثم قال لا بويه أخرجاني فأخرجاه من السرب فانطلقا به حتى ضابت الشمس فنظر إبراهيم عليه السلام إلى الإبل والبقر والغنم والخيول يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال إبل وخيول وبقر وغنم فقال ما لهذه بد أن يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والأرض وقال إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ماله إله غيره ثم انظر فإذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى السكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى (فلما جن الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال إنني لم يهتدي ربي لا كونه من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) لأنه رأى ضوءها أعظم (فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون إنني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) قالوا وكان أبوهما يصنع الأصنام فلما ضم إبراهيم إلى نفسه جعل يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعهما فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري أحد منه فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربي كسدت استمزاء بقومه بما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشى عيبه إياها واستمزاؤه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم (أتأجوني في الله وقد هداني) الآيات إلى قوله عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) حتى نخصمهم وغلبيهم بالحجة ثم إن إبراهيم عليه السلام دعا أباه آزر إلى دينه فقال (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) إلى آخر القصة فأتى أبوه الإجابة إلى مادعا إليه ثم أن إبراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباءكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا أتعني نمروذ فقال لا الذي خلقني

فهو يهديني إلى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمرود الجبار فداه فقال له يا إبراهيم أرايت إلهك الذي بعثك وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره قال ما هو ؟ قال إبراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت قال إبراهيم كيف يحيي ويميت قال آخذ رجلا من استوجبها القتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون أمته ثم أعنو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له إبراهيم عند ذلك إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئا ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل (فبهت الذي كفر) الآية ثم أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعف الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها إلزاماً للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة ويختال فيه إلى أن حضرهم عيد لهم .

قال السدي : كان لهم في كل سنة عيد يخرجون إليه ويجمعون فيه فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم طادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم أشتكى رجلي فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس (وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعوها منه .

وقال مجاهد وقتادة وإنما قال إبراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم وهو الذي أشاء عليه قالوا ثم رجع إبراهيم عليه السلام من الطريق إلى بيت الآلهة فإذا في البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه إلى باب النهر وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة وقالوا إذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا أكلنا فلما نظر إبراهيم عليه السلام إلى الأصنام وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء أأنا نكون فلما لم يجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الأكبر فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جنداً إذاً إلا كبيراً لهم إلههم إليه يرجعون) فلما جاء القوم من العيد

إلى بيت آلهتهم ورأوها يتلك الحالة قالوا (من فعل هذا بآلهتنا أنه لمن الظالمين
قالوا سمعنا فتي يذكركم يقال له إبراهيم) هو الذي نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود
الجبار وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون عليه أنه هو
الذي فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة .

قال قتادة والسدي وقال الضحاك لعلمهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما
أحضروه قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال إبراهيم بل فعله كبيرهم هذا
غضب من أن تعبدوا معه هذه الأصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوه
إن كانوا ينطقون قال النبي ﷺ دلم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات
كلها في الله تعالى وقوله إنني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذي عرض
إسارة هي أختي) فلما قال إبراهيم ذلك رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون
هذا الرجل في سؤالكم إياه وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك
قول إبراهيم عليه السلام فاسألوه إن كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه إلا كما قال
(قيل) إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان الصغار مع هذا الكبير ثم فكسوا
على رؤوسهم متجيرين في أمره وعللوا أنها لا تنطق ولا تبش فقالوا لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لإبراهيم عليهم السلام قال لهم (أفتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف أنتم تعبدون من دون الله أفلا
تعقلون) فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حوقوه وانصروا آلهتكم
إن كنتم فاعلين) .

قال ابن إسحق كانوا يجمعون الحطب شهراً حتى إذا كثر الحطب وجمعوا منه
ما أرادوا وأشعلوا النار في كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى إن الطير لير بها
فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام ورفعوه على راس البنيان
وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقاً بإشارة إبليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من
إلقائه في النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً صلوات
الله عليه فضجت السموات والأرض والجيال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق
إلا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أي ربنا إبراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره

يحرق في النار فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم إن استعان بشيء منكم أو دماء
فلمينصره فقد أذنت لكم في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني
وبينه فلما أرادوا إلقاءه النار أتاه ملك المياه فقال إن أردت أخذت النار فإن
المياه والامطار بيدي وأنا هازن الريح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال
إبراهيم عليه السلام ولا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم أنت
الواحد في السماء ليس في الأرض أحد يعبدك غيري .

وروى المحدث عن أبي بن كعب عن أرقم (أن إبراهيم عليه السلام قال حين
أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك
لا شريك لك) ثم رموا به في المنجنيق إلى النار في موضع شاسع فاستقبله جبريل
عليه السلام فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أها إليك فلا قال جبريل فسلم ربك
فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل وفي
الخير (أن إبراهيم عليه السلام إنما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل) قال الله
عز وجل (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) .

قال السدي فأخذت الملائكة بصبعي إبراهيم فأقعدته على الأرض فإذا عين ماء
ورد أحمر ونرجس قالوا فأقام إبراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمر قال
إبراهيم خليل الله ما كنت أياماً قط أنعم مني عيشاً من الأيام التي كنت فيها في النار
(قال ابن إسحق وغيره) وبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم عليه السلام
فقدم فيها إلى جنب إبراهيم وهو مؤنس فأناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير
وقال يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي وألبسه القميص
ثم أشرف نمرود من صرح له عال ونظر إلى إبراهيم عليه السلام وما يشك أنه قد
هلك فرآه جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا
من الحطب فناده نمرود يا إبراهيم كبير إهلك الذي بلغت قدرته أن حال بينك
وبين النار حتى لم تضرك يا إبراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل
تخشى إن أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم اخرج منها فقام إبراهيم عليه السلام .

يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج منها قال له الثرود ما الذي رأيته معك في مثل
حضورك قاعداً إلى جانبك قال ملك الظل أرسله إلى ربي ليؤنسني فيها .

(قال الشعبي) ألقى إبراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة
وذبح إسحق وهو ابن سبع سنين وولدت له سارة رضى الله عنها وهي ابنة تسمعين مئة
وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد بإسحق بقيت يومين
وماتت في اليوم الثالث .

(قال ابن إسحق) استجاب لإبراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا
ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من ثرود
وملشهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو
أخو إبراهيم عليه السلام وكان لها أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبو لوط
وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة إسحق بن إبراهيم
أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضاً
به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام .

(قال السدي) كانت سارة بنت ملك حران ، وذلك أن إبراهيم ولوطاً عليهما
السلام انطلقا قبل الشام فلقى إبراهيم سارة هي بنت الملك حران ، وكانت قد
ظفقت على قومها في ذيتهم فتزوجها إبراهيم عليه السلام على أن لا يضرها .

(قال ابن إسحق) خرج إبراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق
مهاجراً إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى
(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء
الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل
السبع من أرض فلسطين وهي بركة الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على
مسيرة يوم وإيلة فيعته الله نبياً فذلك قوله عز وجل (ونجيناً لوطاً إلى الأرض التي
بجاركنا فيها للعالمين) يعني الشام فبركتها أن يبعث منها أكثر الأنبياء وهي الأرض

المقدسة وأرض المحشر والمذشر وبها يتزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله
المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب
فيها العيش للغنى والفقير .

(الباب الثالث في مولد إسماعيل وإسحق عليهما السلام)
(ونزول إسماعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجا الله خليله إبراهيم عليه السلام آمن به من
آمن وتابعوه على فراق قومهم وإظهار البراءة منهم فقالوا (إنا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله ككفرأ بكم) أيها المعبودون من دون الله ككفرأ بكم (أيها
المعبودون من دون الله) وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء (أيها العابدون) حتى
تؤمنوا بالله وحده) ثم خرج إبراهيم عليه السلام مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط
عليه السلام وتزوج إبراهيم عليه السلام بإبنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار
بمدينة والأمان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم
خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى وكانت سارة
من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى إبراهيم عليه السلام في شيء وبذلك
أكرمها الله .

قال فأتى الجبار رجل وقال له إن ههنا رجل معه امرأة من أحسن النساء
ووصف له حسنهما وجمالها فأرسل الجبار إلى إبراهيم عليه السلام فجاءه فقال ماهذه
المرأة منك فقال هي أختي ونخوف إن قال هي امرأتى أن يقتله فقال زينها وأرسلها
إلى حتى أنظر إليهما فرجع إبراهيم إلى سارة عليها السلام وقال لها أن هذا الجبار
قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله عز
وجل أنه ليس في هذه الأرض مسلم غيري وغيرك .

ثم أقبلت سارة إلى الجبار وقام إبراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه
ورآها أهوى إليها ليتناولها بيده فيبست يده إلى صدره فلما رأى الجبار ذلك عظم

أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم إن كان صادقاً فأطلق يده فأطلق الله تعالى يده .

(وفي بعض الاخبار المسندة) أنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها مفتيس يده فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فقالت إلى إبراهيم فلما أحس بها إبراهيم أنفث من صلاته قال مهم فقالت كفى الله كيد الفاجر الباغى بما رأى ، قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ قال فثلك أمكم يا بني ماء السماء .

(وفي بعض الاخبار) أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى كان ينظر إليها من وقت خروجها من عنده إلى وقت انصرافها إليه كرامة لها وتطييباً لقلب إبراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبتها سارة لإبراهيم فقالت إني أرها امرأة وضيفة نخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولداً وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسدت فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام .

(وروى) محمد بن إسحق عن عبد الرحمن بن عيسى عن الله بن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ (إذا افتتحتم معر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً) .

قال ابن إسحق فسألت الزهري ما الرجم التي ذكرها رسول الله ﷺ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم ثم خرج إبراهيم من مصر إلى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فزل السبع من أرض فلسطين واحفر بها بئراً واتخذ بها مسجداً وكانت ماء تلك البئر معيناً ظاهراً وكانت غنمه تردها فأقام إبراهيم بالسبع مدة ثم أن أهله آذوه فيها ببعض الأذى فخرج منها حتى نزل بفاعية من أرض فلسطين بين الرملة ولإيليا يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نصب ماء تلك العين وذهب فقدم أهل السبع جيماً على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجالاً صالحاً فأنبهوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه

قالوا إن الماء الذي كنت تشرب منه وتشرب معك منه قد نضب وذهب فأعطاهم سبعة أذن من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فإنكم إذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معيماً ظاهراً كما كان فاشربوا ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالأذن .

قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فيمكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاشترفت منها فركد ماؤها إلى الذي عليه اليوم وأقام إبراهيم عليه السلام ببلده وكان بضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى دلائل قوم لوط عليه السلام بعث إليه رسلاً يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بإبراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب فلما نزلوا على إبراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوماً حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل إلا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفاً لم يضيف مثلم حسناً وجالاً فقال لا يخرج هؤلاء الا يقوم إلا أنا فخرج فجاء بعجل سين حديد وهو المشوى بالحجارة فقربه إليهم فأمسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا نأكلون (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة) حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا إبراهيم لا تأكل طعاماً إلا بشئ قال فإن لها ثمناً قال وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمده ونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهما السلام قال يحق لهذا أن يتخذ ربه خائلاً ثم قال له لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأتهم سارة قائمة بخدمةهم وإبراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه بإسحق ويعقوب ضحككت سارة واخفاف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدي إنما ضحككت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لا ضيفنا هؤلاء أنا نخدمهم بأنفسنا نكرهه لهم وهم لا يأكلون طعامنا .

(قال السدي) قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حلة البكر ما آية ذلك فأخذ بيده عوداً يابساً فلواة بين أصابعه فاهتز أنضطر فقال إبراهيم هو لله إذا ذبح .

وقال بجاهد وعكرمة فضحكك أي حاضنت في الوقت تقول العرب ضحكك الأرنب
إذ حاضنت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الأخبار فحملت سارة بإسحق
وقد كانت حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معاً وشب الغلامان فيبينهما هما يتناضلان
ذات يوم وقد كان إبراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق إسماعيل فأخذه وأجلسه
في حجره وأجلس إسحق إلى جانبه وسارة تنظر إليه فغضبت وأخذها ما يأخذ
النساء من الغيرة فحلفت لتقطع بضعة منها ثم تاب إليها عقابها .

فقال لها إبراهيم عليه السلام أخفضيها واثقي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة
في النساء ثم أن إسماعيل وإسحق عليهما السلام افتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان
فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكفني في بلد واحد وأمرت إبراهيم عليه
السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وإبنها
مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهي إذ ذاك عذراء وسلم وبعث إليها خارج مكة أناس
يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حراء فقال إبراهيم عليه السلام لجبريل
عليه السلام ههنا أمرت أن تضعها قال نعم فعمد بهم إلى موضع الحجر فأنزلهما
فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ عريشاً ثم قال (ربنا إني أسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تذهب إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ثم انصرف فأتبعته هاجر
وقالت إني من تسكننا فجعل لا يرد عليها شيئاً فقالت الله أمرك بهذا ؟ قال نعم ،
فقالت إذا لا يضيئنا ثم انصرف راجعاً إلى الشام .

وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنقذ الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي
الجبال أدنى من الأرض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتاً أو ترى إنسياً
فلم تسمع شيئاً ولم تر أحداً ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل
فأقبلت إليه مهرولة بسرعة ثم سمعت صوتاً نحو المروءة فسعت وهي تزيد السعي
كالإنسان المجهود فهي أول من سمى بين الصفا والمروءة ثم صعدت إلى المروءة
فسمعت صوتاً كالإنسان الذي يكذب سمعه حتى استيقظت وجعلت تدعو اسمع لبل
يعني يا الله قد أسمعتني صوتك فأغثنني فقد هلك من معي .

فإذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت ؟ فقالت سرية إبراهيم عليه السلام تركني وإني ههنا قال وإلى من وكلكما ؟ قالت وكلنا إلى الله تعالى قال لقد وكلكما إلى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفذ طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما إلى موضع زمزم فضرب بقدمه فقارت عين فلذلك يقال لزمن ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تسقى فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام أنها رى وجعلت أم إسماعيل تحببها حبساً .

قال رسول الله ﷺ (لولا أنها عجلت لكنت زمزم معيناً) وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على أهل هذه البلدة فإنها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما أن أبا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتاً هذا موضعه ومرت رفقة من جرهم تريد الشام قرأوا الطير على الجبل فقالوا إن هذا الطير لحائم على ماء فأشرفوا فإذا هم بالماء فقالوا لها جري إن شئت كسنا معك فآ نسنأك والماء ماؤك فأذنت لهم فزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتها :

لا هم أن جرهما عبادك الناس طارف وهم بلادك وهم قديماً عمروا بلادك فكانوا هناك حتى شب إسماعيل وماتت هاجر فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم وأخذ أسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة .

ثم أن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وإبنتها فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال لأنه قدمها راكباً البراق فلما قدمها ذهب إلى بيت إسماعيل فقلنا لامرأته أين صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولماً بالصيد يخص بالقنص والفروسية والرمى والصراع فقال لها إبراهيم عليه السلام هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها إبراهيم إذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب إبراهيم عليه السلام ودخل إسماعيل فوجد ربح أبيه فقال لامرأته قد جاءك أحد فقالت شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال فاقري زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فابث إبراهيم عليه

السلام ما شاء الله سم استاذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يحيى الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة فقالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لسكان مكة أكثر أرض الله برأ وشعيراً وتمرأ ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشيثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعتة عند شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم جعلت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فقال إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل ووجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت جاءني شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

(قال) أنس بن مالك رأيت المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقبه حول خص قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم .

(وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا هدية بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال سمعت مسافر بن شيبه يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول شهد ثلاث مرات أني سمعت رسول الله ﷺ يقول (الركن والمقام يا قوتتان من بواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب) .

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينما أنا نائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المصونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى منضجتي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم ؟ وكانت قد رست وشار ماؤها لما مضت أيام إسماعيل عليه السلام قال بئر يسمى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف أنه قد صدق فغدا بمعه ولده الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنما من آثار أجدنا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل إن هذا شيء خصصت به دينكم وأعطيته من دينكم قالوا له فأزصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض إذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفذ ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقروا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا لنا بمفازة ولنا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لأصحابه ماذا ترون قالوا إن رأينا تبسح لرأيك فأمرنا بما شئت .

قال فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات دون صاحبه ودفنه في حفرة قال فحفروا وجلسوا يتذكرون الموت ثم قال عبد المطلب وما لنا لا نضرب في الارض فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملثوا

أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله تعالى وإياكم
فشربوا وسقوا ثم قالوا والله قضى الله عيناً يا عبد المطلب والله لا نخاصك في
زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع
ورجعوا معه حتى أوفوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى
عبد المطلب في منامه كأن قائلاً يقول له :

يا أيها المدج احفر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم
وهي تراث من أبيك الأعظم تسقى الحجيج حافلاً لم ينقم
فلما سمعه عبد المطلب قال وأين زمزم ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب
الأعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنة الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر
عند الوثنيين أساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما فجاء بالمعول وقام ليحفر
حيث أمر فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها ووثنائها ومنحرفنا
عندها وكانت قريش - سدوة على ذلك لأنهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة
أودعت في زمزم أموالاً وأسلحة للمصطفى ﷺ لما أخبرت أن الله تعالى باعث في
هذه القرية نبياً من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر
بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ
الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرّفوا أنه لم يخطئ فتمادى
حتى بلغ إلى تمثالين من ذهب هما الغزالان اللذان دفنهما جرهم ووجد فيهما سيوفاً
ودروعاً فقالت له قريش يا عبد المطلب إنما معك في هذا شركة قال لا ولكن
نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للسكبة قدحين ولى قدحين
ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا
أنصفت فجعل قدحين أصفرين للسكبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين
أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو
فخرج إليهما الأصفران على الغزالين للسكبة وخرج الأسودان على الأسياف
والأدرع لعبد المطلب وتخلف قدحاً قريش قال فعلق عبد المطلب الأسياف والأدرع
بباب السكبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فسكان أول ذهب حليت به السكبة

وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها
ما أخرج ازداد بذلك في قریش عظماً وجاهاً ومنزلة وعافت الحبيص المياہ التي
كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة ماؤها ولا يكونها من أثر
إسماعيل عليه السلام وافتخرت بنوعبد مناف على قریش وعلى سائر العرب والله أعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا)

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي أحمد الفخري أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن
الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المنفل بن محمد بن إبراهيم بن المنفل حدثنا
عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن
عمران عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام
ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف
ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة وأن الله تعالى أهبط آدم
عليه السلام إلى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه
الحجر الأسود وهو يتلأل كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم وضمه إليه استئناساً به
ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم
العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطي فإذا هو بأرض الهند فمكث هناك ما شاء الله أن
يمكث ثم استوحش إلى البيت فقبل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع
كل قدم تربة وما بين كل ذلك مفاوز حتى قدم إلى مكة .

فقال آدم يا رب اجعل لهذا البيت عمارة يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى
إليه إني معمره بذري من ذريتك لإسمه إبراهيم أنخذة خليلاً أقضى على يديه عمارته
وأنيط له سقايته وأورثه حله وحرمة ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما
فرغ من بناءه نادى يا أيها الناس إن الله تعالى بنى بيتاً فحجوه فاسمع ما بين الخافقين
مأقيل من يحج هذا البيت من الناس يقول لبيك لبيك وقال ﷺ وأن آدم عليه السلام
سأل ربه عز وجل فقال يا رب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك

بك شيئاً أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئاً آمناً يوم القيامة .

روى الرواة بأسانيد مختلفة : أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض كان طواه ستين ذراعاً ، فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك إلى الله عز وجل فأنزل الله تعالى يا قوته من يواقيت الجنة فكانت موضع البيت الآن ، ثم قال يا آدم إني أهبطته لك بيتاً تطوف به كما يطاف حوله عرشي وتصلى عنده كما كنت تصلى عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام إلى مكة ورأى البيت فطاف به ،

(وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن لي حرماً بحيال عرشي فهنا لك أستجيب لك ولولدك من كان في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي إليه فقيض الله ملكاً فأنطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمراً وكل مكان تعداه مفاوز وقفار ثم بقى البيت فلما فرغ من بناءه خرج الملك إلى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعاً ثم رجع إلى أرض الهند فمات على تود .

قال أبو يحيى بائع القم قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين هبط بالهند ولقد حج منها أربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله أن خطواته مسيرة ثلاثة أيام .

وقال وهب بن منبه أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض فرأى سمعتها وأم يرفيها أحداً غيره قال يارب أما لهذه الأرض عامر يسبح بحمدك ويقدمك غيري قال الله تعالى إني سأجعل فيها من وادك من يسبح بحمدي ويقدمني وسأجعل فيها بيوتاً ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقى ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصه بكرامتي وأوثره باسمي وأسميه يتي وأنطقه بعظمي وعليه

وضعت جلالى ثم أجعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمة من حوله ومن تحته ومن فوقه فن حرمة بحرمة استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد ضيع دينى وخسر ذمتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثاً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

(واختلاف) العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال بعضهم إن الذى خرج مع إبراهيم عليه السلام من الشام لدلائله على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل (وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت) الآية قالوا جعل إبراهيم ببنيه وإسماعيل يتأوله الحجارة وكان إبراهيم عبرانياً وإسماعيل عربياً فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان إبراهيم عليه السلام يقول هب لى كيناً يعنى هات لى حجراً فيقول له إسماعيل هاك فنخذه فبذرها السكبية من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى وبنييت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب إسماعيل ببنيه ثم رجع فوجدده قد ركب حجراً فى مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال أتانى به من لم يكنى لىك ثم قال إبراهيم لإسماعيل ائتنى بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علماً للناس فناده أبو قبيس يا إبراهيم أن لك عندى وديعة فهاك فنخذاها فخرج إبراهيم عليه السلام الحجر الأسود من جبل أبى قبيس وركبه فى موضعه فلما فرغ إبراهيم وإسماعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى (وإذا يرفع إبراهيم البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) إلى قوله (وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) فأجاب الله تعالى دعاه وأرسل جبريل عليه السلام ليعلمهما مناسك الحج فخرجنهما يوم التروية إلى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح الصباح ثم غدا بهما إلى عرفة فقام بهما هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما إلى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما إلى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة

فوقف بهما على قزح حتى إذا أسفر الصبح أفاض بهما إلى منى فأراهما كيف يرميان
الحجار وأمرهما بالذبح وأمرهما بالنحر من منى وأمرهما بالهلق ثم أفاض بهما إلى البيت

فأوحى الله تعالى إلى نبيهما محمد ﷺ (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من
المشركين) ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال
يا رب وما يبلغ صدوتي ؟ فقال عليك الأذان وعلى البلاغ فعلا ثبيراً ونادى يا عباد
الله إن ربكم قد بنى بيتاً فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعوه ما بين السماء والأرض
وما بين الأبحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه كل من آمن بالله
من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك .

(وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل إبراهيم عليه السلام اليمن
والمشرق والمغرب والشام فدعا إلى الحج فقيل لبيك اللهم لبيك وذلك قوله وعز
وجل (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)
الآيات فلم يزل البيت على ما بناه إبراهيم عليه السلام إلى سنة خمس وثلاثين من
مولد نبيهما محمد ﷺ وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بذنها
وكان السبب في ذكر علي ما ذكر محمد بن إسحق وغيره من أن الكعبة كانت روضة
فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من
تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار
فهيأ لهم أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها
ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان
لا يدنو منها أحد إلا كثرت وفتحت فاهاً فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم
على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائراً قاخطفها فذهب بها .

وقالت قريش إنا نرجوا أن الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وأن
غندنا عاملاً رقيقاً وخشباً وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس
عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمر وابن عمير
ابن عامر بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه

فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائنا من كسبكم إلا طيباً ولا تدخلوا فيها من مهر
بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد
ابن المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا تريد
إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به في تلك الليلة وقالوا أنتظره
إإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما هي وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله
تعالى بما فعلناه فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى
انتهى الهدم إلى الأساس فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنة الإبل آخذة بعضها
ببعض فأدخل من قريش عتلة بين حجرين ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر
تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا إلى الأساس .

وقالوا إن القبائل قد اجتمعت لبنائنا فجعلت كل قبيلة تجتمع على حدتها ثم
بنوا فلما بلغوا البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن
تضعه في صفة دون الأخرى حتى تجاوروا وتخالفوا وتواعدوا للقتال فحرب
بنو عبد الدار حفنة مملوءة دماء ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت
وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس
ليال على ذلك ثم أنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض
الرواة أن أبا أمية بن المغيرة وكان حينئذ أسن قريش كلها فقال يا معشر قريش
اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضى بينكم
فيه فرفضوا بذلك وتوافقوا عليه .

فيكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله فلما رآوه قالوا هذا محمد الأمين
اد رضىنا به فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال هلموا إلى ثوباً فأتوا به فأخذ
ولركن فوضعه فيه بيده ثم لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ادفعوه جميعاً
ففعلوا به ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت
الكعبة كذلك على ما بنته قريش إلى أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن
نمير المكوني عبد الله بن الزبير ففقدوا البيت بالمنجنيق وجعلوا يرتجزون ويقولون

حجارة مثل النبيق المزيّد ترمى بها عيدان هذا المسجد
وقال آخر منهم :

كيف ترمى صنيع أم قروة تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة لاسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة بما رميت به من حجارة المنجنيق
وأنها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرار
هبت بها الريح فاحترقت باب الكعبة واحترق خشب البيت وقال بعضهم كان
السبب في ذلك أن امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت
وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم
ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض
وكان الناس يطوفون بها من وراء الأساس ويصلون إلى موضعها وجعل الحجر
الأسود في تابوت في خرقه من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه
من ثياب وطيب عند الحجر في خزانة البيت ثم أعاد بناءه .

وقال إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله ﷺ قال لعائشة :
« لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فإزيد في
الكعبة الحجر وإن قريشاً أعوزتهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت ولجعت لها
بابين باباً شرقياً وباباً غريباً فامر به الزبير فحفر فوجدوا قلاعاً أمثال الإبل
فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقررها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل
فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة
ملى ما بناها ابن الزبير إلى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي
عبد الله بن الزبير وولى الحجاج من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج نذيان
الكعبة الذي كان بناء الزبير بأمر عبد الملك وأعادها إلى بنائها الأول بمشهد من
عشاخ قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج .

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى (فلما بلغ معى السمعى قال يا بنى لنى أرى فى المنام لنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) واختلاف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه من بنيه بعد إجماع أهل الكتاب على أنه كان إسماعيل عليه السلام.

(وروى) شعبة عن إسحاق عن أبى الأحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان بن الأشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

(وروى) سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يا رب يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال إن إبراهيم لم يعدل بى شيئاً قط إلا اختارنى عليه وإن إسحاق جاذل بالذبح فهو بغير ذلك أجود إن يعقوب كلما زدت به بلاء زادنى حسن الظن

وروى حمزة بن الزيات عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أرغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله وقال الآخرون هو إسماعيل وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو وأبو الطفيل عامر بن واثله وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرنى الكباش منوطين بالسكبة.

(وروى) محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول أن الذى أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وأنا لنجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الحق عن إبراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه أنه إسماعيل وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من لبنى إبراهيم وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين وقال تعالى (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق

يعقوب (يقول بآبنا وابن آبن فلم يكن يامرہ بذبح إسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل .

وأما الرواة التي روت عنه عليه السلام أن الذبيح إسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي بإسناده عن الصحابي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح إسماعيل أو إسحق فقال علي الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال إن عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه إن نهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم عبد الله فنهقه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على أنه إسحق فهو أن الله تعالى أخبر إبراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجراً إلى الشام مع سارة ولوط وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين أنه دعاء فقال ربي هب لي من الصالحين يعني ولداً صالحاً من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم إسماعيل ثم أتبع ذلك الخبر عن إجابة دعوته وتبشيره بإياه بغلام حلیم وعن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر بولد ذكر إلا بإسحق .

وأما الدليل على أنه إسماعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر أن قرني السككش كانوا معلقين بالكعبة إلى أن احترق البيت فاحترق القرنان في أيام ابن الزبير والججاج وهذا ادل دليل على أن الذبيح إسماعيل ، وأما قصة الذبيح وصفته وفعل إبراهيم بآبنته عليهما السلام .

قال السدي بإسناده لما فارق إبراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه كما قال تعالى (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) دعاء الله أن يهب له ابناً صالحاً من سارة (رب هب لي من الصالحين) فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى الموقنة بشروه بغلام حلیم فقال إبراهيم لما بشر به هو إذاً لله ذبيح

فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له أوف بنورك الذى نذرت قرباناً إلى الله تعالى وكان هذا هو السبب فى أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بذبح لابنه فقال لإبراهيم عند ذلك لابنه إسماعيل تقرب قرباناً إلى الله تعالى وأخذ سكيناً وحبلًا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال (يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) .

قال ابن إسحق كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه رأى فى المنام أن يذبحه فلما رأى ذلك قال لابنه يا بنى خذ هذا الحبل والمدية ثم انطلق إلى هذا الشعب لتحتطب فلما خلا إبراهيم لابنه فى شعب ثبير أخبره بما تأمر به وقال (يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك) الآية فقال له لابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليهما دمي فينقص أجرى وتراه أمتي فتحزن وأشعذ شفرتك وأسرع بمر السكين هلى حلقى ليكون أهون للموت على فإن الموت شديد فإذا أتيت أمتي فاقرأها منى السلام فإن رأيت أن ترد قهيى فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني .

فقال إبراهيم نعم العون يا بنى أنت على ما أمر الله به ففعل إبراهيم ما أمره لابنه ثم أنه أقبل عليه يقبله وهو يبكى الابن يبكى حتى استنبح الدموع تحت خده ثم أنه أوضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم تعمل السكين شيئاً .

قال السدى وضرب الله صحيفة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كفى على وجهي فإنك إن تنظر إلى وجهي رحمتني وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل إبراهيم ذلك فذلك قوله تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) ثم إنه وضع السكين على قفاه فانقلب ونودي (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر إبراهيم عليه السلام فإذا هو

بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر إبراهيم
وكبر ابنه فذلك قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) .

قال سعيد بن جبير وغيره وعن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قدره
فيها أربعين خريفاً وروى عنهما أيضاً أن الكبش الذي فدى به عن إبراهيم عليهما
السلام هو الكبش الذي قرب به هايل بن آدم فتقبل منه فارسل إبراهيم وأخذ
الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول
الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميازيب الكعبة قد وحش يعني يمس .
وروى عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبيه أنه كان يقول ما فدى إسماعيل
إلا بكبش من الأروى أهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس
قال كان وعلا .

(و روى) أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحق عن رجال قالوا لما
رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن أنا آل إبراهيم
وإلا لم أفتن أحداً منهم أبداً فمثل لهم الشيطان رجلاً فأتى أم الغلام فقال لها
أأدريين أين ذهب إبراهيم يا بنتك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال
لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو أرجم به منى وأشد حياء من ذلك
فقال لها إنه يزعم أن الله أمره بذلك فقالت له إن كان أمره بذلك فقد أحسن
في امتثال طاعة ربه وفي امتثال أمر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هارباً
حتى أدرك الإبن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل يدري أين يذهب
بك أبوك قال يحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد إلا ذبحك قال
ولم ؟ قال يزعم أن الله أمره بذلك قال فليفعل ما أمره الله به فسمعاً وطاعة لأمر
الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم فقال أين تريد أيها الشيخ ؟ قال
أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله لئن أرى الشيطان قد جاءك في منامك يا مارك
بذبح ابنك هذا فمرفق إبراهيم فقال له إليك عنى يا ملعون فوالله لأمضين لأمر
ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظ لم يصب من إبراهيم وأهله شيئاً بما أراد وقد
امتنعوا منه بمون الله وتأييده .

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فامسقه فسيفه إبراهيم عليه السلام ثم ذهب إلى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات ثم مضى إلى إبراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى بهذه قصة الذبح وقال أمية بن الصلت الثقفي في ذلك شعراً :

ولا إبراهيم المـوفى بنذر	احتساباً وحامد الأجزاء
يكره لم يكن ليصبر عنه	لو رآه في معشر اقتال
أى بنى أنى نذرتك لله شحيطاً	فاصبر فلذلك حالى
واشدد المضد حين جهدى للسكين	جبذ الأسير الأغلال
له مديّة تخايل فى اللحـم	غلاماً جبينه كاللـلال
بينما يخاع السراويل عنه	فكـه ربه بكـبش حلال
تخذ ذا فدا لإبنك أنى	للذى فـلما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الأمر	له فرجة كـكل العقـال

(الباب السابع فى هلاك النمرود بن كنعان وما أحل الله تعالى به)
(من نغمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

(زوت الرواة) باسانيد مختلفة أن أول جبار كان فى الأرض النمرود بن كنعان وكان الناس يخرجون إليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج إليه إبراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمرود إذا مر به الناس قال لهم من ربكم ؟ قالوا أنت حتى مر إبراهيم قال من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد إبراهيم بفهم

طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فرز بكشيب أغفر فقال لا نخذن من هذا فتأتى به أهلى
فتطيب به قلوبهم حين أن أدخل عليهم فأخذ إبراهيم منه فتأتى به إلى أهله فوضع
متاعه ثم نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحتة فإذا هو بأجود دقيق رأتها فأخذته
وصنعت منه طعاماً فلما أفاق قدّمته إليه وكان عهد أهله أن ليس معهم شيء ولا عندهم
طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم إبراهيم أن الله
رزقه فحمد الله وشكره .

ثم إن النمرود الجبار لما حابه إبراهيم عليه السلام فى ربه قال إن كان ما يقول
إبراهيم حقاً فلا انتهى حتى أعلم من فى السماء فبنى صرحاً عظيماً عالياً ببابل وقال
مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد إلى أربعة أفراخ من النسور فعلقها باللحم
والخبز ورباها حتى شبت واستفحلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه
ونشابه وجعل لذلك التابوت باباً من أعلاه وباباً من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل
النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم دخل على النسور فطار وتصدت
طعماً فى اللحم حتى أبعدت فى الهواء فقال النمرود لفتاه افتح الباب الأعلى وانظر
إلى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الأعلى ونظر فإذا السماء على هيئتها ثم قال
افتح الباب الأسفل فالظر إلى الأرض كيف راها ففتح فقال أى الأرض مثل
الحبة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها
وبين الطيران فقال لعلامه افتح الباب بين ففتح الأعلى وإذا السماء كهيئتها وفتح الباب
الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ونودى أهلها الطاغى أين تريد .

قال عكرمة فأنسى عند ذلك غلامه قزى بشهم فعاد إليه السهم متلطخاً بالدم فقال
كفيت شغل إله السماء واختلفوا فى ذلك السهم من أى شيء تلطخ فقال عكرمة من
سبك بحر معلق فى الهواء بين السماء والأرض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم
أصاب السهم طائر من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمرود غلامه أن يصوب العصا
وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيف التابوت

والله سور ففزع وتظنت أنه أمر حدث في السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى (وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لزول منه الجبال) ثم إن الله تعالى أرسل ريحاً على صرح النمرود فألقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمرود وعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمرود من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل لتبلبل الألسنة فيها فلذلك قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) وذلك أن الله تعالى بعث إلى النمرود ملكاً أن آمن حتى أتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع جموعه وجنوده فأمر الله تعالى أن يفتح عليه باباً من البعوض ففعل فظلمت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمرود وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم إلا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فحكك أربع مائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جباراً أربع مائة سنة فعذبه الله أربع مائة سنة كدة ملكة ثم إن البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله .

(الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده)

قال الله تعالى (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته) الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان في جبرون في مزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج إبراهيم بامرأة من بعدهما من الكنعانيين يقال لها قورا ابنة يقظان فولدت له ستة نفر يقشان وزهران وممدان ومدين وأشبقي وشوخ وتزوج أيضاً بامرأة أخرى من العرب اسمها حجوجون فماتت أهييب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروح وإهيم ولوطا ونافس فكان

جميع بني إبراهيم مع إسحق وإسماعيل ثلاثة عشر وكان إسماعيل بكره وأكبر أولاده فأمره
إسماعيل بأرض الحجاز وإسحق بأرض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لإبراهيم
يا أبانا انزلنا معك وإسماعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربة والوحشة
قال بذلك أمرت ثم علمهم أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون منه ويستنصرون .

(الباب التاسع في ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام
أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدي بإسناده وكان إبراهيم كثير
الإطعام يطعم الناس ويصيفهم فبينما هو يطعم الناس إذ هو بشيخ كبير يمشي في
الجادة فبعث إليه بعمار فركبه فلما أتاه قدم إليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة
ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم إذا أدخلها في فيه حصلت
في جوفه نخر جت من دبرة وكان إبراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون
هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال
يا إبراهيم من السكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت لحسب إبراهيم فوجد عمره
يزيد على عمر إبراهيم بسنتين فقال له إبراهيم بني وبينك سنتان فإذا بلغت عمرك
ضرت مثلك قال نعم فقال إبراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه
وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر إبراهيم مائتي سنة وقليل مائة وخمسة وتسعون
سنة ودفن عند قبر سارة عند مزرعة جبرون .

(الباب العاشر في ذكر خضائض إبراهيم عليه السلام)

هو إبراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى (واتخذ إبراهيم خليلاً) وهو سيد الفتيان
روى في الحديث أنه قيل للنبي ﷺ يا سيد البشر . قال ذاك إبراهيم وهو
أبو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعشى إلا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر
حتى يجد ضيفاً .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وهو المجمعول على لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجرى السنة الخلق كالمهم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى (ولذا ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمن) وقال (ولإبراهيم الذي وفى) بما أمر به وهو الأمة القانت قال الله تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) إلى آخر الآية ومعنى الأمة أنه كان معلماً للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو الذى أوتي رشده من قبل بلوغه وهو إمام الموحدين وجعل له لسان الحججة في التوحيد فدعا الخلق إلى الحق بلسان الحججة من صغره إلى كبره قال تعالى (وتلك حججتنا آتيناهم إبراهيم) الآية وأول من سماه الله حنيفاً مسلماً قال تعالى (ولم يكن كان حنيفاً مسلماً) وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالإسلام والإخلاص فقال (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) الآية وهو أول من اختن

قال أبو منصور الخشاري حدثنا أبو العباس العقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على ابن وهب أخبرنا عن محمد بن المسكندر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال اختن إبراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وأخبر الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا محمد بن محمد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر عن مقاتل عن الضمك عن ابن عباس قال إن إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين

وأول من قسم النقي وأول من قاتل بالسيف وأول من اختن واختن على رأس
مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو
النفاس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلاق
عظيم فلم يعرف إبراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لأهل الإسلام فاختن
يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل .

أخبرنا الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا
محمد بن إسماعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى
ابن عيينة قال أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنك أكرم أهل
الأرض على فإذا سجدت فلا ترى الأرض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من
شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ما هذا قال لو قار فقال يارب زدني وقاراً
وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال (وأرنا مناسكنا وتب علينا)
فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ له مكان البيت وأراه ذلك بعد
دروسه حتى بناء قال الله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) الآية وهو أول
من ألقى في النار فجعلت النار عليه برداً وسلاماً وهو أول نبي أحيا الله له الموتى
بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى (وهو الذي يكسى حلة بيضاء يوم
القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال عليه الصلاة والسلام) يحشر الناس
يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن (وهو
الكفيل لأطفال المسلمين والقائد لأهل الجنة وهو أول من فص شاربه وأول
من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من تنف الإبط وأول من أستاذك وأول
من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء
وأول من هاجر لله قال تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) وجعل مقامه
قبلة للناس قال الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وجعله إماماً للناس
قال الله تعالى (إني جاعلك للناس إماماً) وقال تعالى (قد كان لكم أسوة حسنة في
إبراهيم) وأن محمداً خيراً الأنبياء وأمه خير الأمم بإتباع ملته قال الله تعالى (ثم أوحينا

إليك أن انبع ملة إبراهيم حنيفاً) وقال (قل ملة إبراهيم حنيفاً) وسماه سليمان منيباً أوهاً قال تعالى (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والأواه الذي يكسر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه إلى ربه فمذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمها الله بها .

(روى) أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم يا إبراهيم إنك لما سلمت مالك إلى الضيفان وابنتك إلى القربان ونفسك إلى النيران وقلبك إلى الرحمن اتخذناك خليلاً .

(وروى) أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله على آدم عشر صحائف وهي شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المساط المغرور إن لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولسكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانته ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا ينفيه والله عن محذور يغنيه .

(بحاس في ذكر بعض أخبار إسماعيل وإسحق ابني إبراهيم عليهما السلام)

وقد ذكرنا سير إبراهيم الخليل بإنته إسماعيل وهاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها ولما كبر إسماعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من بجرهم فكان من أمرها ما قدمنا

ذكره ثم طلقا بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها إبراهيم حين قدم مكة إذا جاء زوجك فاقرنيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لإسماعيل اثني عشر رجلا نابتا وقيدار وأذيل وبسام ومسمع وذومسا وحرا وفما ونطور فافس وقيدما ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى إسماعيل فبعثه إلى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحق أن يزوج بنته من عيص بن إسحق وعاش إسماعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر .

(وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكوا إسماعيل إلى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى إليه أني فاتح لك باباً من الجنة يجرى غليك روحها إلى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن وأما حديث إسحق عليه السلام فإنه نسكح رفقة بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ماضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقة في بطن واحد بغلامين وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصاً خرج قبله فلما كبر الغلامان وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبها إلى أمه وكان صاحب صيد فلما كبر إسحق وعصى قال لعيص يا بني اطعنى لحم صيد واقرب منى أدعو لك بدعاء دعا لى به أبى وكان عيص رجلاً أشهر ويعقوب رجلاً أجرد فخرج عيص يطلب الصيد .

فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة واشوها واليس جلدها ثم قدمها إلى أبيك وقل له انا ابنك عيص ففعل ذلك واتى إلى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من انت قال انا عيص فمسه وقال المس مس عيص والزيج ريخ يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال أدن منى فدنا منه فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئت بك بالصيد الذى أردته

فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لأقتله فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فلم أدع لك بها فتقدم إليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم إن أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فمكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب إلى خاله كان يسير في الليل ويمكن بالليل فلذلك سماه إسرائيل وهو أول من سرى بالليل فأتى يعقوب إلى خاله وكان إسحق أمره أن لا ينسكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينسكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر وأن يعقوب لما مكث عند خاله فخطب لابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك اجيراً حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له أن صداقها أن تخدمني سبع سنين فقال يعقوب تزوجني راحيل لأنها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شروطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلاً فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاء يعقوب وهو في ناد من قومه فقال له غررتني وخذعتني واستحللت عمل سبع سنين ودلست على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل على في ذلك العار وألبسه وأنا خالك واليك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فلم يأخذ سبع سنين أخرى حتى أزوجك الأخرى .

وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى وأنزل التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع إليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم يهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وإنما سمي بنيامين لأن أمه راحيل ماتت في نفاسها وبنيامين بالعربية الشكل وكان لبان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمتين ويقال لإحداهما زلفى والأخرى بلهة فوطىء الأمتين يعقوب فولدت كل واحد منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتال وروبالون وولدت له بلهة جاد وبشر وآشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلاً إثنان من راحيل وأربعة من ليا

(م ٨ - قصص الأنبياء)

وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلمة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة .

والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله لئان وانصرف بولده وامراتيه وجاريته المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه إلا خيراً فنزل أخاه وتآلفه وتلطفه حتى ترك البلاد ونقل في الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده .

وقال ابن اسحق تزوج عيص ابن اسحق بنت عمه نسييه بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الزوم بن عيص فكل بني الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لامته ولذلك سمي ولده بني الاصفر قالوا وعاش اسحاق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه ابناءؤه عند قبر ابنه ابراهيم عليه السلام في مزرعة جبرون والله أعلم .

(مجلس في قصة لوط عليه السلام)

وهو لوط بن هاران بن نارج بن أخى ابراهيم عليه السلام وإنما سمي لوطاً لان حبه لاط بقاب ابراهيم عليه السلام أى تعلق به ولصق ، ومنه حديث أبي بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم اغفر لولا ذاك لوط أى ألصق بالقلب ، وكان ابراهيم يحبه حباً شديداً ، وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الانبياء . وذكروا وهب في المبتدأ له أنه شخص من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمناً به متبعاً له على دينه مهاجراً معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارج أبو ابراهيم مخالفاً لابراهيم في دينه ، ومقماً على كفره الى ان وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارج وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعون من فراعينها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه

الصلاة والسلام فرجعوا عوداً إلى أرض الشام فنزل إبراهيم فلسطين وانزل لوطاً
الأردن فبعثه الله تعالى إلى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب
فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (أتأتون الفاحشة ما سبقكم منها من أحد
من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون).

قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى
إنكم لتأتون الرجال وتقطمون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) فكان قطعهم
السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن إتيانهم الفاحشة مع من ورد بلادهم وإتيانهم
المنكر في ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق
فيحذفون من مر بهم؛ ويتضارطون في مجالسهم وينسكح بعضهم ببعض في الطريق
وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق.

وروى أبو صالح عن أم هاني قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية
فقال: كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويستخرون به وهو
المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينههم عن ذلك ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى
ويتوعدهم على إصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منهم ويخوفهم من العذاب
الآليم فلا يزرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتوا واستعجالاً
بعذاب الله تعالى وإنكاراً وتكديباً ويقولون له (إئتنا بعذاب إن كنت من
الصادقين) حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال (رب انصرني على القوم
المفسدين) فأجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام
لإهلاكهم وبشارة إبراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة في صورة رجال مره
حسان حتى نزلوا على إبراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه بإسحق وقد مضت
القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا إبراهيم أن الله تعالى بعثهم لإهلاك قوم لوط
فأظهرهم إبراهيم وحاجهم في ذلك كما قال الله تعالى (فلما ذهب عن إبراهيم الروع
وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط).

وكان جداله إياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له إنا مهلكوا
أهل هذه القرية ؛ قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا : لا قال :
أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ؛ قال أفتهلكون قرية فيها أربعون
مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛ قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛
وكان إبراهيم يهدم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

وروى سعيد عن ابن عباس قال : قال الملك لإبراهيم إن كان فيهم خمسة
يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف إبراهيم حال قوم لوط ، قال للرسول : إن فيها
لوطاً ، قالها إشفافاً منه عليه ، فقالت له الرسول : (نحن أعلم بمن فيها لننجينهم
وأهلهم إلا امرأته) .

ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرض له
يعمل فيها قتاده راوياً عن حذيفة أن الله تعالى قال للملائكة ، لا تهلكوهم حتى
يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه ، فقالوا إنا متضيفوك الليلة فانطلق بهم
فلما مشى ساعة التفت وقال : أما بلغكم أمر هذه القرية ؟ قالوا وما أمرها ؟
قال أشهد بالله إنها أشرف قرية في الأرض ، وما أعلم على وجه الأرض أنا أنخبث
منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج إلى المدافعة
عن أضيافه ونخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى (وجاءت رسلنا لوطاً وهم
بهم ذرأاً وقال هذا يوم حصيب) أى شديد

قال السدي بإسناده : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ؛
فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تسقى الماء لأهلها وكان
له ابنتان اسم الكبرى ريثا والآخرى عيثا فقالوا لها يا جارية على من تنزل ؟
قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففرعت عليهم من قومها ثم أتت أباهما
فقالت يا أبته أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم فطأ أحسن منهم
لئلا يأخذهم قومك فيفضحوك ، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالاً وقالوا له

خلى عنك فلنضيف الرجال فلذلك قوله تعالى (أو لم ننمك عن العالمين) فجاء بهم لوط إلى منزله ما يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسناً قط .

قال أبو حمزة الثمالي : بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومه إذا اتهم الضيفان يقول رسولها هيئوا لنا ملحا تدعوهم بذلك إلى الفاحشة بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مستخفا ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف زوجها جاء قومه يهرعون إليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط : (يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) وقال لهم (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) قالوا (أو لم ننمك عن العالمين) أن تضيف الرجال وقالوا (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وأنتك لتعلم ما نريد) فلما لم يقبلوا منه من عرض عليهم قال (لو أن لي بكم قوة آوى إلى ركن شديد) قالوا فما بعث الله نبياً بعده إلا في شرف من قومه منعه من عشيرته ، وقال ﷺ لما قرأ هذه الآية رحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد .

قال ابن عباس وغيره وغلق بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يألهون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من السكر والنصب والتعب بسببهم قالوا له (يا لوط إن ركنك شديد وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ، إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فاسر بأهلك بقطع من الليل) الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبيك مثل المرجان كأنه الثلج بياضاً وقدماه إلى الخضر فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم ثم انصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة إن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض .

وقالوا للوط أجهتتنا بقوم سحرة سحرنا كن كما كنت حتى تصبح يتوعدونه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربهم وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم أهلكوهم الساعة ، فقال له جبريل (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) ثم أمره أن يسرى بأهله يقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذ قوله تعالى (إلا آل لوط نجيتناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر) .

فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قرى قوم لوط الأربع وكان في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى (فجعلنا عاليها سافلها) ثم أنبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجين منضودة مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) أي ممن يفعل كفعلمهم .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا نخلد بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنا جوبير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إني لأسمع البواصف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التي أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلمهم » .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس ابن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازي أخبرنا أبو النعمان الحكيم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان إلى أن أتى شعيب القاضي حمص وكان رجلاً عالماً فسأله عن عقوبة اللوطي قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فإن الله تعالى قال (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) وقال تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) فقيل عبد الملك ذلك منه واستحسنه وقالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قرية التي يكون فيها فيأتيه الحجو فيقتله قال

وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى (إلا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقيين فى العذاب .

أخبرنا الحسين محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى قال أخبرنا المصيب قال سمعت أبا روق يقول : (إلا امرأته كانت من الغابرين) وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة ، قالوا وكانت قرى قوم لوط - خمساً سدوم وعامورة ودومة وساعورة فأما سدوم فهى القرية العظمى وكان فى هذه القرية أربعة آلاف فاحتلمها جبريل على جناحه فقتلها فلذلك سميت بالمؤتفكات أى المتقلبات وأما القرية فإنها تسمى صفرة ونجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط .

وروى أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام : إن الله تعالى سماك بأسماء ففسرها لى قال وصفك فى قوله تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) فأخبرنى عن قوتك : قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الأرض على جناحى فى الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهر آ لبطن . قال فأخبرنى عن قوله تعالى مطاوع ؟ قال أن رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران متى قلت لهما أو كلمتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحاها ؛ قال فأخبرنى عن قوله تعالى أمين ؟ قال إن الله تعالى أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيرى .

أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفى أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سميان البرارى أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال . سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط . بقمل رجالهم ؟ فقال ؛ الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعاً .

أخبرنا ابن فتحويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحق بن بشر حدثنى مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقى من قوم لوط - أحد ؟ قال لا إلا رجلاً بقى أربعين يوماً وكان

يحكمة فجاءه حجر ليصديه في الحرم فقام إليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع
من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله ؛ فوثب الحجر خارج الحرم أربعين يوماً
بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته ، فلما خرج أصابه الحجر فقتله عن
مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال (ما عمل ذلك قوم لوط . إنما كانوا ثلاثين
رجلاً ونيفاً لا يبلغون الأربعون فأهلكهم الله جميعاً) وقال رسول الله ﷺ
(لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعاً) .

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية قال سعد بن أبي وقاص
نقلت الصحابة لرسول الله ﷺ لو حدثتنا ؛ قال فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن
الحديث كتاباً متشابهاً) الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى
(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) الآية فدلهم الله
تعالى في هذه الآية على أحسن القصص ، فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة
الفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى (وهو أهون عليه) قال الشاعر
إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائه أعز وأطول

إرادة عزيزة طويلة وأجراه الباقيون على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص
ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول
الله ﷺ إلى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها
فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) يعني أن قصص القرآن أحسن
بما في التوراة وقيل سمي الله هذه القصة أحسن القصص لأنها ليست قصة في القرآن
تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال
الله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال تعالى (لقد كان في
قصصهم عبرة لأولي الألباب) وقال تعالى (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)
وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والإنس

والأنعام والطيور وسير الملوك والممالك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء ، وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضاً ذكر العفة والتوحيد ، وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعايشة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خير الدنيا والعقبى .

أخبرنا أبو عبد الله الثقفى أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازى أخبرنا مسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال : حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ « مررت ليلة أسرى بي إلى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا ؟ فقال : هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله ؟ قال - كالقمر ليلة البدر . »

وعن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال : كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلاًواً وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران . قال كعب الأحبار . إن الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الأنبياء عليهم السلام نبياً نبياً وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجاً بتاج الوقار متزراً بحلة الشرف مرتدياً برداء الكرامة مقمصاً بقميص البهاء .

وكان يخبر بالامر الذي يروى في المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر عليه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم ، ويقال إنه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالهبرانية وهو ورث الحسن عن أمه سارة فإن الله تعالى صورها على صورة الخور العين ولكن لم يعطها صفاء هن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة . ما لم يعطه أحد من العالمين .

وقال وهب : الحسن عشرة أجزاء ، ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس . وعن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال (هبط جبريل عليه السلام

فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشى .

وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد ؟ فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد ﷺ أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال - نظرت إلى رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء ونظرت إلى القمر ليلة البدر فهو أحسن في عيني من القمر .

(القول في القصة)

قال أهل العلم بقصص الأنبياء وأخبار الماضين - كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وإيثاره على سائر ولده أن الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة في صحن داره ، فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصناً ، فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ ، فإذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه إليه فولد له عشر بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان ، فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيئاً فلما كبر وشب قال لآبيه يا بني الله إنه ليس أحد من إخوتي إلا حوله غصن إلا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة .

فرفع يعقوب يديه إلى السماء وقال اللهم إني أسألك أن تهب ليوسف غصناً من الجنة يفتح به على جميع إخوته فهبط جبريل عليه السلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الأخضر فقال ليوسف خذ هذا فيمكن يوسف يأخذه ويخرج به مع إخوته فقال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو إذ ذاك حبي كأن قضيبه غرس في الأرض فعلق وتدلأت أغصانه وأثمر من كل ثمرة ثم أتى بأغصان إخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر ؛ وإذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على أغصان إخوته من أصولها وألقمتها في البحر وثبت غصن يوسف في الأرض قائماً فانتبه فزعاً مرعوباً فقال له أبوه ما الذي دهاك يا بني فقص عليه رؤياه (إذ قال يوسف لآبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً) الآية

وكان ينام إلى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي إذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمة إلى صدره وقبله بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذي رأيت؟ قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشترقت الجبال وزخرفت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنني ألبست رداء اشترقت الأرض من حيه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض القيت بين يدي فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعهما الشمس والقمر نخرورا إلى ساجدين .

فقال يعقوب (يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك) الآية ثم غبر رؤياه فقال (وكذلك يمتدحك ربك ويعلمك أمن تأويل الأحاديث) الآية ، قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب اكنتمى ما قال يوسف لأبيه ولا تخبري أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكنتمها فحسدوه على ذلك فلذلك قيل في الحكمة (لا تأمن قارئنا على صحيفة ولا شاباً على امرأة ولا امرأة على سر) .

وروى الحكم بن ظهير عن إسماعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نسيار إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها ؟ فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه بشيء حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل إلى اليهودي ودعاه وقال له إن أخبرتك بأسمائها أتسلم ؟ قال نعم ، فقال له جريان والطارق والذبال وذو الكلتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح ورآها يوسف في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال ، أرى شيئا مشتتاً ويجمعه الله لك ؟ فقال اليهودي هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف في الغصن ورؤياه في السكواكب سبع سنين ؛ فلما ما كان من أمر يوسف ما كان وانضاف إلى ذلك تخصيص أبيه يعقوب إياه بالحببة والقربة حسدوه

إخوانه وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم في أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من
الاحتياال ويهملوه فيما هم بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى (إذ قالوا ليوסף
وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين) أي خطأ بين في إشاره
يوسف وأخاه عليهما (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين) أي تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب .

قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلمهم وأعلمهم لا تقتلوا يوسف فإن القتل
عظيم وألقوه في غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة إن كنتم
فاعلين قيل للجسن ، أي حسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل -
الاب جلاب والأخ سلاب فمئذ ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه
في إرسال يوسف معهم إلى البرية فقال لهم رويل وهو أكبر ولد يعقوب إن
آبائكم لا يأمنكم على يوسف واسكنوا بئر يوسف حتى نلعب بين يديه فإذا
نظر إلينا كيف نمرح ونلعب اشتاق إلى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح
فجعلوا يتلاعبون ويتصاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب
معه فاقبل عليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم ؟ فقالوا نعم يا يوسف
إنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعيها لتمنيت أن تكون معنا فشوقوه إلى ذلك
حتى كان هو الطالب إليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا إلى أبي واسألوه ان يرسلني
معه فاقبلوا إلى يعقوب ووقفوا بين يديه صفوا وكانوا يفعلون هكذا إذا أرادوا
أن يسألوه حاجة فلما رأهم بين يديه وقفا صفوا قال ما حاجتكم ؟ قالوا يا أبانا
(مالك لا تأمننا على يوسف وإنا له لناصحون) نحوطه ونحفظه حتى نرده إليك
(أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) في الصحراء (وإنا له لحافظون) فقال لهم يعقوب (إني
ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) لا تشعرون بذلك .

قال ابن عباس وغيره إنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى في منامه كأن يوسف
على رأسه جال وكان عشرة من الذئاب قد شددوا عليه لئلاكلوه وإذا ذئب منها
يحمي عنه وكان الأرض قد الشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة

أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم
الخاف ان يأكله الذئب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم
وعبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروي أخبرنا مالك بن
سليمان القروي أخبرنا عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن عمر قال قال رسول الله
ﷺ لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا إن الذئب يأكل
الإنسان حتى لقتلهم أبوه فلما لقتلهم وقال إنى أخاف ان يأكله الذئب قالوا أكله
الذئب (فقال بنوه (لأن أكله الذئب ونحن عصبة) أى عشرة رجال (إنا إذا لخاسرون)
عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كيف يأكله الذئب وفيما شمهون إذا غضب لا يسكن
غضبه حتى يصبح فإذا صاح لا تسمعه حامل إلا وضعت مافي بطنها وفيما يهوى إذا غضب
شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب ذلك منهم اطمأن إليهم وأقبل يوسف حتى
وقف بين يدي أبيه ثم قال يا أبت أرسلني معهم قال أوتحب ذلك يا بني؟ قال نعم قال
إذا كان غداً أذنت لك في ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثياباً وشده عليه منطقتة وأخذ
قضيبه وخرج مع إخوته ثم عمد يعقوب إلى السلة التي حمل فيها إبراهيم زاد إسحق
فحمل فيها زاداً ليوسف وخرج ليشتريهم فقالوا يا بني الله ارجع فقال يعقوب يا بني
أوصيكم بتقوى الله وبحببي يوسف أسألكم بالله إن جاع فاطعموه وإن عطش
فاسقوه وقوموا عليه ولا تنهبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين، قالوا نعم
نعم يا أبانا كلنا لك وهو أخونا كأحدنا بل له الفضل علينا بحبك إياه فقال نعم يا بني
الله خليفتي عليكم مع أنى خائف أنا كون قد ضيعته ثم إنه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه
إلى صدره وقبله بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعاً .

وروى السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي
ﷺ وإسحق بن بشر بن جوير عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بكيرة
عن كعب الأحبار وعن سعيد بن أنى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض
قالوا أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا
به إلى البرية أظهروا له المداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحداً بعد واحد وهم

يضر بونه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشاً شديداً فقال لهم اسقوني جرعة من ماء
قبل أن تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكى الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى يوسف
أن ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع
يا ابنك بنو الآباء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأياً
ليس إنكم قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على إلقائه في الجب كما قال
الله تعالى (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) فالهملقوا به إلى الجب
ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الأردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس
على قارة الطريق في واد من أوديتها على ثلاث فراسخ منزل يعقوب وكان بئراً
وحشة مظلمة وأسفلها واسع وأعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه
الصعود وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الأحزان فلما أرادوا أن يلقوه
فيه جعلوا يدلون في البئر فيتماق بشفير البئر فربطوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه فقال
يا إخوتاه ردوا علي قميصي أستبر به عورتى ويكون لي كفنأ بعد عاتى وأطلقوا يدي أطرد
بهما عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك
وتؤانسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه :
فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة مملعة لينية ورفعها إلى يوسف فوقف عليها
وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن أنها رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرصه حوة بالحجارة
فبقتلوه فمنهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه قالوا فلما ألقى يوسف في
الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى إليه ملكاً فخل عنه
قيده وكان إبراهيم حين ألقى في النار سجد من ثباته وقذف في النار غرياً نافاً تاه جبريل عليه
السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات
إبراهيم ورثه إسحق فلما مات إسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك
القميص في تعويذة وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في الجب
عرياً ناساه ذلك وكان عليه التعويذة فأخرج القميص وألبسه إياه وجعل يؤنسه بالندار
ويروى أن الملك أتاه بسفر جلة من الجنة فأطعمه إياها فلما أمسى يوسف نهض
الملك ليذهب فقال له يوسف إنك إذا خرجت عنى استوحش فقال له الملك قل إذا

هبت شيئاً يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعرف حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى ؛ فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله إليه سبعين ملكاً فخفوا به وآسوه فى النهر ثلاثة أيام ؛ فلما كان فى اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحتك ههنا فى هذا الجب ؟ قال إخوتى لآنى ولم قال ؟ حسدوني على منزاتى من أبى قال أنتحب أن تخرج من هذا الجب ؟ قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل مألوف يا شاهد كل تجوى ويا قريباً غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالباً غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حياً لا يموت ويا يحيى الموتى لا إله إلا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والأرض يا ملك الملك ويا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لى من أمرى ومن ضيقى فرجاً ومخرجاً وترزقنى من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجهل الله له من الجب مخرجاً ومن كيد إخوته فرجاً وآناه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله إليه وهو فى البئر لتنبئن إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون أنك يوسف فذلت قوله تعالى (لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) .

وقال مجاهد - خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين ولم يشعر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة .

أخبرنا أبو عبد الله الدينورى أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف المصرى أخبرنا أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبرى أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان فى العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة .

وصلنا إلى قصة يوسف عليه السلام وإخوته بعد ما ألتقى فى الجب فلما ألقوه فى الجب عمدوا إلى سحلة من النعم فذبحوها ولطخوا قيص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها - ثم لأنهم رجعوا إلى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم

من يأتون بيوسف فلما أدنوا منه اضطربوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة ، فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففرع يعقوب وقال مالكم يا بني وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتفضل وكذلك هو في قراءة عبد الله (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) وهذا قميصه ملاحظ بدمه - فذلك قوله تعالى (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وإنما فعلوا ذلك ليكنوا في الظلمة أجراً على الاعتذار وتزوير ما مكروا فقد قالوا - لا تطلب الحاجة في الليل فإن الحيام في العيين ولا تعتدوا بالنهار فلعلك فتتلجج في الاعتذار فلا تقدر على إتمامه .
وروى الشعبي - قال جاءت امرأة إلى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى إلى هذه المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون ثم إنه أنشد في معناه -

أغرك من شيخ بكاء وعلمة أم اللحية البيضاء للنتف معلقة
فإن بني يعقوب جاءوا أباهم عشاء وهم يبكون زوراً ومخرقة

قال فلما قالوا (يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتفضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية إلى قوله - بدم كذب . لأنه لم يكن دم يوسف وإنما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذاب بدال غير معجزة أي طرى فلما قالوا ذهب ليعقوب بكوا بكاء شديداً وقال لهم أروني قميصه فأروه ، فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيباً ولا خرق له شقاً وصاح صيحة ونحر مغشياً عليه فلم يفق إلا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديداً ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه .

أخبرنا ابن فتحويه أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاءوا به إلى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قميصه وحين سمى نحو الباب فشقت قميصه من خاف فعرف

الوزير أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيراً .

قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا إلى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فإن أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرك بين اضلاعه ولحمه ونجى به فقال لهم يهوذا يا إخوة أين العهد الذي بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لا تخبرن يعقوب بما كان منكم إليه ثم لا تكونن لكم عدواً ما بقيت فتذكوه فمئذ ذلك قال يعقوب لأولاده (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى د والله المستعان على ما تصفون ،

قال ابن عباس إنما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا له بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أي رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطئوا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريباً من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران إنما هو للرعاة والمجنازة

فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلاً من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيسمى الارشية والدلاء فوصل الوارد إلى البئر فأدلى دلوه أي أرسلها فتعلق يوسف بالحبيل فلما وصل إلى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال يا مالك يا بشرى هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبداً وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك ابن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقال لهم بضاعة استبضعناها من بعض الناس إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة إن علموا حاله .

(م ٩ - قصص الانبياء)

قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرّاً من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجد في البئر فنظر فإذا هو بمالك وأصحابه نزولاً ويوسف معهم وقد باعوه بثمن بخس بعد أن أخرجه من الجب وإن الذي اشتراه منهم هو عزيز مصر فذلك قوله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لأن ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وإنما قال ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهماً إنما كان يعدونها عدّاً فإن بلغ أوقية وزنه لأن أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أربعون درهماً .

ويروى أنهم ذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلاً ولا ارتحلت إلا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحاً ومساءً وكنت النظر إلى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه إذا سار وتقف على رأسه إذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوباً حسناً وعرضه للبيع فاشتراه قنظير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ويروى أن هذا الملك ما مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ؛ ثم مات ويوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافراً فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يسلم .

قال ابن عباس لما دخلوا مصر تلقى قنظير السيارة وإيتاح يوسف من مالك ابن دعر بعشرين ديناراً وزوج نعال وثوبين أبيضين .

أخبرنا أبو بكر الجوزقي أخبرنا أبو العباس الدعولي بسر حين أخبرنا على ابن الحسين الهلالي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن إسحاق عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة ، العزيز حين تفرس في يوسف وقال

لامرأته أكرمي مثواه ، والمرأة التي أتت موسى فقالت لا يبها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر ، قال الله تعالى - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يعني أرض مصر .

(قال أهل الكتاب) لما تم ليوسف في الأرض ثلاثون سنة استوزرة فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث) الآية فلما أتى العزيز بيوسف إلى منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشيقته فراودته أي طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى (وراودته التي هي في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقال هيت لك) أي هلم تدعوه إلى نفسها فقال يوسف عند ذلك (معاذ الله إن ربي أحسن مثواي) يعني زوجك قطفير سيدي إنه أحسن مثواي أنه لا يفاج الظالمون ؛ يعني إن فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرمني وائتمني فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ومعنى ألهم بالشيء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد - قال الشاعر

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على وعثمان تبكي حلاله

أما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهما به فاختلف أهل العلم في ذلك .

قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت له - يا يوسف ما أحسن شعرك ؛ قال هو أول شيء يثتر من جسدي قالت - يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل في الأرض من جسدي قالت - ما أحسن وجهك ، قال التراب يا كله فلم تزل تأمره وتعظمه أخرى وتدعوه إلى اللذة وهو شاب مستقبل مجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه .

وأما البرهان الذي رآه يوسف ، وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه
فاختلفوا فيه .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن
عطية عن إسرائيل بن أبي الحسين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى
(لولا أن رأى برهان ربه) قال له مثل له يعقوب فضربه بيده على صدره .

قال فكل بني يعقوب ولد اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر
ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه . وقال قتادة
رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
في ديوان الأنبياء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد
السكوني أخبرنا محمد بن إبراهيم بن خالد بن عمر حفص البصري ببغداد أخبرنا
خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى
(ولقد هممت به وهم بها) فإذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) فقام هارباً فارقاً فلما ذهب
عنهما الروح والرعب عادت وعاد وإذا السكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا
معصم مكتوب فيها (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) فقام هارباً وقامت فلما
ذهب عنهما الرعب عادت وعادوا إذا السكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب فيها (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) وقال الله تعالى
(كذلك أنصرفت عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخالصين)

أخبرنا يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد
ابن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن
أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى

(لولا أن رأى برهان ربه) قال قامت امرأة العزيز إلى الصنم فظلمت دونه بثوب فقال لها يوسف ما هذا؟ قالت استحي أن يرانا فقال لها يوسف اتستحيين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا استحي أنا من خلق الله كلها وعالمها :

قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارباً عما أراده فاتبعتة المرأة فذلك قوله تعالى (واستبقا الباب) يعنى تبادر يوسف وراعيل إلى الباب أما يوسف ففراراً من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلباً ليوسف ليقتضى حاجتها التي راودته عنها ، فأدركته فتملقت بقيصه من خلفه فجذبتة إليها مانعة له من الخروج ففقدت أى خرفت وشقت قيصة من دبر أى من خلفه لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفا سيدها لدى الباب أى وجد زوجها قفاً فقفاً عند الباب جالسا مع ابن عم راعيل فلما رآته هابته، وقالت سابقة بالقول لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) يعنى الزنا (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) يعنى الضرب بالسياط ..

عن ابن عباس - وهكذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني وشقت قيصى قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو ؟

قال سعيد بن جبير والضحاك كان صبياً في المهد انطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : تسكنهم أربعة في المهد وهم صغار ، ابن ماشطة بدت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى ابن مريم .

وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبياً ولكن كان رجلاً حكيماً وله رأى وكان من خاصة الملك ، وقال السدي هو ابن راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ((إن كان قيضه قد من قبل فصدقت وهو من

الكاذبين ، وإن كان قبيصه قد من دبر فسكذبت وهو من الصادقين) فلما رأى قبيصه
دبر من دبر ، عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال إنه من كيدكن إن
كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره
لأحد ثم قال لامرأته (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) أي من المذنبين
حين راودت شاباً عن نفسه وخنت زوجها فلما استعظم كذبت عليه .

قال فشاع أمر يوسف وراعى وتحدثت الناس بذلك (وقال نسوة في المدينة)
وهي امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن
وامرأة الحاجب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أي عيبتها الكنعاني قد
شفقها حباً أي دخل حبه في شفاف قلبها وهو حجابها وغلافه إنا انراها في ضلال
مبين أي خطأ بين حيث تراود عيبتها عن نفسه .

فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن قال ابن اسحق يعني بكيدهن
وذلك إنما قلته مكرأ بها لترين يوسف لما بلغن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل
مائدة ودعت أربعين امرأة ممن هؤلاء اللواتي عيبنها فذلك قوله تعالى (وأرسلت
إليهن وأعدت لهن متكئاً) أعدت أي هيأت لهن مجلساً للطعام وما يتكئن عليه
من النارق والوسائد .

عن ابن عباس ومعه بن جبير وقتادة : يعني هيأت طعاماً وقال بجاهد متكئاً
نخيفاً غير مهموز - وهو كل طعام تجزه بالسكين وقال وهب أعدت لهن أترجاء
وبطيناً وموزاً ورمائاً وورداً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقال ليوسف
خرج عليهن وكانت قد أجالسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فنخرج
عليهن يوسف فلما رأيته أكبرنه وهاهن أمره وبهتن وقطن أيدين بالسكاكين
اللاق معهن وهن يحسبن أنهن يقطن الأترج وغيره .

قال قتادة قطن أيدين حتى القينها فما أحسن إلا بالدم ولم يجدن من جن
الأيدي ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام .

(وقال حاش الله) أي معاذ الله (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقالت راعيل عند ذلك للنسوة (فذلك الذي لم تني فيه) أي في حبه وشغفي به ثم لأنها أبدت لهن الميل الذي عنوها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف اطع مولانا تلك فقالت راعيل (لئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فاختار يوسف حين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ولا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) أي أمل وأنا بهن (وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن لأنه هو السميع العليم ثم بدا لهم) أي العزيز وأصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن (ليسجننه حتى حين) .

قال السدي - وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس فإما ان تأذن لي اخرج فأعذر وأما أن تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببرأته دفعاً للتهمة عن امرأته ، وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف من همه وتكفيراً لزلته قال ابن عباس عشر يوسف ثلاث عشرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لإخوته إنكم تشارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل .

ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كان للوليد بن الريان ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما أن خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المنكر بالملك واغتيالاه فدسوا إلى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجابهم إلى ذلك ثم إن الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لا تأكل فإن الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب لأن الشراب مسموم فقال الملك

للساقى اشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأبى فحرب ذلك الطعام في دابة
من الدواب فأكلته فهاهنا كنت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل
السجن قال لأهله إنى أعبى الأحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب حلم هذا
العبد العبرانى فنترا مى له فسألا من غير أن يكونا رأيا شيئا قال عبد الله بن مسعود
ما رأى صاحبها يوسف شيئا وإنما كان تحالما ليحربا عليه وقال قوم بل كانت رؤياهما
على صحة وحقيقة فسألاه عنها . وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قال له والله لقد
أحببتك حين رأيتك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لا تحباني فوالله ما أحبني أحد
قط إلا دخل على من حبه بلاء لقد أحببتني عمى فدخل على من حبه بلاء ثم أحببتني أنى
فدخل على من حبه بلاء ثم أحببتني زوجة صاحبي فدخل على من حبه بلاء فلا تحباني
بارك الله فيكما قال فأبيا إلا حبه وألفاه حيث كان وجعل يهيجهما ما يريان من
فهمة وغفلة وقد كانا رأيا حين دخل السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقى أيها العالم
إنى رأيت كأنى في بستان فإذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عتب فجنيتهما
كلها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى (قال
أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا . وقال الخباز إنى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث
سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبشأ بتأويله إنا نراك من المحسنين) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن محمد بن
إبراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا
خلف بن خليفة أخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم في قوله (إنا نراك من المحسنين)
قال كان إحسانه إذا مرض رجل في السجن قام فإذا ضاق عليه وسع له وإن احتاج
جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا أن إحسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم
ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد
بلاؤهم وطال جزئهم فجعل يقول أبشروا والصبروا وتوجروا إن في هذا الأجر
ثوابا . فقال يافى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك لقد بورك
لنا في جوارك إنا لا نحب أن نكون في غير هذا المسكن منذ رأيناك لما تخبرنا به من

الآجر والكفارة والظاهرة في ذلك فمن أنت يافتي ؟ قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن إسحق بن خليل الله إبراهيم عليه السلام فقال له عامل السجن والله يافتي لو استطعت لخليت سيدك ولكن سأحسن جوارك وأحسن إيثارك فكن في أي بيت شئت قال فذكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره وقال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقال هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلك كما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال (إن تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعتم ملة آباء إبراهيم وإسحق ويعقوب) الخ الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما إلى الإسلام وأقبل على أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال إلزما للحجة (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الواحد القهار ما نعبدون من دونه) الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال (يا صاحبي السجن أما أحدهما وهو الساقى (فيسمى ربه خمرآ) يعني الملك ويعود إلى منزلته التي كان عليها أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام في السجن ثم يخرج (وأما الآخر فيصلب) والصلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام فيبقى في السجن ثم يخرج (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) .

قال ابن مسعود : لما سمع قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيئاً إنما كنا فلاعب ونجرب عليك هذا فقال يوسف قضى الأمر الذي فيه نستفتيان أي فرغ الأمر الذي عنه تسألان .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت ، إن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وأحسبه قال لا تقصها إلا على ذي رأي وعقل قال ﷺ : الرؤيا الأول عابر ، فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم أنه ناج منهما وهو العاقب إذ كرم عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظالماً (فأنساه الشيطان ذكره)

ربه (الآية والبضع ما بين الثلاثة إلى العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين .

وقال وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين .

وروى يونس عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث ، يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى .
وقال الحسن : نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس .

وقال مالك بن دينار . لما قال يوسف للساقى (اذكرنى عند ربك) فقيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لا طيلان حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى كثرة البلى فقالت ما قلت فويل لإخوتى .

ويحكى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين ما لى أراك بين المخطئين ؟ فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استعجيت منى استشفعت بالآدميين فوعزتى لا لبثتك فى السجن بضع سنين قال يوسف يا أخى يا جبريل وهو فى ذلك راضى عني ؟ قال نعم . قال إذا لا أبالى .

وقال كعب الأحبار قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول لك من خلقتك ؟ قال الله تعالى ؛ قال فمن حببك إلى أميك ؟ قال الله تعالى قال فمن آنسك فى البئر وألبسك وأنت عريان ؟ قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر ؟ قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا ؟ قال الله تعالى قال فكيف استعشت بآدمى مثلك ؟ قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الحكى وهذه السبع سوى الخمس التى كانت قبلها وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى (ليسجننه حتى حين) .

فلما استشفع بالساقى وقال له أذكرنى عند ربك لبث فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الأكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهااته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منها شيئاً ، ورأى سبع مذيلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبع أخرى يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غابتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال (أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون) أى تفسرون (قالوا أضغاث أحلام) مختلطة مشتبهة التأويل أجا طيل (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، وقال الذى نجا منهما) أى من الفتيين وهو الساقى (وادكر بعد أمة) أى وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) أى إلى السجن .

قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن فى المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له (أيها الصديق) يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلن سبع عجاف) إلى قوله (لعلمهم يعلمون) أى فضلك وعلمك فقال له يوسف (تزرعون سبع سنين دأباً) إلى قوله (وقيه يعصرون) فرجع الساقى إلى الملك وأخبره بما أفناه به يوسف من تأويل رؤيا كالنهار وعرف الملك أن الذى قال كاهن فقال الملك اتتوني بالذى عبر رؤياى هذا فلما جاء الرسول إلى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف صحة أمره من قبل الذنوة فقال للرسول (إرجع إلى ربك) أى سيدك الملك (فأسأله ما بال الذنوة) اللاتى قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليهن .

قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه مازالت فى نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله ﷺ لقد عجبت من أخى يوسف وكبره وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف

ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لا سرعت الإجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله إنه كان حليماً
 ذا أناء ، قال فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالة فدعا النسوة اللاتي
 قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن (ما خطبكن إذ راوتن يوسف عن نفسه قلن
 حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) قالت امرأة العزيز (الآن حصحص الحق أنا راوته
 عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فلما سمع يوسف قال (ذلك ليعلم إنني لم أخنه بالغيب
 وإن الله لا يهدي كيد الخائنين) فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال
 يوسف عند ذلك (وما أبرئ نفسي) الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف
 أمانيته وكفائته وديانته وعلمه وعقله قال (ائتوني به استخلصه لنفسى) فلما جاء
 الرسول إلى يوسف قال أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء
 يعرف إلى اليوم وذلك أنه قال : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عنهم
 الأخيار فهم أعلم الناس بالأخبار إلى اليوم في كل بلدة .

ثم إنه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدد أحساناً وقصد إلى الملك
 قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عز
 جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ، فلما دخل على الملك قال ، اللهم إني أسألك
 بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ، فلما نظر إليه الملك سلم عليه
 يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان عمي إسماعيل ثم إنه دحاله
 بالعبرانية ثانياً فقال له ما هذا اللسان ؟ قال لسان أبي يعقوب .

فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه
 وغزارة عليه قال لمن عنده إن هذا تأويل علم رؤياي ولم تعلمه السكينة والسحر
 ثم أنه أجلسه وقال إني أحب أن اسمع رؤياي منك شفهاً فقال يوسف نعم أيها
 الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل
 قطعن عليك من شاطئه تشعب أنحلافهن لبناً فبينما أنت كذلك تنظر إليهن وقد

أعجبك حسنهم إذا غضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمته ووحله سبع
بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن
أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع ؛ فاختلطن
بالسمان واقتربن من اقتراس السباع وأكلن اللحم ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
ومششن مخن ، فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبتهن وهن مهازيل لم يظهر فيهن سمن
ولازيادة بعد أكلهن إذا سبع سذبلات خضر وسبع آخر سود يابسات في منبع واحد
عروقهن في الثرى والماء . فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا ؟ هؤلاء خضر مثمرات
وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولها في الماء إذ هبت ريح فردت أوراق السود
إلى يابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن وصرن سوداً متغيرات
فهمذا آخر ما رأيت من الرؤيا ، إنك انتبهت مذعوراً فقال له الملك والله ما شأن
هذه الرؤيا وإن كانت عجبا فأعجب بما سمعته منك ، فما ترى في رؤياي أيها الصديق ؟
فقال يوسف الصديق : إني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كبيراً في
هذه السنين المخصبة وتبنى الخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبة وسذبله ليكون أبقي له
ويكون قصبة وسذبله علفاً للدواب ، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخس
فيكفيك الطعام الذي جمعه لأهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع
النواحي فيمتارون منك بحبكم فيجتمع عندك الكمنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك
فقال له الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني الشغل فيه ؟ فقال له يوسف
(أجمعاني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) أي كاتب حاسب ، وقيل حفيظ لما
استودعني عليم بسف المجاعة وبلغة من يأتيني . قال له الملك ومن أحق به منك
وولاه ذلك كله وقال له (إنك اليوم لدينا مكين أمين)

وروى سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال : قال الملك
ليوسف إني أريد أن تخالطني في كل شيء غير إني آنف أن تأكل معي . فقال له
يوسف إني أحق أن آنف بذلك منك لأنني أنا ابن يعقوب ابن إسحق ابن إبراهيم
خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه .

قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه
بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه فدانت له الملوكة ولزم الملك وفوض إليه أمر
مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب
فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا خيراً
 مما كنت تريدين مني ؟ فقالت له أيها الصديق لا تلمني فإنني كنت امرأة حسناء ناعمة
 كما رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي الفساء وكنت كما جعلك الله في صورتك
 وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنتين
 إفراتيم وميشا إبنى يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيها العدل
 فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى (وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا
 ليوسف في الأرض) يعني أرض مصر (يتبوا منها من حيث يشاء نصيب برحمتنا
 من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) وللمختار في هذا المعنى :

أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
 أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك
 وكتب بعضهم إلى صديق له هذه الأبيات :

وراء مضيق الخوف متسع الآمن وأول مقروح به آخر الحزن
 فلا تيأسن فالله ملك يوسف خزانته بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخال السنين الخضبة ودخلها المجدة جاءت
يهول لم يعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو
نائم إذ أصابه الجوع (فنهف الملك يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول
القحط والجوع) فلما دخل أول سنة من سني الجذب هلك فيها كل شيء أعدوه من
السنين فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود من
الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار إلا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلى
والحلال والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي

والدواب حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لأحد ملك، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فإن الرجل كان يشتري بولده الخنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لأحد ولد ذكر ولا أنثى إلا بمالك وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة إلا صار ملكاً له فتمجّب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكاً أجمل من هذا ولا أعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وإنما نحن لك تبع فقال يوسف فإني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر جميعاً .

وروي أن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الأيام ف قيل له أتجوع ويديك خزان الأرض فقال إني أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع .

وروي أن يوسف أمر طبّاخ الملك أن يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلّة ، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن إلى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار ، وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم وإن كان عظيمًا من أكثر من حل بهير تقسيطاً بين الناس وتوسيعاً عليهم . فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والأشدّة ما أصاب سائر البلاد ونزل يعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر يطلبون الميرة وأمسك عند بنيامين أخا يوسف لأمه ، فجاء بنو يعقوب إلى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكره لما أراد الله تعالى يبلغ يوسف ما أراد .

وقال ابن عباس وكان بين أن قذفوه في الحب وبين أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكره وقيل إنه كان متزيياً بزي فرعون مصر فكانت عليه

ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب
فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه .

قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى (وجاء إخوة
يوسف فدخلوا عليهم فعرّفهم وهم له منكرون) قالوا فلما نظر إليهم يوسف وكلّوه
بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم ؟ فقالوا نحن قوم
من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نبتاع قمحا فقال لعلمكم عيون جئتم تنظرون
عورة بلادى ؟ فقالوا لا والله وما نحن بجواسيس وإنما نحن إخوة بنو أب واحد
شيخ كبير صديق من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم ؟ قالوا نحن
كنا اثنا عشر فذهب منا أخ إلى البرية فهلك فيها وكان أحب إلى أبينا منا قال كم
أنتم ههنا ؟ قالوا عشرة قال فأين الآخر ؟ عند أبينا لأنه أخو الذي هلك من أمه
فأبونا يتسلى به . قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق ؟ فقالوا أيها الملك إنا في بلاد
لا نعرف فيها . فقال يوسف : فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فإني
أرضى بذلك قالوا إن أبانا يحزن على فراقه وسراوده عنه ، قالوا فضعوا بعضكم
عند رهيبة حتى تأتوني بأخيكم فافترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أبرهم
يوسف فخلّفوه عنده فذلك قوله تعالى (لما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من
أبيكم) الآية إلى قوله (وإنا لفاعلون) فقال عند ذلك يوسف لفتيانه أي لفتيان
الذين يكيلون الطعام (اجعلوا بضاعتهم) أي ثمن طعامهم .

قال ابن عباس كانت بضاعتهم النعال والادم ، وقال قتادة كانت ورقا في
وحالهم (لعلمهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلمهم يرجعون)

واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله : قال يوسف تخوف
يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به إليه مرة أخرى ، وقيل خشى أن يشق
أخذ ذلك منهم على أبيه إذا كانت السنة سنة جدد وقيل رأى لو ما أخذ ثمن الطعام
من أبيه وإخوته مع احتياجهم إليه فرد عليهم من حيث لا يعلمون تذكرا وتمضلا ،

وقيل فعل ذلك لانه علم أن دياتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون
إمساکها فيرجعون إليه لأجلها فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير
رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال
لهم يعقوب إذا أتيتم ملك مصر فاقرءوا عليه من السلام وقلوا له إن أبانا يصلي
عليك ويدعوك بما أوليتنا ثم إنه قال لهم أين شمعون ؟ فقالوا له إن الملك ارتبه
لأنه أتته بنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك ؟ فقالوا إنه أخذناه
وقال إنكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة (وقالوا
يا أبانا منع السكيل فأرسل معنا أخانا) يعني بنيامين (نسكتل وإنا له لحافظون)
فقال يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه من قبل) الآية .

قال كعب لما قال يعقوب (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) قال الله وعزني
وجلالى لأردن عليك كلاهما بعد ما توكلت على قالوا (ولما فتحوا متاعهم) الذي
حملوه من مصر (ورجدوا بضاعتهم) أى ثمن طعامهم (ردت إليهم) قالوا يا أبانا
ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير) فقال لهم يعقوب (إن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتينى
به إلا أن يحاط بكم) أى تهلكوا جميعاً .

وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (حتى تؤتون موثقاً
من الله) يعنى حتى تحلفوا لى بالله وبحق محمد خاتم النبیین وسيد المرسلين أن لا تغدوا
بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب (الله على ما نقول وكيل) أى شاهد
بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد ودخلوا
من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوى جمال وهيبة وصور
حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا فى دخولهم البلد
لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم (وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله

(م ١٠ - قصص الانبياء)

عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوه)
 وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغنى عنهم من الله من شيء)
 صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال إلى قوله تعالى (ولا يكن أكثر الناس لا يعلمون)
 ولما دخلوا على يوسف في المرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا
 أن نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم واصبتم وستحمدون على ذلك عندي
 ثم إنه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة وأجلس بنيامين
 وحده وحيداً فبكى وقال لو كان يوسف حياً لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد
 بقي أخوكم هذا وحيداً فريداً ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما
 كان الليل أمر لهم يوسف بمثل ذلك وقال ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد
 فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل
 يوسف يضمه إليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا
 فلما أصبح قال لهم إني لأرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فإن
 تشاءوا أضمه إلى ليكون منزله معي ثم إن يوسف أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم
 الطعام والشراب وأنزل أخاه لأمه معه .

فذلك قوله تعالى (آوى إليه أخاه) فلما خلا به قال له ما اسمك . قال بنيامين
 قال له وما بنيامين ؟ قال المشكل وذلك أنه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك ؟ قال
 راحيل بنت لئان بن ناحور قال فهل لك من ولد ؟ قال نعم كم ، قال عشرة بنين
 قال فلما أسماؤهم لقد اشتقت أسماءهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال
 يوسف لقد اضطررت ذلك إلى حزن شديد فما أسماؤهم ؟ قال بالما وأخير وأشكل
 وأحيا وخير ونعمان وورد ورأس وعيثم وغيثم قال فما هذه الأسماء ؟ قال أما بالما
 فإن أخى ابتاعته الأرض وما أخير فإنه كان بكر أمي وأما أشكل فإنه كان أخى لاني
 وأمى ومنى وأما أحيا فلكونه كان حياً وأما خير فإنه كان خيراً حيث كان وأما
 نعمان فإنه كان ناعماً بين أبيه وأما ورد فإنه كان بمنزلة الورد في الحسن ، وأما رأس
 فإنه كان بمنزلة الرأس من الجسد وأما عيثم فاعلمني أبي أنه حي وأما عيثم فلو رأيت

غرفته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب ان أكون أخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا فثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال (إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم إن يوسف أوفى لإخوته الكيل وحل لبنيامين بعيراً .

قال كعب : لما قال له إني أنا أخوك قال بنيامين فإني إذا لا أفارك قال يوسف إني قد علمت باغتيال الوالد فإن حبسته زاد غمه ولا يمكنني حبسك إلا بعد اشتهارك بأمر فظيع فقال لأبالي أفل ما تريد فقال يوسف إني أدس صاعى هذا فى رحلك ثم أنادى عليكم بالسرة ليتبيناً لى ردك بعد تسريحك قال أفل فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل الساقية فى رحل أخيه) وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأساً من الذهب مكلاً مرصعاً بالجواهر جعلها يوسف مكياً لا يكتال بها ثم لأنهم ارتحلوا وأمهاتهم يوسف حتى ظعنوا ثم إن يوسف أمر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير (ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك ؟ قال سقاية الملك فقدناها ولم نتم عليها غيركم (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) ولما منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحداً بسوء واسألوا عنا من مر بنا به هل أضربنا أحداً أو أفسدنا شيئاً وإنا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين ما رددناها . وفى الحديث (إنهم لما دخلوا مصر كموا أفوافدوا بهم لئلا تتناول من حروث الناس شيئاً) فقال الرسول إنه صاع الملك الأكبر الذى يتسكن فيه وإنه أأتمنى عليه فإن لم أجده تخوفت أن تسقط منزلى عنده وأفتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أى كفيل قالوا معاذ الله أن تسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أى جزاء من وجد فى رحله إن كنتم كاذبين (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) فقال الرسول عند ذلك لا بد

من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى أفتشها ؛ ثم إنه انصرف بهم إلى يوسف
(فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) لإزالة التهمة ؛ وكان
يفتش أمتعتهم واحداً واحداً .

قال قتادة : ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر إلى وعاء أحد إلا استغفر
الله تعالى عما قذفهم به حتى لم يبق إلا الغلام فقال ما أظن هذا الغلام أخذ شيئاً
فقات إخوته والله ما تركك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك ولا نفسنا فلما
فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته
رءوسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا إيش الذي صنعت بنا وفضحتنا
وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم
بنيامين : هل بنوا راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي إلى البرية
فأهلكتموه إن الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم
لأنهم قالوا ليوسف (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وهذا هو المثل السائر
عذره شر من جرمه .

واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقاتة
السرقة التي وصفوا بها يوسف أنه سرق صنما لجده أبي أمه من ذهب فكسره والقاه
في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنما لحاله من ذهب
فأخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوماً فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاه
السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام
من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره - كان أول ما دخل على يوسف من البلاء
أن عمته بنت إسحق كانت أكبر ولد إسحق وكانت منطقة إسحق عندها وكانوا
يتوارثونها بالسكر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحسنته عمته وأحبته حباً
شديداً وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه في قلب يعقوب
فأناها وقال لها يا اختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت

له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت ذعه عندي أياما انظر إليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت إلى منطقة إسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم إنها قالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فالتفت فلم تجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقال والله إنه سلم لي اصنع فيه ماشئت وكان ذلك حكم آل إبراهيم في السارق فانها يعقوب فأخبرته بذلك فقال إن كان هذا فهو سلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال لإخوته (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرهما يوسف في نفسه ولم يبد لها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) .

قالت الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرج الصاع من رحل بنيامين ودعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال إن صاعى هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلا وإنكم انطلقتم بأخ فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أخى أين هو؟ فنقره ثم قال له حى وسوف تراه فقال بنيامين واصنع بى ماشئت فإنه أعلم بى سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف إلى منزله ثم إنه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله في رحله فنقره ثم إنه قال إن صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبي الذى سرقتى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله إن لم تتركنا وأخانا لأصيحن صيحة لا يبقى في مصر امرأة حامل إلا ألقى ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لإبنه قم إلى جنب روبيل ومسه فقام الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل إن في هذا البيت شيئا من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب؟ فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله ابن إسحق بن إبراهيم خليل الله قال يوسف أنت إذا إن كنت

صادقاً فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه وإنه أولى به منهم واحتبسه ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم ويعطوه واحداً منهم بدله فقالوا (يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً فنخذ أحداً مكانه إنا نراك من المحسنين قال) يوسف (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل من سرق تحزناً من الكذب (إنا إذا لظالمون) إن أخذنا بريئاً بسقيم (فلما استياسوا منه خلصوا نجياً) أي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون .

وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) في هذا الغلام لتردوه (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف (فلن ابرح الارض) يعني أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) فأرجع إلى الملك فأناجزه القتال (أو يحكم لي وهو خير الحاكمين) أرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا) أي نحن رأينا سرقة معه (وما كنا للغيب حافظين) حين سألتك أن ترسله معنا ولو علمنا الغيب أن يسرق ما ذهبنا به معنا (واسأل القرية) يعني واسأل القرية (التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) يعني قوماً أصحابوهم من أهل كنعان (وإنا لصادقون) لك في قولنا فرجعوا إلى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب (بل سؤاستكم أنفسكم أمراً فصبراً جميل) وهو الذي لا جزع فيه (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً) يعني يوسف وبنيامين (لأنه هو العليم الحكيم) وتولى عنهم يعقوب (وقال يا أسفا على يوسف) وذلك أنه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) والاسف أشد الحزن .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لم تعط أمة من الأمم عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ ، ألا ترى إلا يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع إنما قال يا أسفا على يوسف .

وقال الحسن ؛ كان بين خروج يوسف من عند أبيه إلى يوم الإلتقاء معه أكثر من ثلاثين سنة لأن يوسف أخذ من أبيه وهو ابن عشرة ستين ثم توصل إلى الملك وهو ابن ثلاثين ولم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الأرض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكى وبكى قال له ولده (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً) أى مريضاً ذاهب العقل من الهم (أو تكون من الهالكين) فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) لا إليكم وفى الحديث د إن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقه فقال له بعض جيرانه فتمشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أخوك فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال طول الزمان وكثرة الأحران فأوحى الله تعالى إلى يعقوب أتشكونى إلى خلقى ؟ فقال يارب أخطأتها فاغفرها لى ، قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) .

أخبرنى الحسين بن فتحويه : أخبرنا أحمد بن الحسين بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبى زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السلاط قال سمعت أبى يقول بلغنا أن رجلاً قال ليعقوب ما الذى أذهب بصرك ؟ قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك ؟ قال حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) .

قال قتادة ذكر لنا أن نبى الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى فى طول بلائه ساعة من ليل أو نهار فعند ذلك خرج إخوة يوسف راجعين إلى مصر وهذه كرة ثلاثة فدخلوا على يوسف (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) أى الملك بلغة مصر (منسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة) أى قليلة رديئة لا تتفق فى ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها واختلاف المفسرون فى هذه البضاعة ما هى فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تتفق إلا بوضيعة .

وقال ابن أبى مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رداء المتاع .

وقال عبد الله بن الحارث والحسن كانت أمتعة الأعراب الصوف والسن والاقط
وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقل (فأوف لنا السكيل وتصدق
علينا إن الله يحزني المتصدقين) .

قال الضحاك : لم يقولوا إن الله يحزنيك إن تصدقت علينا لأنهم لم يعلموا أنه
مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على
أحد من الأنبياء سوى نبيينا محمد ﷺ فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق
علينا (أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وإنما حرمت على نبيينا عليه الصلاة
والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ
أنتم جاهلون) واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان
بدء فرج يعقوب وراحله وآخر بلائه ومحتته فقال بن إسحق ذكر لنا أنهم لما
كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فأرفض دمه با كيا ثم باح بالذي
كان يكتنم فقال (هل علمتم ما فعلتم) الآية .

وذلك ان يعقوب لما قيل له إن ابنك سرق كتب إلى يوسف كتابا من يعقوب
إسرائيل الله بن إسحق ابن إبراهيم خليل الله عزيز مصر المظهر العدل والموفق
السكيل أما بعد فإننا أهل بيت موكل بنا بالبلاء فأما جدى قابلى بالنمر وذفشدت يداه
ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت يداه ورجلاه
ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم . وأما أنا فكان لى ابن وكان
أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا
قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه
وكنيت ألسلى به فذهبوا ثم رجعوا وقالوا إنه سرق ولأنك حديثه لذلك ولأننا
أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته على ولادعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك .

فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر أمره

وقال بعضهم إنما قال ذلك حين سأل إخاء بنيامين هل لك ولد؟ قال نعم: ثلاثة بنين قال فما سميتهم؟ قال سميت الأكبر منهم يوسف قال ولم؟ قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثاني؟ قال ذنباً قال ولم الذئب وهو سبع عاقر؛ قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال، لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك أن قال لإخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم جاهلون قالوا أنئك لانت يوسف) ابن إسحق لما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا (الأنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى).

وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف (هل علمتم ما فعلتم) الآية ثم تبسم وكان إذا تبسم كأن ثناياه اللواظ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستنهمين أنئك يوسف.

وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال إن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لإسحاق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له (أنئك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا) بأن جمعنا بعد ما فرقت بيننا (لأنه من يثق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ثم لأنهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجريمتهم إليه فقالوا (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) فقال يوسف وكان حليماً كريماً موقفاً (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

قال السدى وغيره: لما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي من بعدى؟ قالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه.

قال الضحاك كان ذلك القميص لا يقع على مبتلى ولا على سقيم إلا صح وعوفي فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لإبراهيم وقد مضت قصته فقال لهم

(اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً واثبتوني بأهلكم أجمعين)
فلما فصلت العير من مصر متوجهين إلى كنعان قال أبوه يعقوب (إني لأجد ريح
يوسف لولا أن تفندون) أي تسفهون .

وروي أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن
يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ، قال ابن عباس : وجد يعقوب ريح
يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال بحامد وذلك أنه هبت ريح فصفقت القميص
فاحتملت الصبا ريح القميص إلى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الأرض
من رياح الجنة إلا ما كان عن ذلك القميص فمن ذلك قال (إني لأجد ريح يوسف
لولا أن تفندون) فقال له بنوه (تالله إنك لفي ضلالك القديم) فلما جاء البشير
وهو يهوذا ابن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير ، وقال السدي
قال يهوذا ليوسف انا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف
أكله الذئب فأعطاني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأفرحه كما أحزنه .

قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشياً حاسراً خافياً وجعل يعدو حتى أتى أباه
وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين
فرسخاً فلما أتاه بالقميص القاه على وجهه فارتد بصيراً قال الضحاك رجع إليه بصره
بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل
الأرض على ملك الموت وإن ملك الموت استأذن ربه أن يأتي يعقوب فأذن له
فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقتك هل قبضت نفس يوسف
فهيمن قبضت من النفس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب ألا أعلمك كلمات ؟
قال بلى قال قل يا ذا المروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعاها
يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيراً فقال
لهم عند ذلك (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر
إنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي) الآية

قال أكثر المفسرين أخبر ذلك إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة
طشوراه وذلك أن الدماء في الأسفار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب
إلى الوعد قام إلى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل -
وقال - اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لوالدي ما جنوا
على أخيهم يوسف فأوحى الله إليه إني قد غفرت لك ولهم أجمعين - وقال وهب -
كان يستغفر لهم كل جمعة في نيف وعشرين سنة

أخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبه أخبرنا أحمد
ابن أبي السفر بن ثوبان البصري أخبرنا إسحق بن زياد الأرمني أخبرنا الفضل
ابن حميد البغدادي أخبرنا بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن
عطاء الخرساني قال - طالب الخوائج إلى الشباب أيسر منها إلى الشيوخ - ألا
ترى قول يوسف لأخوته لا تريب عليكم اليوم - وقول يعقوب سوف استغفر
لكم ربى .

وروى أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف ؟ قال له
إنه ملك مصر فقال يعقوب ما صنع بالملك على أي دين تركته - قال على دين
الإسلام - فقال يعقوب الآن تمت النعمة .

وقال الثوري - لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام طاق كل واحد منهما
صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حق ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة
تجئنا ؟ قال بلى يا بني ولست بخشيت أن تسلب دينك في حال بيني وبينك يوم
القيامة - قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازاً ومائتي راحلة وسأله أن
يأتيه بأهله وولده أجمعين فتمياً يعقوب للخروج إلى مصر فلما دنا يعقوب من مصر
كلم يوسف الملك الأكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجنود
وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب - وكان يعقوب يمشي متوكأ على يهوذا فنظر
يعقوب إلى الجنود والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الأكبر لا هذا ابنك

فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فثمنه الله من ذلك
وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال : السلام عليك
يا مذهب الأحزان (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) ورفعهما على العرش
وأبواه يعقوب ونخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمي المم أبا في قوله تعالى (قالوا
نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) وقال الحسن وكانت تحية
الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض فلما رأى يوسف
أبويه وإخوته قد خروا له سجداً أقشعر عند ذلك جلده - (وقال يا أبت هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً) الآية .

قال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم إثنان وسبعون إنساناً ما بين رجل
وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون
رجلاً سوى الذرية والهرمي والزمني وكانت الذرية ألف ألف سوى المقالة وقال
الفقيه بن عياض بلغنا أن يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف
وعلم بكتبته فكان يطوف يوماً من الأيام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس
بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة
منها تكتب إلى كتاباً ؟ فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقي
وكثر حنيني أخذ ورقة أكتب إليك يا أبت فيمنعني جبريل أن أكتب إليك
فأتركها في هذه الخزانة حتى بلغت هذه المبالغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال
منعني ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله إليه لا لك قلت أخاف أن يأكله الذئب
فملا خفتني هذه العقوبة لأجل تخوفك من غيري

وروى صالح المروى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : إن الله تعالى لما
جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجبا ، فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ما فعلتم
بالشيخ يعقوب ويوسف ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوا عنكم فكيف لكم بربكم ؟
فاستقام أمرهم على أن يأتوا بالشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه
قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط

والانبياء أرحم البرية - فقال ما بكم يا بني ؟ فقالوا أأست تعلم ما كان منا إليك وإلى
 أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوكما
 لا يعني عنا شيئاً إذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال - فما تريدون يا بني قالوا نريد أن
 ندعو الله لنا فإذا جاءك الوحي من عند الله فسله هل عفا الله عنا فإن أجابك بأنه قد
 عفا عنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا وإلا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبداً فقام الشيخ
 واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب
 وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريباً من عشرين سنة - قال صالح المري -
 ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك بأنه قد
 أجاب دعوتك في ولدك وأنه قد عفا عما صنعوا وإنهم قد انعمت موافقتهم بعدك على
 النبوة قالوا - فأقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة
 بأحسن حال وأهنأ عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ؛ ثم حضرته الوفاة فلما حضر
 جمع بين بنيه - وقال (ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم
 وإسماعيل واسحق) ثم قال (يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم
 مسلمون) ثم أوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه
 عند أبيه اسحق وجده إبراهيم ففعل ذلك ونقله إلى بيت المقدس في تابوت من ساج
 وخرج معه يوسف في عسكره وإخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة
 عيسى ثم دفنوا في يوم واحد وكان عمرهما جميعاً مائة وسبعاً وأربعين سنة لأنهما
 ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد .

قال قتادة فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان
 موسماً عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وأنه لا بد له من فراقه
 فأراد نعيم الجنة إذ هو أفضل منه فتأقت نفسه إلى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن
 فبى قبله ولا بعده الموت فقال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل
 الأحاديث) الآية .

روى أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع إليه قومه من بنى إسرائيل وهم ثمانون رجلاً وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به - فقالوا يا نبي الله تحب أن أمرنا كيف نتصرف الأحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا ولما ما يؤل إليه أمرنا وديننا وملتنا - فقال لهم أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم إلى أن يبعث رجل جبار من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتعد أيامه مدة مديدة - ثم يخرج من بنى إسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طويل جمع الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من بنى إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى .

ثم مات يوسف عليه السلام ، وكان قد أوصى إلى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى إسرائيل فتوفاه الله طيباً طاهراً ودفن في النيل في صندوق من رخام وكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني إسرائيل فنقله إلى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الصين حيث هو اليوم فذلك تنقل اليهود موتاهم إلى الشام من فعل ذلك فيهم .

وروى يونس بن عمران عن أبي موسى قال ؛ نزل رسول الله ﷺ بإعرابي فأكرمه فقال رسول الله ﷺ اكرمتنا فأحسنيت شئ حاجتك فقال ناقة نرحلها وعزة تحلبها أهلى فقال رسول الله ﷺ أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل؟ فقال إن بنى إسرائيل لما خرجوا اضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا؟ فقال علمواؤهم إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقاً من الله أن لا يخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى إسرائيل فبعث إليها موسى فأتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت وتعطيني حكى قال وما حكى قالت أن أكون معك في الجنة فذكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله إليه إن أعطاها حكمها .

وروى من طريق أن هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم : فقال لا أخبرك حتى تعطيني أربع خصال تطلق رجلى وتعيد إلى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة فكبر ذلك على موسى فأوحى الله إليه أن أعظمها ما سألت فإنك إنما تعطى على ففعل فانطلقت بهم إلى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه

قال أهل التاريخ : عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وهكذا تلتهى قصة يوسف فى روعتها وجلالها ، والحمد لله رب العالمين .

(مجلس فى قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام)

وقال موسى الأول وقد ذكرنا فيما مضى أن يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له أفرائيم والآخر ميثا وابنة يقال لها رحمة وهى امرأة النبى أيوب عليه السلام فولد لأفرائيم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بنى إسرائيل وأما ميثا فولد له موسى فنباؤه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعمامة من العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ .

قال أهل العلم والتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الأمر إلى الأسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا فى الأرض وفشا فيهم السحر والسكاهنة فبعث الله تعالى إليهم موسى بن ميثا رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وأداء أمره وإقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فطاعه قوم منهم وعصاه آخرون .

وقال وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله إليه أن قل لقومك إني بريء من
 سحر أو سحر أو تسكهن أو تسكهن له أو تطير تطير له من آمن به صادقاً وتوكل
 على فإني كنت له كافياً ومثلها وكفيتها هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد
 وكنت عند ظنه بي ومن عدل عني ووثق بخيري فأنا أغني الشركاء عن الشرك أكله
 إلى من وثق به دوني ومن وكلته إلى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباغذ
 عني كنت عنه أشد تباغذاً ومن تقرب إلى كنت أشد تقرباً منه إلى وقل لعبادي
 لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فإنه يميئ الشبهوات
 واللذات كلها قالوا فليث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقوم أمرهم ويصلح أحوالهم
 ثم مات ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والله تعالى أعلم .

(مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد)
 قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) الآية

روى سفيان عن منصور عن أبي وائل قال إن رجلاً يقال له عبد الله بن قلابه
 خرج في طلب إبل له قد ضلت أي شردت فبينما هو في بعض صحارى عدن في تلك
 الفلوات إذا وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال
 فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن إبله فلم ير فيها أحداً لا داخلاً ولا خارجاً فزول
 عن ناقته وعقابه وسل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو بباين عظيمين لم ير
 في الدنيا أعظم منها ولا أطول وإذا خشبهما من أطيب عود وعليها نجوم من ياقوت
 أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المسكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين
 فإذا هو بمدينة لم ير الرامون مثلها قط وإذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد
 وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت
 والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة
 من عرد رطب قد انضدت عليه اليواقت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق
 المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحداً أخذ الفرع ثم أنه نظر إلى الأزقة
 فإذا في كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجري في قنوات من فضة أشبه

بمياضاً من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم إنه حمل لؤلؤة وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيئاً ولا من يواقتها لأنها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منشورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم إنه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ .

(قال) أرسل معاوية إلى كعب الأحبار فلما حضر قال يا أبا إسحق إني دعوتك لأمر رجوت أن يكون علمه عندك ، فقال له أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا إسحق هل بلغت أن في الدنيا مدينة بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وشمس قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الأزقة تجري تحت الأشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أني سأسألك قبل أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها وإمكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا إسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين إن عاداً كان له إبنان سمي أحدهما شديد والآخر شداد فملك عاد وبقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذها عنوة وقهراً حتى دان لها جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما إلا دخل في طاعتهما لا في شرق الأرض ولا غربها وأنهما لما صفا لها ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقى شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولداً بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعتة نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفراً فلما قر ذلك في نفسه أمر بصنع تلك المدينة التي هي إرم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان ثم قال لهم انطلقوا إلى أطيب بقعة في الأرض وأوسعها واعملوا فيها مدينة من

ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الأنهار تحت الأشجار فأتى أرى في الكتب صفة الجنة ولأنى أحب أن أجد مثلها في الدنيا وأتمجّل سكنائها .

فقلت له قهارته كيف لنا بالقدر على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبتى منها مدينة كما وصفت لنا ؟ فقال لهم شداد أستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا كل إلى موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالاً تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الأرض ثم انطلقوا إلى ما فى أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتىكم به أصحاب المعادن فإن معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وفيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة .

قال فخرجوا من عنده وكتب معهم إلى كل ملك في الدنيا كتاباً يأمره أن يجمع لهم ما فى بلاده من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتاباً يأخذ ما يوجد فى مملكته فيقروا على تلك الحالة عشر سنين حتى تجمعوا كل ما يحتاجونه إلى إرم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعاً كما أراد ووصف لهم قال فخرج عند ذلك الغملة والقهارمة فتفرجوا فى الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك إلا فى أرض أبين من بلاد عدن فوقها بها على صحراء عظيمة نقيية من الثلج والجبال وإذا هم بعيون مطرودة فقالوا هذه صفة الأرض التى أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدوداً محدودة ثم عمدوا إلى مواضع الأربعة التى فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الأنهار ثم وضعوا الأساس من صخور الجزع اليماني وعجنوا طين ذلك الأساس من دهن اللبان والمخاط فلما فرغوا من وضع الأساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك إليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة

مفروغاً منها فدفعوا كل ذلك إلى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا إسحاق إني لأحسبهم أقاموا في بنائها زماناً من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين إني لأجد في التوراة أنهم أقاموا في بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قل كان عمره سبع مائة سنة فقال له معاوية يا أبا إسحاق لقد أخبرنا خبراً عجيباً فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين إنما سماها الله تعالى إرم ذات العماد من أجل العماد التي تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال (التي لم يخلق مثلها في البلاد).

قال معاوية يا أبا إسحاق لقد ظهر فضلك على غيرك من العلماء واقدر أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده ما خلق الله في الأرض شيئاً إلا وقد فسره في التوراة لعبدده موسى عليه السلام تفسيراً وإن هذا القرآن أشد وعيداً وكفى بالله شهيداً ووكيلاً.

قال الشعبي أخبرنا غفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسام أنه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت يطل على البحر وأخرج منها لوح مكتوب لا يوجد أحد يقرؤه حتى جاء رجل من أهل صنعاء حميري وكان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا إليه اللوح فقرأه فإذا فيه مكتوب هذه الآيات :

اعتبر بي أيها المغرور	بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ	بماء والملك الحشيد
ذان أهل الأرض طراً	لي من خوف وعيد
وملك الشرق والغز	ب بسلطان شديد
ويفضل الملك والعدة	فيه والعديد
جاء هود وكنا	في ضلال قبل هود

فدعا لو قبلنا كان بالامر الرشيد
فهمينا وناديننا ألا هل من محيد
فأتقنا صيحة توى من الأفق البعيد
فتواقبنا كزرع وسط بيداء حصيد

قال دغفل : سألت علماء حمير عن شداد وقلت إنه أصيب وقد كان دنا من
أرم ذات العناء فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت قالوا إنه لما هلك هو
ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده يزيد بن شداد وقد
كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه إلى حضرموت فحمل مطلقاً
بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك
السير الذي من الذهب والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى (وعاد وثمود وأصحاب الرس) اختلف العلماء من أهل التفسير
وأصحاب الأقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام
بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس أن أصحاب الرس
بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى
(وبشر معطلة وقصير مشيد) .

(قال) وكان قوم لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه وكان فيهم أنبياء كثيرة
لا يقوم فيهم نبي إلا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فإذا
قطعته مدبراً دخلت في حد أرمينية وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حد أذربيجان
وكان من حولهم من أرمينية يعبدون الأوثان ومن إمامهم من أهل أذربيجان
يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذاري فإذا تمت لإحداهن ثلاثون
سنة قتلوها أو استبدلوها غيرها وكان عرض نهرهم ثلاث فراسخ وكان يرتفع في
كل يوم وليلة حتى يبلغ النصف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر

فإذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع إليهم فبعث إليهم ثلاثين نبياً في شهر واحد فقتلوه جميعاً فبعث الله تعالى إليهم نبياً وأيده بنصره وبعث معه ولياً فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث إليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوان وقرع الحب في الأرض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون إلى الماء فحفر نهرهم في البحر وانصب ما في أسفلها وأتى إلى عيونهم من فوق فسدّها وبعث الله إليه خمسمائة من الملائكة أعواناً له فحرفوا ما بقي في وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم شيئاً ولا نهراً إلا أبيضه بإذن الله تعالى وأمر ملك الموت فأنطلق إلى المواشي فأماها دفعة واحدة وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والديور والصبأ فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى السبات .

ثم خفت الرياح الأربع بذلك المتاع أجمع فرمته في ردوس الجبال وبطون الأودية وأما ما كان من حلي وتبر وآنية فإن الله تعالى أمر الأرض فابتلعته فاصبحوا لاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون إليه ولا ماء يشربونه ولا طعاماً يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله إلى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحداً وعشرين رجلاً وأربع نسوة وصبيان وكان عدد الباقي من الرجال والنساء والذرية ستمائة ألف ماتوا عطشاً وجوعاً ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخاضين لله أن يحييهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلاً لئلا يطغوا فأجابهم الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نياتهم وإخلاصهم وقالوا إنه لا يبعث الله رسولا إلا من يليهم ويقاربهم إلا أعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهراً وباطناً حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادراً وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فساخت الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم وما فيها مما نفي عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين .

وروى علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أن رجلاً من أشراف بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس وفي أي عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله إليهم رسولاً أم لا؟ وبماذا أهلكتهم؟ فإني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم؟ فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألتني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى كان من قصتهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شات ذرخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان وكانت نبعث لنوح عليه السلام بعد الطوفان وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك قبل سليمان ابن داود عليهما السلام وكانت لهم اثنتا عشر قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكاناً وعمراً منها وكان أعظم منازلهم اسفنديار وهي التي كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوح بن سارب ابن النروذ بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبر التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبر فنبئت تلك الحبة وتصبح شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والأنهار فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كل شهر من السنة عيداً يجتمع إليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبكونها قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فإذا سطع دخان تلك الذبائح ونارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا ساجداً للشجرة يمكنون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يحى فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي .

عبادى قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً وقرأوا عيتاً فيرفعون عند ذلك رؤوسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم ولياليتهم ثم ينصرفون حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليه صغارهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقاً من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر باباً كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون إليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجىء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً يعدم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعاً فيرفعون رؤوسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ما لا يفقهون ولا يتكلمون معه فيديون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنا عشر يوماً وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم إنهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله إليهم نبياً من بنى اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فابست فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الفى والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يا رب إن عبادك أبوا تصديقى ودعوتى إليهم وما أرادوا إلا تكذيبى والكفر بك .

فبينما هم في عيدهم إذ غشيتهم ريح عاصف حراء فتعيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم إلى بعض ثم إن الأرض صارت من تحتهم كهجر كبيرت تتوقد وأظلمت سحابة سوداء فالقت عليهم حجراً كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته إنه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والله أعلم .

(مجلس في قصة نبي الله أيوب عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) الآية وقال تعالى (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) .

قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلاً من الروم وكانت رجلاً طويلاً عظيم الرأس جمع الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوب على جبهته المبتلى والصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ ابن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام كلها مهالها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان واحد كل أتان ولد من الإثنين إلى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء وكان أمراً تقياً راحياً بالمساكين يكفل الأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لأنعم الله تعالى مؤدياً لله قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الفرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولاً .

قال وهب إن جبريل عليه السلام بين يدي الله مقاماً ليس لأحد من الملائكة مثله في القرية والفضيلة وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام فإذا ذكر الله تعالى عبداً بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والخائفين من حول العرش فإذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد

ومن هناك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد إلى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان بعد من ثلاث فلما بعث الله محمداً ﷺ حجب عن الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات إلى يوم القيامة .

(إلا من استترى السمع فأتيه شهاب مبين) قال فسمع إبليس نواوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد وصعد سريراً حتى صعد في السماء موقفاً كان يقفه فقال يا إلهي نظرت في أسر عبدك أيوب فوجدته عبداً أتممت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تخبره لا شمة ولا بلاء وأما لك زعيم أثني ضربته ببلاء ليكفرن بك وليذهب بك فقال الله تعالى اطلق إليه فقد ساطنك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الأرض ثم جمع عذاريات الشياطين وعظماهم ، فقال ماذا كان عندكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تحبر عليها الرجا فقال عذريات من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولات إعماراً من نار فأحرقت كل شيء فقال إبليس فأت الإبل فأحرقها ورعاتها فانطلق يوم الإبل وذلك حين وضعت رموسها وثبتت في مراعيها فما يشعر الناس حتى نار من تحت الأرض إعمار من نار تمنع فيه رياح السموم لا يدنوا منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها في حنة راعيها ثم انطلق يوم أيوب حتى وجدته قائماً يصلي فقال له يا أيوب قال لي بك فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإهلك ورعاتها فقال أيوب إنها ماله إعار فيها وهو أولى بها إن شاء تركها وإن شاء أخذها وقد تحققت وطبقت النفس أن وما لي للفناء والزوال فقال له إبليس فإن ربك أرسل إليها ناراً من السماء فأحرقها كلها وصار الناس مبهورين وقوفاً عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور ومنهم من كان يقول لو كان إله أيوب بقدر هل أن يصنع شيئاً لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو إلهي فعل ما فضل

فقسمت به عدوه وجمع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء
نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى القبر وعريانا أحشر إلى
ربي ليس ينبغي لك أن تفرج حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى
بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح
وصيرك شهيداً مع الشهداء وليكنه علم فيك شراً فأخرجك وخلصك من البلاء
يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع إبليس إلى أصحابه خائباً ذليلاً .

قال : وأيوب كلما انتهى إليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه
ورضى بالانقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقي له مال فلما رأى إبليس
أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيئاً ولا نجح في شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد
سريعا ووقف الموقف الذي كان يقفه وقال إلهي إن أيوب يرى أنك مهما متعته من
نفسه وولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسيطر على ولده فإنها الفتنة المضلة والمصيبة
التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد
سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم في قصرهم فلم يزل
يزلله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل ينأطح بجداره بعضها بعضاً فرماهم
بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقابه فصاروا منكسين
ثم إن إبليس انطلق إلى أيوب متمشياً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكة وهو جريح
مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبروه بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤوسهم تسيل دماؤهم
وأدغمتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم
لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة
من التراب فوضعا على رأسه فاغتم إبليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذي
كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبس أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد
قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا إبليس وسبقوه إلى الله والله أعلم بما
كان فوق إبليس خائفاً ذليلاً فقال إلهي إنما هون على أيوب خطر المال والولد
أنه يرى أنك مهما متعته بنفسه وأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسيطر على

نفسه وبدنه فأنى لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجهدن
تعمتك ، فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان
على لسانه وقلبه ولا على عقله ، وكان والله أعلم به أنه لم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم
له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به
في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله نسيماً فوجد أيوب ساجداً فقبل أن
يرفع رأسه أتاه من قبل الأرض في موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة أشعل منها
جسده فذهل وخرج به من قومه إلى ثأ ليل مثل أليات الفم ، ووقعت فيه حكة
لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ، ثم حكها بالمسوح
الخشن حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع
وتغير وأنتن ، فأخرجوه أهل القرية ليجعلوه على كمناسة وجعلوا له عريشاً فرفضه
خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بذت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام ،
وكانت تختلف إليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به
اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا إليه وهو في
بلائه ، فبكتوه ولأموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به .

قال وكان حضر معهم في حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال إنكم
تلكمتم أيها الكهول وكنتمم احق بالكلام لاسنانكم وليكنكم قد تركتم من القول
أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأسر أجهل من الذي
أتيتم وقد كان لا يرب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم ، فهل تدرون
أيها الكهول حق من أنقصتم وحرمة ما أنهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم
تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الأرض في يومكم هذا
ثم إنكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على أنه سخط شيئاً من أمره منذ أتاه ما أتاه
إلى يومكم هذا ولا علمتم أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن
أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي
أنزرى به عنديكم ووضعته في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين ثم إن بلاءهم ليس دليلاً على سخطه عليهم ولا هو انهم عليه
ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة إلا أنكم
أنتم موه على وجه اصحبه لكان لا يحمل بالحكيم أن يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيره
بالمصيبة ولا يعلم وهو مكروب حزين ولكن يرحمه ويبيكي معه ويستغفر الله له
ويحزن لحزنه ويدله على أرشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله
أيها الكهول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم
ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عبادة أسكنتمهم خشيتهم من غير عني ولا بكم وإنهم
لهم الفصحاء النبلاء الأولياء العالمون بالله وآياته ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله
أفقطعت ألسنتهم وأقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً
لله تعالى وإعزازاً وإجلالاً فإذا استفاقوا استبقوا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية
الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الصالحين وإنهم برآء ويعدون أنفسهم مع
المفرطين المقصرين وإنهم لا كياس أقوياء وإنهم لا يستكثرون الله الكثير ولا يرضون
له بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال ، فهم مروعون مفرعون خاشعون مستكينون
فقال أيوب إن الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير فتى
نمت في القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن
والشيب ولا طول التجربة فإذا جعل الله العبد حكماً في الضعفاء لم تسقط منزلته عند
الحكام وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم إن أيوب أقبل على الثلاثة
وقال : أتيتوني غضاباً رهبت قبل أن تسترهبوا وبكيت قبل أن تسترهبوا وبكيت
قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله يخلصني
وقربوا عني قرباناً لعل الله يتقبلها ويرضى عني وإنكم قد أعجبتم أنفسكم وظننتم أنكم
قد عوفيتهم بإحسانكم فبينناكم بغيتهم وتعزيتهم ولو نظرتهم فيما بينكم وبين ربكم ثم
صدفتهم لو جدتم لكم عيوباً سترها الله عليكم بالعافية التي أليستكم إياها وقد كنت
فيما خلا الرجال أرفرتي وأنا معروف كلامي معروف حتى منتصف من خصمي ؛
فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبتى
ثم أنه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً متضرعاً إليه فقال : رب لا ي شرم

خلقتني ليتني إذ كرهتني ما خلقتني يا ليتني كنت حبيضة ألقني أمي أو ليتني قد
عرفت الذنب الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتي والحقتني
بأبائي فالموت كان أجمل لي يا إلهي ألم أكن للفريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم
ولياً وللارملة قيماً إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمنة لك وإن أسأت فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلاء عرضاً وللفتنة نصيباً لقد وقع على بلاء لو سلطته على جمل
الضئف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ، إلهي تقطعت أصابعي فإني لا أرفع الأكلة
من الطعام إلا بيدي جميعاً فما يبلغان في إلا على الجهد مني ، إلهي تساقطت لهواتي
ولحم رأسي فما بين أذني من سداد بل إحداهما ترى من الأخرى ، وإن دماغي
ليسيل مني ، إلهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي وحدثتني متدليتان على
خدي وورم لساني حتى ملا فمي فما أدخل فيه طعاماً إلا غصني وورمت شفاتي
حق غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت أعمالي في بطني وإني لأدخل الطعام
فيخرج كما دخل ما أحسسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فيكأنهما قد دبستا
ولا أطيق حملها وذهب المال فصرت أسأل بكفي ويطعمني من كنت أعواه اللقمة
الواحدة فيمن بها علي ويعيرني ، إلهي هلك أولادي ولوبقي واحد منهم أعانني على
بلائي ونفسي ، وقد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ؛ ورغب عني
صديقي وقطعتني أصحابي وحدثت حقوقي ، ونسيت صنائي ، أصرخ فلا
يصرخونني ، وأعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم
ترحمني ، وإن قضاءك هو الذي أذنتي وأدناني وأهانني وأقامني وإن سلطانك
هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري فأطلق
لساني لأتكم بملء فمي ولو كان ينبغي للعبد أن يحتاج عن نفسه لرجوت أن
يعاقبني عند ذلك بما بي وليكنه القاني وتخلي عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني
ولا أسمعه ، ولا نظر إلي فرحمي ولا دنائي ولا أدناني فأتكم ببراءتي وأخاصم
من نفسي ؛ فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلمته غمامة حتى ظن أصحابه أنه
عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل
منك قريباً فآدل بهذك وتكلم ببراءتك .

وقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي إذا أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للمصابين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء ؛ وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك ؛ فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل ؛ فأذهب الله ما كان فيه البلاء ؛ ثم إنه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالواهلة فرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ما أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته .

وقال كعب - كان أيوب في بلائه سبع سنين ؛ وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين ولم يزد يوماً واحداً ؛ فلما غلب أيوب إبليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال ؛ فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى ؟ قالت نعم قال فهل تعرفيني ؟ قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركني وأغضبني ولو سجد سجدة واحدة رددت عليك ما كان لكما من مال وولد فإنهم عندي ثم أراها ليأبهم في بطن الوادي الذي لقيها فيه .

قال وهب - وقد سمعت أنه قال لها - لو أن صاحبك أكل طعام لم يسم عليه لعوفي مما فيه من البلاء والله أعلم ؛ وأراد عدو الله يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة ؛ وإن شئت اسجد لي سجدة واحدة حتى أرد عليك الأولاد والمال وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتك عن دينك ثم أن أيوب أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلده فقال عند ذلك مسنى الضر من طمع إبليس في سجود

حرمي ، ودعائه إياها وإيائي إلى الكفر قالوا ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة
أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبري يمين أيوب فأمره أن
يأخذ جماعة من الشجرة مبلغ مائة قضيب خفافاً لطافاً فيضربها ضربة واحدة كما
قال تعالى (وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحث) الآية .

وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته ؛ فلما طال عليها
البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمس يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت
شيئاً فجرت قرناً من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك ؟ فأخبرته
فقال عند ذلك مسنى الضر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه
فتخشى أن يمينا عن الذكر والفكر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين وقعت الدود من
فخذها فأخذها وردّها إلى موضعها وقال لها كلى فقد جعلني الله طعامك فعضته
عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان .

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد
لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في
أيوب خيراً ما ابتلاه بما ترى .

قال فما وجع أيوب شيئاً كان أشد عليه من تلك السكلة وما جزع من شيء
أصابه جزع من تلك السكلة فعند ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم إن كنت تعلم
إنى لم أبت ليلة شعبان قط وأنا أعلم بما كان جائداً فصدقنى فصدقه وهما يسمعان
ثم قال اللهم إن كنت تعلم إنى لم أتخذ قيصاً قط وأنا أعلم بما كان عرياناً فصدقنى
فصدقته وهما يسمعان فخر ساجداً لله وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الأعداء
يدل عليه ما روى أنه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك في بلامك ؟ فقال
شماتة الأعداء وأشد بعضهم في معناه :

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد
إن المصائب تنقضى أيامها وشماتة الأعداء بالمرصاد

وقال الجنيد في هذه الآية عرفه فاقه السؤال لمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله) الآية .

واختلف العلماء في كيفية ذلك ؛ فقال قوم لما ابتلى الله أيوب في الدنيا مثل له أهله فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة .

وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين ؛ وقال آخرون بل ردهم الله تعالى إليه بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياءهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية .

وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثاً وتسعون سنة وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حوئل وأنه بعث بعده بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيد الله وأنه كان مقيماً بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمساً وتسعين سنة وأن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان وأن الله تعالى بعث بعده شعبياً عليه السلام والله أعلم .

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب منها زيادة في المجلس المذكور .

وروى الأعمش عن المنهال بن عمر عن عبد الله بن الحارث أن نبياً من الأنبياء قال من يكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقال أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد مثله قوله الأول فقال أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد قوله ثالثاً فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب فقال نعم فأتى ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاء الشيطان في صورة إنسان لينهضه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب

ضرباً شديداً فقال من هذا ؟ فقال رجل له حاجة فأرسل إليه رجلاً فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج إليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل ؛ وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا إلى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره الموت ؛ ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله ؛ فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا ييمتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتوني عظيماً وكلفتموني شططاً ثم إنه قام وصلى ودعا وقال إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أني لا أملك إلا نفسي وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجزيرة غيري فأنا أعوذ برضائك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى إليه ؛ يا بشر إني سمعت مقالة قومك وإني قد أعطيتهم ما سألوني طولت أعمارهم فلا يموتون إلا إذا شاءوا فكن كفيلاً لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله إليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل .

ثم لأنهم توالدوا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنقصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشر أن يدعو الله أن يردهم إلى آجالهم فأوحى الله تعالى إلى بشر أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم ثم لأنهم ردوا إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال إن الدنيا دارهم خمسة أسداسها للروم وسموا روماً لأنهم نسبوا إلى جدتهم روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره خمسين وتسعين سنة والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيباً) الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفوان بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم وقال محمد بن إسحاق هو شعيب بن ميكائيل بن مدين بن إبراهيم اسمه بالسريانية بترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فلذلك قوله تعالى إخباراً عن قومه (وإنا لنراك فينا ضعيفاً) أى ضريراً وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وأن الله تعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف .

وقال قتادة بعثه الله تعالى إلى أمتين - أهل مدين وأصحاب الايكة .

قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجاً منه فقال لهم شعيب (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكاييل والميزان) الآية ونظيرها في الاعراف (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيباً ليؤمن به أنه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتواعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم .

قال السدي وأبو روق كانوا عشارين ، وقال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق ، وقال النبي ﷺ (رأيت ليلة أنسرى في خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد إلا شقته ولا شيء إلا خرقة . فقلت ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذه أقوام من أمتك يقطعون على الطريق فيقطعونه ثم تلا (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) الآية ، وكان من قول شعيب وجواب قومه إياه ما ذكر الله تعالى من سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء .

قال المفسرون ، وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لأجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى (وقالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) وقوله تعالى

(إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوه
وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) سورة الشعراء .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثرت فسادهم
وقل صلاحهم دعا عليهم فقال (ربنا افنح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين) فأجاب الله تعالى دعاهم فيهم فأهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن السكلى
ويقال بالصيحة وبعباب الظلة .

قال ابن عباس وغيره وهى أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم
فأرسل عليهم برداً وحرّاً شديداً فأخذ بأنفسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم
ينفعهم ظل ولا ماء فأضجهم الحرف فخرجوا هرباً إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة
فأظلمتهم ووجدوا لها برداً وجاءت ريح طيبة فنأدى بعضهم بعضاً فلما اجتمعوا
تحت السحابة ألهمها الله عليهم ناراً وزجفت الأرض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد
فى المقل فصاروا رماداً وذلك قوله تعالى (فأصبحوا فى دارهم جاثمين)

وقال تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة لأنه كان عذاب يوم عظيم) .

قال ابن عباس بلغنى أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى

الظلة فيها العذاب أقشعر جلده وقال

يا قوم إن شعيباً مرسل فذروا عنكم شميراً وعمران بن شداد

لأنى أرى غيمة يا قوم قد طلعت تدعو بصوت على حنانة الوادى

فإنه لن يرى فيها ضجاء غد إلا الرقيم يمشى بين أنجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد

وحطى وهوز وكلن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى

من شعيب كلن فقالت أخت كلن تبكيه حين هلك

كلن هدد ركنى هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه الله تحف ناراً وسط ظله

جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحلة

قال الله تعالى (الذين كذبوا شعيباً كان لم يفتوا فيها الذين كذبوا شعيباً كما ذوا

هم الخاسرين) أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

(بحاس في ذكر ضفي الله ونجبه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على عدة أبواب)

(الباب الأول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً) وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام .

قال أهل العلم باخبار الأولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم إن لاوي نكح نابتة بنت ماوي بن يشجب فولدت له غرسون ومرزي ومرذي وقاهت ثم أن قاهت بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح قاهي بنت ميين بن تنويل بن إلياس فولدت له يصر بن قاهت فنكح يصر بن قاهت سميت بنت يتاهم بن برشيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصر مائة وسبعة وأربعين سنة فنكح عمران بن يصر نجيب بنت شمويل بن برشيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم أمهما فقال ابن إسحاق نجيب وقيل ناحية وقيل يوحنايل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعاً وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم .

(الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)

قال أهل التاريخ لم يمت الريان بن الوليد فرعون مصر الأول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولي يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى وكان جباراً وقبض الله على يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن أراشة بن شروان بن عمرو ابن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أغنى من قابوس وأكبر وأجبر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد أنتشروا وكثروا وهم تحت العمالة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيه من الإسلام متمسكون به حتى كان فرعون

وموسى الذى بعثه الله إليه وقد ذكر اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعق منه
على الله ولا أعظم قولاً ولا أقسى قلباً ولا أطول عمراً في ملكه ولا أسوأ ملكاً
لبنى إسرائيل وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدماً وخولاً وصنفهم في أعماله
فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن أهلاً
للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وقد استنكح
فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء
المعدودات ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون
يوسف الأول فاسلمت على يد موسى .

قال مقاتل ، لم يسلم من أهل مصر إلا ثلاثة ، آسية وحزقييل ومريم بنت
ناموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليهم السلام قالوا فعمر فرعون فيهم
وهم تحت يده عمراً طويلاً يقال إنه أربعمائة سنة يسوموهم سوء العذاب فلما أراد
الله أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدى
عن رجاله أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى
اشتعلت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط وترك بنى إسرائيل فدعا
فرعون السحرة والمهرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد في
بنى إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك
ويبدل دينك وقد أظلم زمانه الذى يولد فيأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في
بنى إسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على
أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتلته ولا جارية إلا تركتها وكل بهن وكلاء
فمكن يفعلن ذلك .

قال مجاهد . لقد بلغنى أنه كان يأمر بالقصب فيشق ثم يجعل أمثال الشفار ثم
يصف بعضه إلى بعض ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهن عليه فتجرح
أقدامهن حتى إن المرأة منهن لتضع ولدتها فيقع بين رجليها فتظل تطؤه وتتقى به
حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها .

وكان يقتل الظلماء الذين في وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الجبالى حتى يضمّن ما في بطونهم وأسرع الموت في مشيخة بنى إسرائيل فدخل رموس القبط على فرعون وقالوا له إن الموت قد وقع في مشايخ بنى إسرائيل وأنت صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الأولاد أمانة وتركهم سنة فولدت هرون في السنة التي لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون وأمه علانية آمنة .

فلما كان العام الذي أمر فيه بقتل الأولاد حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنّت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى إليها (أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم) إلى قوله (المرسلين) فلما وضعت في خفية أرضعته ، ثم لأنها اتخذت له تابوتاً وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه .

قال مقاتل وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل أنه كان من بردى فأنخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطناً مخلوجاً ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقتّه في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أياها الشيطان فوسوس إليها فقالت في نفسها لماذا صنعت يا بنى لو ذبح عندي لو رأيته وكفلته كان أحب إلى من أن ألقيه بيدي في البحر وأدخله إلى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون إلى روضة هي مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظن أن فيه مالا فجعلنه على حاله حتى أدخلنه إلى آسية فلما افتحته رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حباً شديداً فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشغارهم لينذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين الصرفوا فإن هذا لا يزيد في بنى إسرائيل فانا آتى فرعون وأستوهبه إياه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وإن أمركم بذبحه فلا ألوكم ثم إنها أتت به فرعون وقالت (قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا) فقال فرعون قرّة عين لك

ما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله ﷺ والذي يخاف به لو أقر فرعون ان يكون له قرعة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امراته وليكن الله تعالى حرمه ذلك ، قال فاراد ان يذبحه وقال لاني اخاف ان يكون هذا من بنى اسرائيل ان يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى رهبه لها فلما آمنت آسية ارادت ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط هو الماء وشى للشجر فعرّب فقيل موسى .

اخبرنا ابن فتحويه اخبرنا مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا اسماعيل بن عيسى اخبرنا ابن بشير اخبرني جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاشتضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا ابناءهم .

وفي بعض الروايات ، لانه كان يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب صغير فضرب به على راس فرعون فغضب غضباً شديداً وتطير منه وقال هذا عدوى المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبالغ ذلك امرأة فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل مرسى فقالت له لئما هو صبي لا يعقل ولئما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك امر تعرف به الحق واضع له حلياً من الذهب والياقوت واضع له جمرأ فان اخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طستاً فيه الذهب والياقوت وطستاً فيه الجرة فعد موسى يده على ان ياخذ الجواهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجر فقبض على جمره ووضعها في فيه فجاء على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبي لا يعقل فكيف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزاً مكرماً في بيت فرعون وحببه الله اليه وإلى اس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه .

ويروى انه سئل إبليس هل أحببت أحداً من العالمين قال لا إلا موسى بن عمران عليه السلام فقبل له وكيف ذلك قال لأن الله تعالى قال (وألقيت عليك محبة مني) فلم أتمالك ان أحببته .

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران عليهما السلام)

قال كعب الأحبار - كان هرون بن عمران نبي الله رجلاً فصيح اللسان بين الكلام إذا تكلم تكلم بتؤدد وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضاً شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلاً آدم اللون سمداً طويلاً كأنه من رجال أزد شنومة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء .

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ووروده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني إسرائيل كثير من الظلم والسخرية التي كانت فيهم ولا يعلم الناس أن ذلك إلا من قبل الرضاة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركباً وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل إن فرعون قد ركب مركب موسى في أثره وأدركه المقييل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال تعالى فيها (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) فبينما هو يمشي في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خبازاً لفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطباً للمطبخ فسخر السامري ليهجمه

فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي
دعه فقال الخباز لموسى إنما آخذه في عمل أبيك وأبي أن يخل سبيله فغضب موسى
فبسط به ونخلص السامري من يده فبازعه القبطي (فوكزه موسى ففقد عليه)
قال موسى (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إنني
ظلمت نفسي فاغفر لي فقفر له إنه هو الغفور الرحيم)

وقال وهب : أوحى الله إلى موسى بن عمران وعزتي وجلالي : لو كانت
النفس التي قتلت أقرت لي طرفة عين أني إله خالق رازق لاذنك طعم العذاب
ولما عفوت عنك لأنها لم تقر لي ساعة واحدة إني إله خالق رازق قالوا ولما قتل
موسى القبطي لم يرهما إلا الله تعالى والإسرائيلي فلما قتله أصبح في المدينة خائفاً
يتربص الأخبار فأتوا فرعون وقالوا له إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل
فرعون نخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون اتوني بقاتله ومن
شهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم
فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك
لإسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه الإسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى
وهو نادم على ما كان منه بالأمس فسكره الذي رآه فغضب موسى فمد يده وهو
يريد أن يبسط بالفرعوني وقال للإسرائيلي (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلي من
موسى وظن أنه يبسط بالفرعوني وقال للإسرائيلي (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلي
من موسى وظن أنه يبسط به من أجل أنه أغاظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما
أقبل لنصره ومد يده ظن أنه يريد قتله فقال له (يا موسى أتريد تقتلني كما قتلت
نفساً بالأمس) الآية إنما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراد
إنما أراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي
وذكر أن موسى هو الذي قتل الرجل بالأمس وهو المثل السائر ، العدو
العاقل أحري عليك من الصديق الاحق ويذهب في معناه :

إن اللبيب إذا تزايد بغضه أحري عليك من الصديق الاحق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فإنه غلام لا يهتدى إلى الطريق فطلب موسى في ثديات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الأعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقييل وكان بقية من دين إبراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقييل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم ، قال فجاء حزقييل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقاً قريباً حتى سبق الذباحين إليه فأخبره الخبر لذلك قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاء ملك على فرس بيذه عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق إلى مدين .

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من السكوفة إلى البصرة فلم يكن له طعام إلا ورق الشجر فما وصل إليها إلا وقد وقع خف قدمه وإن خضرة البقول ترى من بطنه .

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته إياه)

قال العلماء : لما انتهى موسى إلى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة وإذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسهقون ووجد من دونها امرأتين تذودان) أي تحبسان أغنامهما فقال لهما (ما خطبكما قالتا لأنسقى حتى يهضر الرعاء) لأننا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فإذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من حياتهم (وأبونا شيخ كبير) تعنيان شعيباً .

وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره ثيرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبي عليه السلام واسم إحدى

الجاريين ليا ويقال سنونا والاخرى صفورا وهي امرأة موسى عليه السلام فلما
قالا ذلك لموسى رجعوا وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من
الرجال يجتمعون ليا حتى يرفعوها عن رأسها .

وحكى الاستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير
التي تسقى منها الرعاة وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها
وأخذ دلو لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواهما فرجعنا إلى
أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى إلى الظل ظل الشجرة (وقال رب إني لما
أنزلت إلى من خير فقير) قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء إنسان
أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى إلا أكلة
وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق ثمرة قالوا فلما رجعنا إلى
أبيهما قال لهما ما أعجزكما وأسرع رواحكما الليلة قالنا وجدنا رجلا صالحا فرجعنا
فسقى لنا أغنامنا فقال لإحدهما اذهبي فادعيه إلى (فجماعته إحداهما) وهي التي
تزوجها موسى وهي (تنشى على استحياء قالت إن أبي يدعوك أي جزيك أجر
ماسقيت لنا) فقام موسى فقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبّت ريح فألصقت ثوب
المرأة بردفها فذكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خافي ودائفي على
الطريق فإذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أنهج نهجا فإذا بنى يعقوب لا تنظر
إلى أعجاز النساء فنعمت له الطريق إلى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب
فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأنخبره الخبر فقال له (لا تخف نجوت من
القوم الظالمين فقالت إحداهما) وهي التي كانت الرسول إلى موسى (يا أبت
استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) .

قال النبي ﷺ أصدق النساء فراسة امرأتان كاتاهما نفرستا في موسى فأصابتا
إحداهما امرأة فرعون حين قالت قرّة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب
حيث قالت (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) وإنما قالت القوي
الأمين لأنه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه إلا أربعون رجلا ، فقال لها أبوها

كيف أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها إياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له (إني أريد أن أنسحبك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمان حجج) إلى قوله (من الصالحين) أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى (ذلك بيني وبينك أيما الابلين قضيت) الآية .

روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل : أي الابلين قضى موسى قال : أكلهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما .

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرهما)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيهم فقالوا ثم أن شعيباً أمر لإبنته أن تأتية بهما فبعصا فبعطيرها لموسى فيستعين بها في رعايته فجاءته بهما وكانت تلك العصا وديعة عنده ودفعها إليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتية بهما فبعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتية بها بهينها لأنها كانت كلما ردتها إلى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاهما لموسى فلما أعطاه إياه ندم على ذلك لأنها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فأبى أن يردّها عليه فتنازعا إلى أن شرطاً على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاها ملك يمشي فتعها كما إليه فقال ضعها على الأرض فمن حملها فهي له ووضعها موسى على الأرض فمالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى وقال لبث موسى عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الإلصراف فأذن له وقال له : ادخل هذا البيت وخذ عصي من العصي تكون معك ادراً بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الأنبياء عند شعيب فلما دخل موسى تدلت ووثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعيباً كان أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب أن صاحبها هو موسى فردّها موسى إلى البيت فالتقاها وذهب إليها أخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مراراً فقال له شعيب ألم أقل

ذلك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلمها ففعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي ففهم شعيب أن ذلك أمر يزيد الله تعالى فقال له خذها .

قالوا ، وزوجه لابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنته شعيب قالوا لما خرج موسى من مدين ووافي مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فإذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومخجن في أسفل الشعبتين وسمان حديد في أسفلها وكان موسى إذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر اقضى شعبتاها كالشعبتين من نار تضئتان له مد البصر وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها وإذا احتاج الطعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان إذا اشتهى فأكبه من الفواكه أغرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى لموسى فأكبتها وأثمرت له ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان إذا جاع ركزها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان إذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تزيينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرح له الطريق وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من إحدى شعبتيها العسل ومن الأخرى اللبن وكان إذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان إذا طاب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تمسك به العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكانت يمش بها على غنمه ويدفع بها الشباع عنها والحشرات والحيات

وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه .

قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يراها اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق نخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان السكلا بها أكثر فإن هناك تقيماً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام حتى إذا بلغ مفرق الطرق أخذت الأغنام ذات الدين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريد ثم نام موسى والأغنام ترعى وإذا التين قد جاء فقامت العصا فخاربتة فقتلته وأنت فاستأقت إلى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتين مقتولا فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأناً فبده مآرب موسى إذا كانت في يده . وأما إذا ألقاها فيرى أنها كانت تقلب حبة كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتها فما وفيه إثناعشر ناباً وضرساً ولها صريف وضرير يخرج منها لهيب النار ويصير محجتها عرقاً لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلعب البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئاً إلا أحرقتة .

تمر بالصخرة مثل الناقة السكوما فتبتلعها حتى أن الصنخور في جوفها لتقعقع وتمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلبظ وتبرم كأنها تتطلب شيئاً تأكله وكانت تسكون في عظم الثعبان وفي خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع (فإذا هي ثعبان مبين) وفي موضع آخر : (كأنها جان) وفي موضع آخر . (فإذا هي حية تسعى) .

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين)
وتكليم الله لإياه في الطريق وإرساله إلى فرعون واستغاثته بأخيه هرون
وكيفية ذهابهما إلى فرعون لتبليغه الرسالة

قال الله عز وجل (فلما قضى موسى الأجل) الآية قالت العلماء بسير الأنبياء
لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب
لاني وهبت لك كل بلاء وأبلى من نتاج أغنامي التي تضعها في هذه السنة يعني السنة
العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة إبنته صفورا امرأة موسى ، قال فأوحى الله
إلى موسى ان اضرب بعصاك الماء في مستقى الأغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى
الأغنام من ذلك الماء ما أخطأت واحدة من تلك الأغنام إلا وضعت حملها مرتين
ما بين أبلى وبلقاء ، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وأهله قوفي
موسى بشرطه وسلم إليه الأغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الأجلين وأوفاهما
(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) منفصلا عن أرض مدين وكان في أيام الشتاء
ومعه امرأته وأغنامه وهي في شهرها لا تدرى أتضع ليلا أو نهاراً فانطلق في برية
الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر هذه
يومئذ طلب أخيه هرون وإخراجه من مصر إن استطاع إليه سبيلا فسار موسى
في البرية غير عارف بطريقها فألجأه المسير إلى جانب الطور الايمن الغربي في عشية
شائية شديدة البرد وأظلم الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته
الطلق فعمد موسى إلى زنده فقدمه فلم ينور فتحير وقام وقعد إذ لم يكن له عمد بمثل
ذلك في الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيراً وضجراً ثم أخذ يتسمع طويلاً
هل يسمع حساً أو جرقة فبينما هو كذلك إذا آنس من جانب الطور نوراً فحسبه
ناراً (فقال لأهله امكثوا لاني آنست ناراً لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار
هدى) يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيماً
ممتداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك واختلموا في تلك الشجرة ما كانت فقيل
لهم وسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائعه حيث رأى ناراً عظيمة ليس

لها دخان وهي تلتهم وتشتعل في جوف شجرة خضراء لا تزدد النار إلا عظماً ولا تزدد الشجرة إلا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها ودنت منه فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة (أن يا موسى) فنظر فلم يرى أحداً فنودي (إني أنا الله رب العالمين) فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن وأقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت يديه وصار حياءً كيث إلا أن روح الحياة تردد فيه من غير حراك وأرسل إليه ملكاً يشده ظهره ويقوى قلبه فلما تاب إليه عقله تودى (فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الأصمبها نى قال حدثنا يحيى السدي قال حدثنا أحمد بن بجدة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ في قوله فاخلع نعليك قاله (كانتا من جلد حمار ميت) وفي بعض الأخبار غير مدبوغ.

وقال مجاهد وعكرمة إنما قال (فاخلع نعليك) كي تمس راحة قدميه الأرض الطيبة فتناوله بركتها لأنها قدست مرتين، وقال سعيد بن جبير إنما قال له ذلك لأن الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقبل له طأ الأرض حافياً كما تدخل السمكة لتحصل على بركة الوادي، وقال أهل الإشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله في المنام فقبل له مرغ قلبك من شغل أهلك، ثم قال تعالى سكيناً لقلبه وإذها بالدهشته (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا) الآية فقال الله تعالى (ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى) قد صارت شعبناها فها ومحبناها عرفاً لها في ظهرها وهي تهتز لها أنياب وهي كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمراً فظيماً فولى موسى مدبراً ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) (سنعيدها سيرتها الأولى) أي نردها عصا كما كانت ويقال إن الحكمة في أمر الله تعالى إياه بالقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفرغ منها موسى إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها إذ كانت عصا ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هي عصا فنبه على ذلك. وكان على موسى جبة من صوف

فلما كف على يده وهو لها هائب فنودي أن أحسري يدك فحسركه على يده ثم أدخل يده تحت لحبيها فلما أدخل يده قبض فإذا هي عصاة في يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له (أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) قالوا ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقاً فلما نزل موسى عنه عاد إلى حالته الأولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولاً بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكاً فمد يده ولم تزل قدمه عن موضعهما حتى جاء به الملك ملفوفاً في خرقة وناولاه إلى موسى فأخذ حجرين فحك أحدهما بالآخر حتى حذده كالسكين من الحديد فخن به ابنه ثم إن الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته بإذن الله تعالى ثم أن الملك رده إلى موضعه الذي جاء منه ولم يزل أهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتماهم وردهم إلى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فاق البحر وجاوزه بنى إسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب إلى مصر لموسى ، قالوا وخرج موسى من فوره لما بعثه الله إلى مصر لا علم له بالطريق ، وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حوالة ولا صاحب له ولا شيء من الأشياء غير العصا ومدرعة من صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائماً ويبيت قائماً ويستعين بالصيد ويقول الأرض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى إليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى إلى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذي الحجة متذكراً إلى شاطئ النيل ليلتقى بموسى تلك الساعة ، قال فخرج هارون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس ، ثم إن موسى وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الإثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فسكناهما واحد من الحراس وقال لهما أتدريان لمن هذا الباب ؟ فقال موسى إن هذا الباب

(م ١٣ - قصص الأنبياء)

والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاماً ولم
سمع مثله قط ولم يظن أحد من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع
إلى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولاً وعائدت عجباً من رجلين هما عندى
أعظم وأشنع وأفظح مما أصابنا فى الأسد وما كانا يقدران أن يقدمنا على ما قدما
عليه به ر عظيم وأخبرهم بالقصة ، فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى
إلى فرعون .

قال السدى بإسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاهم ليلاً فتضيف أمه
وهى لا تعرفه فأتاهم فى ليلة كانوا يأكلون الطفيل فنزل فى جانب الدار فجاءه هرون
(فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيفه فدعاه فأكل معه) فلما قدما وتحدثا
سأله هرون من أنت ؟ فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه
فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معى إلى فرعون فإن الله تعالى قد ارسلنا
إليه فقال هرون سمعاً وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله
أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا إليه ليلاً
فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب فمزع فرعون وفزع البواب
فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فأشرف عليهما البواب
وكلهما فقال له موسى إنا أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأنى فرعون
وأخبره بما سمع وقال له ، إن هنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين .

قال ابن إسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون
هو وأخوه هرون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان - إنا رسول رب العالمين ،
فمكثا نحو سنتين يغدوان إلى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترىء
أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطل يلعب معه ويضحك فقال أيها الملك ، إن
على بابك رجلين يقولان قولاً عجيباً يزعمان أن لهما إلهاً غيرك . فقال فرعون
دخلوهما فأدخل موسى ومعه هرون عليهما السلام .

(الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)
قال الله تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) وقال تعالى :
(فقولا قولا ليناً له لعلنا يتذكروا ويخشى) .

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما اعذرا
إليه لعلنا يتذكروا ويخشى فقولا له إن لك رباً ومعاداً وإن بين يديك جنة ونارا
لعلنا عند ذلك يتذكروا ويخشى وعيدكما ، وهو عندي لا يتذكروا ولا يخشى قال
الشيخ لا يقول أهل بيته قبل أن أعذر إليه ، قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون
دخلا عليه فلما وقف عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكبير
لا إله إلا الله العلي العظيم ؛ سبحان رب السموات والأرضين السبع وما فيهن
وما بينهما ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني
أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفني به بما شئت قال
فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمناً ؛ وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو
خائف آمن الله بخوفه ونفس الله كربه وهون عليه سكرات الموت ثم أن فرعون
قال لموسى من أنت ؟ فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فقال له (ألم تر بك
فيما وليدت فينا من عمرك سنين وفعالت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين)
معنا على ديننا هذا الذي هو الآن تعييه قال موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين)
أي من المخطئين ولم أرد بذلك القتل (ففرت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكماً
وجعلني من المرسلين) ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال
(وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل) أي اتخذتهم عبداً تتزع أبناءهم
من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي إنما صيرني إليك ذلك (قال
فرعون وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)
قال فرعون (لمن حوله) من ملته (ألا تستمعون) ؟ إنكاراً لما قال موسى ربكم
ورب آبائكم الأولين (قال) فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) يعني
ما هذا بكلام رجل صحيح العقل إذ يزعم أن لكم إلهاً غيري (قال) موسى (رب
المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) ثم قال فرعون لموسى (إن اتخذت

لها غيرى لا جعلناك من المسجونين قال اولو جعلناك بشيء مبين (تعرّف به صدق
وكذبك وحقى وباطلك) قال فرعون (فأت به إن كنت من الصادقين فألقى موسى
عصاه فإذا هي ثعبان مبين) فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحياها
الاسفل في الارض والا على على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من
مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانقض منها الناس وذعر منها
فرعون ووثب عن سريريه وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة
وكان فيما يزعمون لا يسجل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة ما يصيبه الناس
قالوا فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك الله وحرمة الرضاع إلا ما أخذت
وأمسكتهما عنى وأنا أو من بك وأرسل منك بنى إسرائيل فانخذها موسى فعادتها
عصا كما كانت ، ثم إن موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك
فما فيها فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء تكل عنه
الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوءها البيوت ورؤى من السكوى ومن وراء
الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي
على لونها الاول . قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام إليه هامان وجلس بين يديه ، ثم
إنه قال بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبده ، فقال فرعون لموسى مهلنى اليوم وغدا
فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون إنك إن آمنيت بالله وحده عمرتك في ملكك
ورددتك شاباً طرباً فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل إليه هامان وقال له
والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً ونفخ في منخره ثم قال هامان أنا
أردك شاباً فأنى بالوشم خضبه فهو أول من خضب بالسود فلذلك كرهه ^{الله} ونهى
عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى الله تعالى إليه
لا يهولك ما رأيت فإنه لن يلبث إلا قليلا حتى يعود إلى حالته الاولى .

وفي بعض الروايات أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما
مطر في الطريق فأنيا على عجوز من أقرباء أمهم ركار فرعون وجه الطالب في أثرهما
فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطالب إلى الباب والعجوز منتبهة فلما أحسست
بهما خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر إليهما فقامت فقتلت
منهم سبعة أناس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما وآمنت

(الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة)
(وخرجهم يوم الزينة إلى الفضاء للمغالبة)

قالت العلماء بأخبار الأنبياء إن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون
مرهما وما أنيابه من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله إن هذان
الساحران عليان فإذا تأمرن ؟ قالوا اقتلهم فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل
لرعون (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) إلى قوله تعالى (سبيل الرشاد) وقال
فلاً من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المداين حاشرين يأتوك بكل ساحر
عليهم وكانت لفرعون مداين فيها سحرة معدة للأمر إذا حزبه .

فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكباً على عصاه ومعه أخوه هرون
حتى أتيا المجتمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم
(وبلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بهذا قد خاب من افتري) فتناجوا فيما بينهم
فقال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر فذلك قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم
وأسرروا النجوى) فقالت السحرة لنا دينك اليوم بسحر لم ترمثله (وقالوا بعزة
فرعون إنا لنحن الغالبون) وكانوا قد جاءوا بالعصى والخيال يحملها استون بعيراً
فلما أبوا إلا الإصرار على السحر قالوا لموسى (إنا أن تلقى وأما أن نكون نحن
الملقين) قال لهم موسى بل اقروا انتم حبالكم وعصيكم فالتقوا فإذاهما حيات كامثال
الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى فذلك قوله تعالى (يخيل إليه من
سحرهم أنها تسعى) إلى قوله (خيفة موسى) فقال موسى إنها كانت لهصايا في أيديهم
ولقد عادت حيات وما عصاى هذه ؛ فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله إليه (لا تخف
لأنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث أنى) ففرج موسى ثم إنه التقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان مبين
كأعظم ما يكون من الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع قوائم فصار غلاظ شداد
وهو أعظم وأطول من بختى عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة
برأسه وعقله وكامله لا يضرب بذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه ويكسر بقوامه
الصخر الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه تار ؛ وله

عينان تلتهميان ناراً ومنخراه ينفخان سموماً وعلى معرفته شعر كأمشاك الرياح وصارت
 السميتان له فما سحته إلنا عشر ذراعاً وفيه أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش
 وصريف وصريير فاستمرضت ما ألقت السجرة من حبالهم وعصيمهم وهي نخيل في
 أعين الناس وعين فرعون وإنها تسعى فجاءت تلقفها وتبلمها واحداً واحداً حتى لم
 ير في الوادي لأقليلاً ولا كثيراً عما ألقوا وانهم قوم فرعون هاربين منقلبين
 فتزاحوا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام
 خمسة وعشرون ألفاً وانهم فرعون فيمن انهم منخوفاً مرعوباً ذاهباً عفاً ، وقد
 استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمئة مرة نصار يحصل لذلك أربعين مرة في
 كل يوم وليلة على الدوام إلى أن هلك فلما انهم الناس وطين السجرة ما عاينوا
 قال لبعضهم لو كان ساحراً ما علينا ولا نخفي علينا أمره ولو كان سحراً فأن حبالنا
 وعصينا (فألقى السجرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
 وكان فيهما اثنان وسبعون شيخاً قد انحمت ظمورهم من الكبر وكانوا علماء ورؤساء
 وكان رؤس السجرة خمسة نفر ساجدين وغادرو حفظ وخط ومصفاء وهم الذين آمنوا
 حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدة
 (آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي عليكم السجود) إلى قوله تعالى (أشد
 عذاباً وأبقى قالوا نؤثرك على ما جاءنا من البينات) الآية فقطع أيديهم وأرجلهم
 من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحراً
 كفر : وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوباً مهزوماً مكسوراً ثم أبى إلا
 الإقامة على الكفر والتأدي في الشر فتابع الله عليه الآية وأخذه وقومه بالسنين
 إلى أن أهلكهم ثم إن موسى عاد راجعاً إلى قومه والعصا على حلقها حية تتبعه
 وتبصص حوله وتلوذ به كما يلوذ السكاب الألوف بصاحبه والناس ينظرون إليها
 ويتعجبون منها وقد ماشوا رعباً فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون
 وينظرون إليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني
 إسرائيل فأخذ برأسها فإذا هي دها كما كانت أول مرة وشئت الله على فرعون
 أمره ولم يجد إلى موسى سبيلاً واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره
 وكانوا مجتمعين إلى أن صاروا ظافرين .

(الباب الحادى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون)
(وامراته ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين)

قالت الرواة : كان حزقيل من أصحاب فرعون نجاراً وهو الذى صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته فى البحر . وقيل إنه كان خازناً لفرعون وقد خزن له مائة سنة وكان مؤمناً مخلصاً يكتُم إيمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذه يومئذ وقتل مع السحرة صليبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) وقال رسول الله ﷺ سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد ﷺ وهو أفضلهم . وأما امرأة لحزقيل فإنها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من إمام الله الصالحات لا إله إلا الله كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكانت من قصتها ما أخبرنا به بالأسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (لما أسرى نى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ماهذه الرائحة : قال هذه ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوق المشط من يديها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أنى ؟ قالت لا بل رنى ورب أهلك فقالت لها لا تخبرن بذلك أبى فلما أخبرته دما بها وبولدها وقال لها من ربك ؟ فقالت إن رنى وربك الله فأمر بتنور من نحاس فاحر وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له إن لى إليك حاجة فقال وماهى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنهما قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً فى التنور حتى إذا كانت آخر أولادها ولداً صبيغاً فقال اصبرى يا أماء فإنك على الحق فألقيت فى التنور مع ولدها .

فمثل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد فقال : تكلم فى المهد أربعة : عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي .

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون)
(ومقتلها رحمها الله تعالى)

قال الله تعالى (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) يقال إن امرأة فرعون آسية كانت تعمل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مئذنها خوفاً من فرعون وكانت على تلك الحالة إلى أن قتل فرعون امرأة حزقييل وكانت آسية متطوعة من كوة قصر فرعون تنظر إلى الماشطة امرأة حزقييل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد خرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقيناً بالله وتصديقاً فبينما هي كذلك إذ دخل عاينها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقييل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى فقال لها لعلك قد أعتراك الجنون الذي أتعري صاحبك فقالت ما أعتراني جنون واسكني آمناً بالله ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها إن ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم إنه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بإله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فما أراد فأبت وقالت تريدن أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك بها فأمر بها فرعون فدفنت بين أربعة أو ثمانية مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى (وفرعون ذى الاوتاد) .

عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتداء بها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت إليه بأصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب المأ إلى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني) الآية فأوحى الله إليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحك فقال فرعون انظروا إلى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب .

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي عندك صرحاً) الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعيم والترفح والتمتع ما قد استخف به رغيته من أهل مملكته حتى استعبدوه فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجود والشوكة والعدة والعدد .

قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربع مائة سنة لا يرى مكروهاً ولو كان في تلك المدة فأدرك جوع يوم أوحى إليه ما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه إلا بحبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله دابة من درابه يركبها فيصعد به ذلك القصر عليها ، وكان يركبها صاعداً ونازلاً مع أنعم الله تعالى عليه استدرأ جأ منه فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزد ذلك إلا اعتواً واستكباراً وعلم من قومه الرعب والخوف بخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويحملوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه وبشيد أركانته فقال لوزيره (يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) فأمر هامان ببنائه فجاء له العمالقة والفعلقة ولم يترك أحداً يقدر عليه ممن يعمل البنيان إلا جهمه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأنباغ والأجراء ممن يطلب بهج الأجر والجحم ويتخذ الخشب والأبواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدرأ جأ منه وأناه الأمر على ما يريد إلى أن فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أن دعهم وما يريد فإني مستدرجه وأخذ بهنة وإني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح إذا طاعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب وإذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى فلما أتم بنائه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فغرب بجناحه الصرح ضربة فقطعته

ثلاث قطع فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيله لم تغنى عنه شيئاً
فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم إن عسكر فرعون
قالوا لموسى إنك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته
وتربيته ونسيت إحسانه إليك ومنته عليك حيث ألقاك أمك في اليم قبجاً بك
وبغضاً لك لما علمت ما أنت صائر إليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق
واستدركك من الموت فأواك وكفلك ورباك واتخذك ولداً ثم فررت منه آبقاً
كافراً وجهته عدواً محارباً فلما علمنا بممتهن منك حتى نردك إلى عبادته وخدمته أو
نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغنى عنهم ما جاءهم به
موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب وابتلاهم الله
بالعذاب والآيات .

(الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى بها فرعون وقومه)

(حين دنا هلاكهم لإظهار آقدرته وإلزاماً لحجته)

قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) قال المفسرون : هي العصا
واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفاق البحر
فقال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) .

وقال قتادة : أما السنون فكانت يباديهم ومواشيهم ، وأما نقص الثمرات
فمكان في أمصارهم قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآية .

واختلف المفسرون في ذلك الطوفان ما هو .

قال ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء ،
وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها ، وقال الضحاك هو الفرق ،

وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف ، وروى ذلك عن رسول الله ﷺ
وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون
فافتضمن في ليلة فلم يبق منهم باقية ، وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى فهم أول من
عذب به فبقى في الأرض (والجراد والقمل) .

واختلفوا في القمل ما هو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة ، وروى عن علي بن أبي طلحة أنه الدبا وقال مجاهد والسوس وقتادة والسكي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الخنثان وهو ضرب من القردان ؛ قال أبو العالية أرسل الله الخنثان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبي الصمات الشقي أرسل الذر والجراد عليهم وهذا بأهل بيتهم دبور

(باب في صفة تنزيل الآيات تفصيلاً وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحق وغيرهم من أصحاب الأخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض ؛ لما آمنت السحرة وصابهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوباً مقهوراً انصرف موسى وهرون إلى عسكر بني إسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكفوا بني إسرائيل مالا يطيقون فكان يقول من القبط يحى إلى الرجل من بني إسرائيل يقول له انطلق معي فأكذب عشي وعالف دواني واستق لي وتجيء القبطية إلى الكريهة من بني إسرائيل فتكفها مالا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزاً فإذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فأكذبوا لأنفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك إلى موسى فقال لهم (استمعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والمراقبة للمتقين) قالوا يا موسى (أؤذينا من قبل أن يأتينا ومن بعد ما جهننا) كنا نطعم إذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جهننا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) يعني فرعون والقبط (ويستخلفكم في الأرض) يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أرى فرعون وقومه إلا التمادي على الكفر والإفامة على الشر والظلم ودعا موسى ربه فقال : يا رب عبدك فرعون قد طغى في الأرض وبغى وعثا وإن قومه يقتضون عبدك وأخلفوا وعبدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة واقومى عظة ولعن يدهم من الأمم اعتباراً فتابع الله عليهم الآيات المفصلات وبعضها في أثر بعض فأخذهم

بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط وشعبك مخالطة بعضهم في بعض فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جاس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدرُوا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل وعادوا إلى أشركائهم فأنبت الله تعالى لهم في تلك السنة من السكك والزرع والثمار ما لم ينبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا وما يسرنا أن نلقى نمتراً فأقاموا شهراً في عافية ثم بعث عليهم الجراد فأكل كل عامه زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى إنها كانت تأكل الأبواب والشباب والامتنعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فهيجوا وضجوا وقالوا (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك في بني إسرائيل) فأعطوه عهد الله وميثاقه فسال موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ويقال أن موسى برز إلى الفضاء فأشار إلى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

(فصل في بعض ما ورد من الأخبار الغريبة في الجراد)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن جابر وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه كان يدعو على الجراد يقول : اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وافسد بيضه وخذ بأقوامهم عن معايشنا وارزقنا إنك أنت سميع الدعاء فقال له رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دبره ؟ فقال إنما الجراد نثر يحوت من البحر .

وقال ابن علاثة : حدثني من رأى الحوت ينثره وبإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (في صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم) وبإسناده عن جابر بن عبد الله قال : عدم الجراد في سنة من تنفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فأنتم لذلك فأرسل راكباً إلى اليمن وراكباً إلى الشام وراكباً إلى العراق يسألون هل رأوا شيئاً من الجراد أم لا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاه في يده فلما رآه كبر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك الجراد يتابع مثل النظام إذا قطع سلكه .

وبإسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي ﷺ أنه قال « إن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغر رضاع وتابع بينه بغير شياخ » فقلت يا أبا المظفر ما الشياخ ؟ قال الصوت .

وبإسناده عن عبد الله بن ضميرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى إبليس من الجنة قال لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقى جنداً هو الجراد فقال إبليس وأنا جندي النساء هي شبكتي التي لا تخطيء أبداً .

أخبرنا الحسين بإسناده عن الأوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلاً صالحاً راكباً على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحينما أشار استاق الجراد إلى ذلك الموضع فبلغنا أن ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهراً في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشى إلى كئيب أعقر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى إلى ذلك الكئيب وكان مهبطاً عظيماً فضربه بعصاه فانهاط عليهم القمل فتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملاً حتى أن أحدهم ليبنى الأسطوانة بالجص وينلفها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فإذا صعد إليه ليأكله وجدده مليء قملاً فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشعار

هيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدرى عليها ومنعتهم للنوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد بن جبير النمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة إلى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا إلى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر : أى أيها العالم إنا نتوب ولا ندع فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الأرض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ثم انكشوا العهد وعادوا إلى أنخبث أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن أن موسى ساحر لنا إلا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا تؤمن وترسل معه بنى إسرائيل فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا تصدق به أبداً ولا نذبحه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا شهر في طافية وقيل أربعين يوماً أوحى الله تعالى إليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيخترع عصاه فيه ويشير بالعصا إلى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتنابت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضاً وأسمع أدناها أنصاها ثم لأنها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعاً تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلات منهم أفنيئتهم وآنيئتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوباً ولا إناء ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعاً بعضها فوق بعض وتصير عليه ركناً حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقه الأيمن ولا الأيسر وكان أحدهم يفتح فاه لا كانه فتسبقه الضفادع إلى فيه وكانوا لا يعجزون شيئاً من المجين إلا الشدخت فيه ولا يطبخون قدراً إلا امتلات منه وكانت تلب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديداً روى عكرمة عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تدور وفي التناير وهي مسحورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا إلى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقتها مأوأة جيفة

من كثرة ما يطأونها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا
 وشدوا إلى موسى وقالوا كشف عنا هذا البلاء فإننا نتوب هذه المرة ولا نعود
 فأخذ على هذا عمودهم وموائيقهم ثم أن موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع
 وذلك فيما يروى أن موسى أمر أن يهتف بهصاه ويميلها ففعل ذلك فانتشع ما كان
 منها حياً فلاحق بالنيل وأرسل الله على الميثة ريحا ففتحها عن مدينتهم بعد ما أقامت
 عليهم سبعة أيام من النسبت إلى النسبت فأقاموا شهراً في عافية وقيل أربعين يوماً ثم
 نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم
 الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب إلى شاطئ البحر فيضربه بهصاه
 ففعل ذلك فسال عليهم النيل دماً وسارت مياههم كلها دماً وما يسقون من الأنهار
 والآبار إلا وجدوه دماً أحمر عبيطاً فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا إنا قد ابتلينا
 بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم إنه قد سحركم موسى فليكن يجتمع الرجال
 على الإناء الواحد القبطى والإسرائيلى فيكون ما يلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى
 دماً عبيطاً وكان القبطى والإسرائيلى يستقيان ماء واحد فيخرج ماء القبطى دماً
 وماء الإسرائيلى ماء عذبا وكان يقومون إلى الجرة التى فيها ماء فيخرج للإسرائيلى
 ماء وللقبطى دم حتى إن المرأة من آل فرعون أتت إلى المرأة من بنى إسرائيل حين
 يجهدنها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من
 فربتها فتعود فى الإناء دماً قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والأشجر فإذا ذهبوا
 ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دماً عبيطاً وإن فرعون اعتراه العطش فى تلك
 الأيام حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماء لها ملجأ
 أجاجاً ومرأز عاقاً فمكثوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون إلا الدم .
 وقال زيد بن أسلم : كان الدم الذى سلط عليه الرعاف فلما ضجروا من ذلك
 قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك
 بنى إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب
 النيل بهصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافياً كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما
 عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآيات قال نوف البكالى

هن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب
السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع وقال أصحاب الأخبار
لما يئس موسى من إيمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون إلا الظفیان والكفر
والتمادي والكبر دعا عليهم وأمن فرعون عليهما السلام وهو (ربنا إنك آتيت
فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) فأجاب الله
دعاهما كما قال تعالى (قد أجيبتم دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان) الآية قالوا وكان
لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والياواقيت
وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه إلا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه
يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقى ذلك في يد القبط فأوحى الله إلى
موسى عليه السلام إنى مورت بنى إسرائيل ما فى يد آل فرعون من العروض والحلى
وجاعله لهم جهازاً وأعياداً إلى الارض المقدسة ما جعل لذلك عيداً تمتكف عليه
أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتمظمونى ذلك اليوم وتعبدونى فيه لما أريكم
من الظفر تجاه الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلى
وأنواع الزينة فإنهم لا يمنعون عنكم بسبب الحال بهم فى ذلك الوقت لما قذف فى
قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله
وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحلى فغيرت لبنى إسرائيل لما أراد الله بذلك
أن ينفى على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا رجل
لطفاً منه بهم وإفضالا عليهم لما دعا موسى عليهم مسخ الله الأموال التى بقيت فى
أيديهم حجارة كلها حق المنخل والدقيق .

قال محمد بن كعب القرظى : سالتى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها
الله فرعون وقومه فقلت : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد
والبيضة والطمس وفاق البحر فقال عمر لا يكون الفقه إلا هكذا ثم إنه دعا بخريطة
فيماء أشياء مما كان أصاب لعبد العزيز بن مروان إذ كان فيها بقايا أموال فرعون فأخرج
البيضة مشقوقة نصفين وإثنا الحجر والجوزة مشقوقة وإثنا الحجر والحصى والعدسة

وروى محمد بن إسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال : قد رأيت نخلة
مصرية وإني لأحجر وقال رأيت إنساناً وما شككت أنه إنسان وإني لأحجر وكان
ذلك المسخ في أرقاتهم دون أحرارهم إذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال إلا مسخه
الله تعالى ما خلا الذي بأيدي بني إسرائيل من الخلي والجواهر وأنواع الزينة .

وقال ابن عباس : أول الآيات العضا وآخرها الطمس ؛ قالوا وبلغنا أن الدنانير
والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئة ثياب صمغاً وأنصافاً وأثلاثاً وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر في قصة إسماعيل موسى عليه السلام ببني إسرائيل)
(وخبر فلق البحر لهم)

(قالوا) لما سار موسى ببني إسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب
الله عليهم النية فلم يدروا أين يذهبوا فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني إسرائيل
فسألهم عن ذلك فقالوا له إن يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً
أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الأرض المقدسة فلذلك نالنا
هذا الأمر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من
يعلم موضع قبر يوسف ألا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قول فيكان يمر بين
الرجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعت عجوز منهم فقالت له أرايتك إن دللتك
عليه أتعطيني ما سألتك ؟ فإني عليها وقال استأذن ربي فأمره ربه أن يعطيها منها
فأعطاها ذلك فقالت له : إني أريد أن لاتنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال نعم
قالت فإني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فأحمني فحملها فلما دنت من النيل قالت له
إني في جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه هذا الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه
فقالت له احفر هنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه
في الأرض المقدسة .

قال عروة بن الزبير : وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني إسرائيل
إذ طالع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل ففمن ثم
تحمل اليهود موتاهم من كل بلد إلى الأرض المقدسة من فعل نبيهم ذلك .

(م ١٤ — قصص الأنبياء)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن ابن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ قال : نزل النبي ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام : يعاهدنا فأتاه الأعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك ؟ قال له الأعرابي ناقة يا رسول الله برحمتها وأعز بحلبها أهلي فقال له رسول الله ﷺ ثانية ما حاجتك فقال ما لي حاجة غيرها ، فقال عليه السلام إن عجوز بني إسرائيل كانت أحسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف .

قال فلما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كريم الله أين أمرت فقد شئينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى همنا نخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء .

وقال الذي يكتم إيمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كريم الله أين أمرت قال همنا فسكب فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدرُوا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله إليه (أن اضرب بعصاك البحر) وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى إليه أن كنهه فضربه ثانياً وقال . انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) فلما انفلق البحر فإذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يتبل سرجه ولا لبدته وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لإثني عشر سبطاً لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يابساً كما قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) .

قال سعيد بن جبير . أرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة فأرسل إليه إنه المكان الذي انفلق عنه البحر لبني إسرائيل أخبرنا الحسن بن محمد بإسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال . يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والسكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجاً ومخرجاً فاوحى الله تعالى إليه (أن اضرب بعصاك البحر) فضرب بعصاه البحر (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) .

وروى الأعمش عن شفيق عن عبد الله قال . قال رسول الله ﷺ : ألا أعلمكم
الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر ببني إسرائيل ؟ فقلنا بلى يا رسول الله
قال قولوا . اللهم لك الحمد وإليك المنة وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال عبد الله . فما تركتم من سمعتم من رسول الله ﷺ
قالوا نخاض بنى إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل
العظيم لا يدرى بعضهم بعضاً فخافوا وقالوا كل سبط قد قتل إخواننا فاوحى الله
إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كهيمات الطبقات فنظر بعضهم بعضاً
فأخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم بعضاً حتى عبروا
البحر سالمين فذلك قوله تعالى (وإذ فرقنا بكم البحر) أي فلقنا وميزنا لكم الماء
يميناً وشمالاً (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وذلك أنه لما خرجت
ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون إليه فاراد موسى أن
يدعو البحر ليرجع إلى حالته الأولى فاوحى الله إليه أن (اترك البحر رهواً) أي
سائماً على حاله . إنهم جند مفرقون . فلما وصل جند فرعون إلى البحر رأوه
مفلتاً . فقال فرعون . انظروا إلى البحر كيف انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائى
وعبيدى الذين أبقوا منى فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن
في خيل فرعون أنثى وإنما كانت ذكوراً كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس
له أنثى وهى مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم ونخاض البحر فظن أصحاب
فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر أثرها حتى غاصوا
كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحشهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم
فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له إني قد أتيت
إلى هذا الموضع مراراً وما لى عهد بهذا الطريق وإني أخاف ولا آمن أن يكون
مكرراً من الرجل ويكون فيه هلاكنا وأصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب
مهاجلاً على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمحه بيضاء
فصهات فعممهم إليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون

فألقوه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ففرقهم أجمعين وذلك بمراى من بنى إسرائيل فذلك قوله تعالى (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) يعني إلى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق (قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فقال له جبريل (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ثم إن جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذي فيه ، وقال إنما هذا فتياك الذي أفيت به ، ثم جعل يدس في فيه من حما البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة .

وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ ، ما أبغضت أحدا من الخلق ما أبغضت رجلين ، أما أحدهما فن الجن وهو إبليس عليه لعنة الله حين أنى أن يسجد لآدم ، والآخر من الإنس ، وهو فرعون حين قال (أنا ربكم الأعلى) ولو رأيتني يا محمد وأتانا آخذ من حما البحر وأدسه فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله تعالى بها .

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودى إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا ؟ فقال بلى قد كان صبر وخير وليسكنكم ما جهت أقدامكم من حما البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بنى إسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا إلى مدائن فرعون وهى يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عليهم ورؤسائهم وقادتهم ومقاتلتهم ، فلم يبق منهم إلا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجنديين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون) إلى قوله تعالى (فأكف من كذلك أورثناهم قوما آخرين) إلى آخر القصة ثم أن يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعمد إلى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين .

(الباب السادس عشر في ذهاب موسى إلى الجبل لميقات ربه)
(وصفة لبقاء الله تعالى الألواح وإنزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) وقال في موضع آخر (وإذا وواعدنا موسى أربعين ليلة)

قال العلماء بقصص الأنبياء وسير الماضين إن موسى كان واعد بني إسرائيل وهو بمصر إذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن ياتيهم بكتاب فيه ما ياتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني إسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها قالوا يا موسى اثبتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً ثم يتطهر ويظهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوماً فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتنسوك بعود خروب

وقال أبو العالقة - أخذ من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة إنا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك . فأوحى الله تعالى إليه أن صم عشرة أيام آخر ، وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من رائحة المسك ؛ وكانت فتنتهم في العشرة الأيام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذى القعدة (وأتممناها بعشر) من ذى الحجة قال وهب - كان بين الله وبين موسى سبعون حجاباً فرفعها الله كلها لإحجاباً واحداً فتنجلي موسى لكلام الله تعالى واشتاق إلى رؤيته وطمح فيها فقال (رب أرني أنظر إليك)

واختلف العلماء في معرفة النجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضجك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبيد الله بن سلام وكعب الأحبار ، ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل إلا كسم الخياط حتى صار دكاً دكاً

وقال السدي ما تجلي إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال (هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار

وقال الحسن أوحى الله تعالى إلى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وتساخ في الأرض وموسى ينظر إليه حتى ذهب أجمع

وقال السدي ما تجلي للجبل إلا قدر جناح بهوضة فصار الجبل دكاً وقال ابن عباس نراباً وقال سفيان ساح حتى وقع في البحر قال عطية العوفي صار رملاً هائلاً

وقال الكلبي جله دكاً أي مكسراً جبلاً صفاراً وبالإسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً)

(قال) فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الألواح فيبأفها موسى فلم يطيق حملها فقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقاً يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الألواح على الجبل فأنهض لها الجبل وخشع ، وقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من ضرب الله مثلاً في القرآن فقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها ، قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الألواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله (يا موسى إني اصطفيتك) الآية وقوله تعالى (وكتبنا له في الألواح) الآية

(فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى عليه وصفيه)
(في الألواح وهي معظم التوراة وعليه مدار كل شريعة)

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار
لعبدته ورسوله موسى بن عمران أن سبجني وقدسني لا إله إلا أنا فاعبدني
ولا تشرك بي شيئاً واشكر لي ولوالديك إلى المصير أحبك حياة طيبة ولا تقتل
النفوس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والارض برحبها ولا تخاف بإسمي
كاذباً فإنني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم إسمي ولا تشهد بما لا يهي سمعك
ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فإنني لا أوقف أهل الشهادات على شهادتهم
يوم القيامة وأسا لهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فإن
الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهي
وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيري فإنه لا يصعد إلى من
قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه إسمي ولا تفجرن بحليلة جارك فإنه أكبر
مقتاً عندي وأحب للناس ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك فهذه
نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعاً لمحمد ﷺ في ثمان عشر آية وهي قوله
تعالى في سورة بنى إسرائيل (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) إلى قوله
(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة
الأنعام وهي

قوله تعالى (أتأل ما حرم ربكم عليكم) إلى قوله تعالى (ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون)

أخبرنا أبو عمر محمد الفريابي بإسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ
(لما أعطى موسى الألواح نظر فيها فقال يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم
بها أحداً من العالمين قبلي) قال (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)

اخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المماصري عن أبيه أن كعب الأحبار رأى حبراً من اليهود يبكي فقال ذكرت بعض الأمر فقال كعب الأحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك فتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال - إني أجد أمة هم خير الأمم أخرجت للناس يأملون المعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يا رب إني أجد أمة يا كلون كماراتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبداً مملوكاً ولا أمة إلا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحنر له حنرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسيبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يا رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة إذا اشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى وإذا هبط إلى واد حمد الله تعالى ، الصعيد لهم طور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من

الجنابة طهورهم بالصعيد كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غراً محجلين من آثار
لوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب لاني
أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وإذا عملها كتبت له
عشر إلى سبع مائة ضعف ، وإذا هم أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإذا
عملها كتبت عليه سيئة مثلاً فاجعلهم يارب أمتي ، قال هم أمة محمد يا موسى قال
الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة
فقال يارب لاني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوماً فاجعلهم
أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى .

قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين
قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد - فأوحى الله تعالى إليه بثلاث آيات يرضيه
بهن فقال تعالى (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين) إلى قوله تعالى (دار الفاسقين) وقوله تعالى
(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال فرضي موسى كل الرضا .

وقال ابن عباس : لما صار موسى إلى طور سيناء إلى الميقات - قال له ربه
ما تبتغي ؟ قال جئت أبتغي الهدى قال وجده يا موسى قال موسى يارب أي
عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال فأبى عبادك أقضى قال
الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس
إلى علمه فيسمع الكلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى .

وقال عبد الله بن مسعود لما قرب الله تعالى موسى إلى طور سيناء رأى عبد
 في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا ؟ قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم
 الله من فضله بر بوالديه ولا يمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من
 ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي
 وأعوذ بك من سوء عملي قال كفيت ذلك يا موسى قال موسى يارب فأى الأعمال
 أحب إليك أن أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أى عبادك خير عملا قال من
 لم يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزننى فهو مؤمن فى خلق حسن قال أى عبادك
 شر عملا قال فاجر فى خلق سيء جيفة بالليل بطل بالنهار قال فلما رجع موسى
 إلى قومه وقد آتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الأثقال
 والأغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا
 على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مثل الظلمة مقدار
 قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين
 فأنقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلمة فذلك قوله تعالى (وإذا أخذنا
 ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) وقوله تعالى (وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة)

وقال عطاء عن ابن عباس - رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور وبعث نارا
 من قبل وجوههم وآتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة
 واسمعوا فإن قبلكم وفعلمتم ما أمرتكم به وإلا رخصتكم بهذا الجبل وأغرقكم فى
 هذا البحر وأحرقكم بهذه النار - فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك
 وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود
 لا يسجدون إلا على انصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا
 هلولا الجبل ما أطعناك .

واخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن
 بشير شعبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن

مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السامى قال حدثنا الحسين بن ابو سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك ديب النلة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشر فراسخ .

وأخبرنا أبو عبد الله الثقفى قال حدثنا عبد الله بن سبيعة قال حدثنا أبو حامد المستعلى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان إذا غضب اشتعلت قلوبسوته ناراً لشدة .

(باب ذكر قصة بنى إسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذ لهم المعجل لها)

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى إني ذاهب إلى الجبل لمينقات ربى وآتيكم بكتاب فيه بيان ما نأتون وما تذكرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستحلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهى بقاء أنى لا تضيب شيئاً إلا حي فلم يـأـر آه السامرى على تلك الفرس عرفه وقال أن هذه الفرس لشأناً عظيماً وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدى .

قال الكلبي إنما اتخذ السامرى من تراب حافر فرس جبريل المعجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بقاء خطوطها مد البصر عليهم تركب الأنبياء كلهم وخاض البحر وسمت خيول قوم فرعون ريحاً خاضت في أثرها قالوا وإنما عرف السامرى جبريل دون بنى إسرائيل لأن فرعون حين أمر بذبح أولاد بنى إسرائيل جعلت المرأة إذا ولدت الغلام انطلقت به سرّاً في جوف الليل إلى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقضي الله ملكاً من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يخلط بالناس وكان الذى رى السامرى جبريل عليه السلام فجعل بمصر

من أحد إلهاميه سمناً ومن الآخر عسلاً فمن ثم عرفه ، ومن ذلك الوقت إذا جاع
الطفل يمس إلهامه فيروى من الحصل لأنه جعل فيه رزق .

وقال الحسن البصري إسم عجل بنى إسرائيل الذي عبدوه بهموت قالوا فلما
رأوا العجل وسمعوا قول السامري ففتنوا به غير اثني عشر ألفاً وكان مع هرون
ستائة ألف ، فمكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حباً ما أحبوا شيئاً
مثله قط ، فقال لهم هرون يا بني إسرائيل (إنما فتنتكم به ولأن ربكم الرحمن فاتبعوني
وأطيعوا أمري قالوا ان نبرح عليه عاكمين حتى يرجع إلينا موسى) فأقام هرون
فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخرف هرون إن سار
بمن معه من المسلمين إلى الممتوتين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بني إسرائيل
وكان له هائباً مطيحاً وقال قتادة في هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم .

أخبرني الحسن بإسناده عن راشد بن سعيد قال ، لما واعد الله موسى أربعين
يوماً قال الله تعالى يا موسى إن قومك قد افتننوا من بعدك قال يارب كيف
يفتننون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم ، قال لأنهم اتخذوا
العجل إلهاً من دوني وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح
قال أنا ، قال أنت وعزتك فتننهم (إن هي إلا فتنتك) الآية

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ (ليس المعاني كالخبر قال الله تعالى
لموسى إن القوم قد فتنوا فلم يلق الألواح فلما عاين ألقى الألواح فمكسرها

عن تميم الداري قال - قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت
قريبة من ساحل البحر ، فقال عليه الصلاة والسلام (تلك أنطاكية) أما إن في
غار من غيراتها رضا من الألواح موسى وما من سخابة شرقية ولا غربية تمر بها
إلا ألقت عليها من بركانها وإن تذهب الأيام والليالي حتى يسكنها رجل من أهل
بيت يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً) قالوا فلما رأى موسى ما صنع

قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر ألفاً (لم يعبدوا العجل) فقال هرون (ما منعك إذ رأيتمهم ضلوا ان لا تتبعن أفصيت أمرى) هلا قاتلهم إذ علمت إنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون (يا ابن أم) الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لأبيه وأمه ولكن أراد بقوله يا ابن أم ترفيقه واستعطافاً عليه (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى بذوائبى (إنى خشيت) إن قاتلهم أن يصيروا حن بين يقتل بعضهم بعضاً فنقول (فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى) أى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك (اخلفنى فى قومى واصلاح ولا تتبع سبيل المفسدين) ثم أن موسى أقبل على السامرى وقال (ما خطبك يا سامرى) أى ما أمرك وما شأنك ؟ فقال السامرى (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) يعنى أخذت تراباً من أثر فرس جبريل (فنبذتها) وطرحتها فى العجل (وكذلك سوات لى نفسى) أى ذبنت لى .

قالوا فما علم بنو إسرائيل لانهم قد أخطئوا وضلوا فى عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال الله تعالى (ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم ضلوا قالوا لن لم يرسمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) فقال لهم موسى (يا قوم إنكم ظالمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) قالوا له فإى شىء نصنع وما الحيلة ؟ قال (توبوا إلى الله بارئكم) أى ارجعوا إلى خالقكم قال فكيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البرىء المجرم (ذلکم) يعنى القتل (خير لكم عند بارئكم) قال ابن عباس أى الله أن يقبل توبة بنى إسرائيل إلا بالخال التى كرهوا أن يقتلوا حين عبدوا العجل .

وقال قتادة : جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لأمره وقالوا نصبر لأمر الله ، فجلسوا فى الألفية محبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه إلا إرضاء الله تعالى فقالوا يا موسى

كيف اصنع ؟ فأرسل الله ضيابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ،
وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاء يده أو رجل فهو ملعون
مردودة توبته فكانوا يقتلونهم فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً
دعا موسى وهرون وبهما جزعاً وتضرعاً وقال يارب هلكت بنو إسرائيل
البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل فلما
انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه :
أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة ؟ فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي
منهم مكفرأ فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) .

وروى أنه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا إثنين وسبعين رجلاً فقال
إنما أمرت بسبعين رجلاً فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى إن
لن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فامر موسى
السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم إلى الطور لميقات
ربه وذلك قوله تعالى (واختار موسى سبعين رجلاً لميقاتنا) الآية ، وكان لا يأتيه
إلا بإذن منه فلما دنا موسى إلى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله
ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على وجهه
نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه فضرب دون الحجاب
ودون القوم حتى دخلوا في الغمام وسجدوا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه
وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا
فاعبدوني ولا تعبدوا غيري ، فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل
إليهم فقالوا ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت
من السماء فأحرقتهم جميعاً .

قال وهب بل أرسل الله عليهم جنداً من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوماً
وايلة فذلك قوله تعالى (وإذا قلتم يا موسى لن تؤمن حتى نرى الله جهرة فأخذكم)

الصاعقة وأنتم تنظرون) فلما ماتوا قال موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا مما فعل السفهاء منا) يا رب كيف أرجع إلى بني إسرائيل ، وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم بعضاً كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم) الآية .

(باب في قصة قارون حين عصا ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان)
(والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) الآية قالت العلماء بأخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء :

وقال ابن إسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماريث بن بركياء بن يقشان ابن إبراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فتمكح عمران بنحيت بنت شمويل بن بركياء بن يقشان فولدت هارون وموسى ابن عمران فموسى على قول ابن إسحق بن أخى قارون وقارون عمه لأبيه وأمه على قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ ، وكان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجملهم .

قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل أقراً للتوراة منه وإن كان عدو الله نفاق كما نفاق السامري فبغى على قومه كما قال الله تعالى (فبغى عليهم) واختلفوا في معنى هذا البغى .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني إسرائيل حين كانوا بمصر .

وأخبرني الحسن بإسناده عن المسيب بن شريك أن قارون كان من قوم موسى
فبغى عليهم قال كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم .
وقال عطاء الخرساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبراً .

وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان
أغنى أهل زمانه وأثرهم كما قال تعالى (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه
لتنوء) الآية .

(وفي الخبر) إن الله تعالى علم موسى الكيمياء ، فعلم موسى أخته فاعلمته
قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى (إنما أرتيته على علم عندي) أو
بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب
جمعه تلك الأموال ما أخبرنا الثقفى بإسناده عن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان
الداراني كان يقول تبدي إبليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة
يتعبد حتى إذا غلب جميع بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه فلم
يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل إبليس يقهره بالعبادة
ويفوقه فخضع له قارون وقال له إبليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه
ولا يشهد ابني إسرائيل جماعة ولا تمود لهم مريضاً ولا تشهد جنازة قال فاحذره
من الجبل إلى البيعة فمكانوا يؤتون بالطعام فقال له إبليس يا قارون قد رضينا أن
نكون هكذا كلا على بني إسرائيل فقال له قارون فأى رأى عندك قال نكثتسب
يوماً في الجمعة ونعبد ببقية الجمعة قال فتكسبنا في يوم الجمعة وتعبدنا ببقية الجمعة
قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى رأى عندك قال نكثتسب يوماً ونعبد
يوماً فتصدق ونعطى ، قال فلما كسبنا يوماً وتعبدنا يوماً جالس إبليس وتركه
ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فتحويه بإسناده عن
المسيب بن شريك قال ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمئة ألف في أربعين
خزانة فصار في الثروة وكثرة الأمثال حيث يضرب به الأمثال أنشدني أبو العباس
سهل بن محمد المروزي عن بعضهم :

وعدتني وعهدك حتى إذا أطعمتني من كنز قارون
جئت من الليل بغسالة تغسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطفى وتجر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للعابرين
وعظة للباقيين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة
الأموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى (نخرج على قومه في
زينته) الآية .

قال مجاهد نخرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وعليها المعصفرات
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نخرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات .

قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الأرض فيما كان أبى يذكركلى
عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليهم الأرجوان
ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهم
الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتعنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه
فقالوا (يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم) فأنكر عليهم أهل
العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فإن
(ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون) عن لذات الدنيا
وشهواتها قال الله تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أى لا يوفق لهذه الكلمة
إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا .

قال فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبارة وهى رئاسة المذبحة
وبيت القربان لهرون فكانت بنو إسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه إلى هرون
فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأتى
موسى وقال يا موسى لك الرئاسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا فى شيء
من ذلك وأنا أقرأ التوراة منكما ولا صبرى على هذا . فقال موسى والله ما جمعتهما
أنا فى هرون بل الله جعلهما له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى تبنى
(م ١٥ — قصص الأنبياء)

نه . قال فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل وقال ، ها اتوا عصيكم فمن أصبحت
عصاه خضراء فهو الحق بالحجارة فجمعوا العصي وجاءوا بها وكتب كل واحد اسمه
على عصاه فخرمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون
عصيتهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت
من شجر اللوز فقال موسى : يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون . والله
ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى باتباعه
وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم
لا عتواً وتجبراً .

(قال) جمع قارون بني إسرائيل وقال لهم يا قوم إن موسى قد أمركم بكل
شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا
فرفنا بما شئت فقال أمركم أن تبيعوا بفلانة البغي فنجعل لها جملاً على أن نقذف
موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو إسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه
فأتوا بها لجمل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستاً من ذهب على
أن تقذف موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل .

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال إن بني إسرائيل
اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهائهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام
شرعهم فخرج إليهم موسى وهم في راح من الأرض فقام فيهم خطيباً ووعظهم وقال
يها قال . يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن
زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وإن كان له امرأة رجماه حتى يموت .

فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال وإن كنت أنا قال إن بني إسرائيل
يزعمون أنك فجرت بملائكة قال أنا ؟ قال نعم . قال أدعوها فإن قالت فهو كما قالت
فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ، وعظم
عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى
إلا صدقت .

فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة
أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت . لا بل كذبوا ولا تكن جعل لي قارون
جعلا على أن أفذلك بنفسى فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس
رأسه وسكت الملاء وعرف أنه قد وقع في مهلكة ففخر موسى ساجداً لله يبكي ويقول
يا رب إن عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتى وسبى اللهم إن كنت رسولك
فأغضب لي وساطفى عليه ، فأوحى الله تعالى إليه ان ارفع رأسك وأمر الأرض
بما شئت تطعك فقال موسى : يا بنى إسرائيل إن الله تعالى قد بعثنى إلى قارون
كما بعثنى إلى فرعون ، فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه
فاعزلوا عن قارون ولم يبق معه إلا رجلا ثم قال موسى يا أرض خذهم
فأخذتهم إلى كهابهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال يا أرض
خذهم فأخذتهم إلى جنوبهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أحقابهم ثم قال
يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم وقارون وصاحبه في كل ذلك يتضرعون
إلى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الأخبار أنه ناشده
سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض
خذهم فانطابت الأرض عليهم وأوحى الله إلى موسى يا موسى ما أظفرك
استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغشهم ولم ترحمهم أما وعزتى وجلالى لو إياى دعوا
لوجدونى قريباً بجيباً .

قال قتادة ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يجملجمل بهم
فيها لا يبلغون قعرها إلى يوم القيامة .

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه قال أحمد بن محمد بن الحسين
أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قال أخبرنا عبد الرزاق
أخبرنا معمر بن راشد عن همام ابن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول
الله ﷺ : بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفه وقد أعجبته نفسه إذ خسف

الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الأرض أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم إن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الأرض وأوحى الله تعالى إليه إني لا أعيد الأرض لأحد بعدك أبداً فذلك قوله تعالى (فخرقنا بداره الأرض لما كان له من فئة ينصروه من دون الله وما كان من المنتصرين) فلما حلت نعمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى (إذ قال لقومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) أي لا تبطل ولا تأنس (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالأمس وماله وحاله كما قال الله (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة ، وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض) الآيات .

(باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من المعجائب)
(إلى أن بلغ من أمرهما ما بلغ)

قال الله تعالى (وإذا قال موسى لفتاه لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقياً) قال الاستاذ الإمام : اختلف العلماء في السبب الذي قصد موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة عن سعد بن جبير قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس إن نوحاً ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذي طلب العالم إنما هو موسى بن ميثم ، قال ابن عباس كذب نوح حدثني أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أن موسى بن إسرائيل سأل ربه ، فقال يارب إن كان في عبادك أحد

هو أعلم مني فداني عليه ، فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم
ذهبت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه .

وروى هرون بن عنقرة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال
يا رب أي عبادك أحب إليك ؟ فقال الذي يذكركني ولا ينساني ، قال فأى عبادك
أقضى ؟ قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال يا رب أي عبادك أعلم ؟ قال
الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن
ردي ، قال فهل في الأرض أحد أعلم مني ؟ قال نعم قال يا رب من هو قال الخضر
قال فأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التي يفلت عندها الحوت وجعل
الحوت علماً له ودليلاً . وقال إذا حي هذا الحوت فإن صاحبك هناك ، وكان
قد تزود سمكاً ملجأ .

وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر
واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكركم
ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم
في الأرض ؛ قال وكلم الله نبيكم تكليماً واصطفاه لنفسه ولحق عليه محبة منه
وآتاكم من كل ما سألتموه ، فنبهكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة
فلم يترك نعمته أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفهم لإياها ؛ فقال له رجل منهم من
بنى إسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟
قال لا قال فمتب الله عليه حيث لم يرد العلم إليه فبعث إليه جبريل عليه السلام ،
فقال له يا موسى ما يدريك أين أضع علمي بل إن لي عبداً بمجمع البحرين أعلم منك
فسأل موسى ربه أن يريه إياه فأوحى الله إليه أن أنت البحر فإنك تجد على
شاطئ البحر حوتاً فتخذه وتدفعه إلى فتاك ثم ألزم شاطئ البحر فإذا نسيت
الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح .

قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما
حوت مالح فذلك قوله تعالى (ولما قال موسى) يعني ابن عمران (لفتاه) أي
لصاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام (لا ابرح) أي لا أزال
أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) يعني بحر فارس والروم وما يلي المشرق ، قاله
قتادة وقال أبي بن كعب دو أفريقية وقال محمد بن كعب طنجة (أو أمضى حقبا)
دهراً وزماناً طويلاً فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسار حتى انتهيا إلى
الصخرة عند مجمع البحرين ليلا فذلك قوله تعالى (فلما بلغا) يعني موسى وفتاه
(مجمع بينهما) يعني البحرين (نسيا) تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع
وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى (إني نسيت الحوت) ولما صرّف النسيان
اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما
يخرجان من المالح دون العذب (فاتخذ) الحوت (سبيلا في البحر سربا) أي مذهبا
ومسلكا واختلفوا في ذلك .

فروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال : أنجباب الماء عن مسلك الحوت
فصار كوة لم يلتشم فدخل موسى السكوة على إثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام
وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت
لا يمس شيئا من البحر إلا يمس حتى يصير صخرة .

وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال لما انتهيا إلى
الصخرة وضعا رءوسهما فناما فاضطرب الحوت في المسكن فخرج منه وسقط في
البحر هابا فاتخذ سبيلا في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء
فصار عليه مثل الطلق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه أن يخبره بالحوت .
فأطلقا بقية يومهما وإيلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه (آتنا غداءنا)
الآية وفتاده رد الله إلى الحوت روحه فسرب حتى أفضى إلى البحر ثم سلكه جعل
لا يسلك منه موصلا إلا صار ماء جامدا طريقا يسرا .

قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار : الأول سفر البحر وهو قوله تعالى (ففررت منكم لما خفتكم) الآية . والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى (فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) الآية وقوله تعالى (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن) الآية . والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبدى) والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى لإخبارا عن قول قومه (فاذهب أنت وربك فقاتلا) الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى (لقد أقمنا من سفرنا هذا نصبا) وذلك أنه لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة يتخذ كالحوت ويرجع إلى موضع مطالبه فقال له فتاه وتذكر (رأيت إذا أومنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) أى تركته وفقدته . وقيل فيه اضمار تقديره فإني نسيت أن أذكر أمر الحوت (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) قال عبد الرحمن بن زيد أى شيء أعجب من حوت كان دهرأ من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت .

وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جرى الحوت أخذود شبه نهر حيث دخل إلى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى إلى مجمع البحرين وإذاهو بالخضر فذلك قوله تعالى (قال ذلك ما كنا نبغ) أى لطالب (فارتدا) فارتجما (على آثارهما) الذى جاء منه (قصصا) أى يقصان الأثر (فوجدنا عبدا من عبادنا) يعنى بالخضر عليه السلام .

(فصل في ذكر جهل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بلياً بن ملكان بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وإنما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقى، قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق

قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الأزهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا
معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ
(إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء)

أخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد
الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف
الفرباني قد ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال : إنما سمي الخضر لأنه أتبع
صلي الخضر حوله .

(فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله ﷺ (لما أسرى به إلى السماء بينا هو على البراق وجبريل
يمر به إذ وجد رائحة طيبة ، فقال له يا جبريل ماهذه الرائحة الطيبة ؟ قال إنه كان
ملك في الزمان الأول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره
قال أصحاب الأخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه إلى المؤدب يؤدبه وكان يختلف
إليه وكان منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس
عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن أنه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من
العابد شمائله وعبادته ، فقالوا لأبيه ليس لك ولد غيره يرث ممالكك فلو زوجته
له يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرفض
فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت إليه .

فلما بقيت عنده قال لها إني مخبرك بأمر إن أنت سمعته صرف الله عنك شر
الدنيا وعذاب الآخرة وإن أفشيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة : قالت
وما ذاك ؟ قال إني رجل مسلم است على دين أبي وليست النساء من حاجتي فإن
رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك إليك وإن أنت أبيت
لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لأبيه ما نظن

إلهك إلا عاقر لا يولد له ولد فسأله أبوه فقال ما الذى بيدى وإنما ذلك بيد الله
يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسأها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر .

فكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه إليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه
وأزوجه امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فذكره ذلك الخضر وألح عليه
أبوه حتى رق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولوداً ثيباً فعرض عليها مقالته الأولى
فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم إن أباه استبطأ الولد سنة فدعاه وقال له
ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدى ولا كنهه بيد الله ثم إنه دعا امرأته وقال له
أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست تلدين عند ابنا
فقلت مامسى منذ صحبتك وكذلك المرأة الأولى فدعاهما وسأها ؟ فقالت مثل ذلك
فدعا ابنه وعيره وعنفه ، ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده
فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل
فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فإطلقوا في طلبه فأدرك منهم
عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم إني أقول لكم شيئا واحداً فاكتموه
عني فإن كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أبىتم ذلك
وأفشيتهم سرى عذبكم الله في الدنيا وفي الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبى
في طلبى أحدا غيركم ؟ قالوا نعم ، فقال لهم إذا فاكتموا أمرى ولا تخبروا أبى
أنكم رأيتموني وقولوا مثل قول نظائركم الذين لو أرسلهم في طلبى فلم يروني
لأنكم إن أخبرتموه بي وذهبتم بي إليـه قتلنى وصرتم أنتم مؤخذين بدمى
فدخلوا عني وانصرفوا .

فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا
عنه وقال الماشر ما لنا به علم ومالى به خبر والتسعة قالوا بلى ظفرنا به وإن شئت
أتينا به فقال لهم ارجعوا في طلبه وأتوني به وإن الخضر خاف أن يظفروا به
فأنحاز من ذلك الموضع إلى موضع آخر فأنوا إليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم
نره فقتلهم أبوه .

قال وإن أباه دعا بالمرأة الشيب وقال لها أنت صنعت هذا يا ابني حتى هربت
فقتلها وسمعت المرأة الأولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذي أنكر
رؤيا الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة
الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب ، فقالت يوما باسم الله فسمعها الرجل
الهارب فقال لها من أنت ؟ فأخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوفا
القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت . فقالت نعم ثم إنهما انطلقا حتى
أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذوا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة
أولاد فقال لها الرجل إذا أنا مت فادفينيني في هذا البيت وكذلك كل من مات
منكم فاني لا أحب أن تسكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصي أن يهدم
عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته .

ثم أنه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحّدون الله ويعبدونه فجاء بالمرأة إلى
حضرتة فأمرت أن ترجع عن دينها فأبى فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء وغلى
غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها ، فلما أحضروا قال لها أرجعي عن دينك وإلا
ألقيتك أنت وأولادك في هذا القدر فأبى عليه فأمر بولدها الأكبر فألقى فيه
وكذلك الثاني وكان في خبرها ابن رضيع فأرادوا إلقاءه فرقت المرأة
ونازعتهم في رأيه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فإننا جميعا في الجنة فلما
أرادوا أن يلقوها في القدر قالت لهم لي إليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي . قالت
إذا رميتوني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا
ففعّلوا ذلك فلما أسرى برسول الله ﷺ وجدوا رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل
فأخبرهم بقصتهم وقال هذه رائحتهم .

ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ إن قوما من أهل تلك
المدينة ركبوا البحر في تجاراتهم فضربتهم الأمواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفالت
منهم رجلان على لوح من الأخشاب فضربتهم الأمواج حتى أسندتهم إلى جزيرة من

جزائر البحر فتخرجنا بحرلان بالجزيرة فإذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت إليهما وقال لهما من أنتم؟ قالوا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطالب التجارة قال فأنسكرت بنا هذه السفينة ودفننا إلى هذه الجزيرة فقال اختارا إن شئنا أن تقيما في هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتؤتيكم أرزاقكما وإن شئنا أردكما إلى منزلكما قالوا بل تردنا إلى منازلنا فقال لهما على أن تعطيانى عهد الله وميثاقه على أنكما لا تخبران بشيء مما تريان فاعطياهما العهد والميثاق على السكنان فنظر فإذا سحائب تمر فدعاهن ونسألن فقالت كل واحدة منهن أريد بلك كذا وكذا فدعا التي تريد بلادها فقال لهما اهلي هذين حتى تضعيهما ففسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطحيهما فوزم أحدهما على السكنان ونزل إلى منزله وعزم الآخر على إذا عته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق إلى باب المدينة ونادى بالصيحة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك؟ فقال رأيت ابنك في موضع كذا وكذا وصنع بي كذا .

فقال له من يعلم ذلك فقال له فلان كان رفيقى فبعث إليه وسأله عما قال؟ فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعاً وقد أنسكرت السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم نزل إلا مواجاً نحن بنا حتى صرنا إلى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الأرض والثر ترفعنا الأرض وتضعنا أخرى حتى لاقتوبنا إلى منازلنا فقال له الغادر ابعث معي رسلك حتى أدفعه إليك وتعلم أن هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب إن وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب إن هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلاً فركبوا البحر حتى انتهوا إلى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئاً فرجعوا بالرجل إلى الملك وقالوا هذا أ كذب نخلق الله ما رأينا مما قال شيئاً فصلبته وخلي عن الآخر .

ثم إن أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المماصى حتى غضب الله عليهم فقال جبريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى إليهم فأدخلت جناحى تحتها واقتلعتها فرفعتها

حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتهما فجاءت تهوى
بمن فيها حتى انتهيت إلى وجه الأرض فبقى الرجل المكتوم والمرأة المكتومة من
جانب سالمين ثم انطبقت الأرض بمن فيها فلم ينبج منهم غيرهما فجعل يدوران في
حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل
أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم ولأنه لم يفلت غيري وغيرك فبأى شيء نجونا
فأخبريني وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على المكتمان فتصادقا فادبا
قصتهما واحدة وإنما نجاهما المكتمان ، فقال لاهل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج
إلى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتمكتسبين على حتى يقضى الله
من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا إلى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذ لهما
بيتاً وولداً لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهن
فخطت عندهم .

فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك إذ سقط المشط من يدها فقالت
باسم الله تعس من كفر بالله فقزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله ؟ قالت ربي .
فقالت لها إن لك ربا غير أبي ؟ فقالت نعم هو ربي ورب أبيك ورب كل شيء فمبهطت
الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم أن فلانة تقول قولاً حجباً تقول كذا وكذا
فأرسل إليها فحضرت ، فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك ؟ فقالت ما بلغك قال فهل أحد
يقول بقولك ؟ قالت نعم بعلي وصبيتي فبعث إليهم وامتنعهم فاذا هم يقولون قولاً واحداً
فقال لهم إنا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا إلى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت
صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطررب الماء ثم
دعا بالصبية فعرض عليهم واحداً ليكفروا فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم
في القدر ثم إنه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فالقاء في القدر ثم دعا بالمرأة
وقال لها إن علينا حقاً فإن أنت رجعت إلى ديننا وإلا القيناك في القدر فقالت له
اصنع ما أنت صانع إنها قالت لي إليك حاجة : قال وما هي ، قالت إذا صنعت
ما أنت صانع فرب بيتنا ان يحفر فيه حفرة ، ثم تأمن بالقدر فتكمل بما فيه ثم

بأتون بها منزلا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاود علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك .

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ في حديث أبي كعب أن صاحب موسى ابن عمران الذي أمر بطالبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله ﷺ أعام الخاق بالآهور الماضية والباقية وموسى بن عمران إنما نبى في عصر منو شهر المالك وكان منو شهر المالك مالك بعد جده أفريدون فدل هذا على خطأ من قال أنه أرميا بن خافيا لأن أرميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم .

رجعنا إلى حديث موسى وفتاه - قالوا فانتبى موسى وفتاه إلى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشبع بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارئك السلام ؟ فقال أنا موسى بنى إسرائيل قال نعم قال ياه موسى لقد كان فى بنى إسرائيل شغل قال موسى إن ربي أرساني إليك لأتبعك وأتعلم من علمك ثم جالسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر ياه موسى خطر بيا لك أنك أعام أهل الأرض ما علمك وعلمى وعلم جميع الأولين والآخرين فى جنب علم الله تعالى إلا أقل من الماء الذى حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى (فوجدنا عبدا من عبادنا ربيمة من عندنا) أى تيممه وحكمته (وعلمناه من لدنا علما)

وقال ابن عباس كان الخضر يعلم عام الغيب فقال موسى (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك أن تستطيعن صبرا) لأننى أعام علم الباطن عام علمه الله تعالى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) يعنى على ما لم تعلمه (قال) موسى (ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فإن اتبعتنى فلا تسألننى عن شيء) علمته مما تنكره (حتى أحدث لك منه ذكرا) وأبين لك شأنه (فانطلقا) لثمنان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباهما فقال أصحاب

السفينة هؤلاء اصوص وأمرهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص وليكني أرى وجوههم وجوه أنبياء .

وقال أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ انطلقا يمشيان على ساحل البحر إذا مرت بهما سفينة فسلموههم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نوال فلما دخلوا البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسأ فخرق لوحا من السفينة قال موسى (أخرقتها لتفرق أهلها) وقد حملونا وأحسنوا إلينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا (لقد جئت شيئا لمرأ) أى عجبنا منكراً قال الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) قال موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا) يعنى لا تكفنى ولا تضيق على أمرى .

ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن حنبل الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (كان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا) فقال الخضر لموسى (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) أى فى فراقى .

أخبرنا عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن ابن بشير أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى كعب قال كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم ، رحمة الله علينا وعلى أخى موسى لو لبثت مع صاحبه لأبصر العجب العجيب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية

واختلفوا فى القرية قال ابن عباس ، هى انطاكية وقال محمد بن سيرين هى ايلة وهى أبعد ارض الله من السماء وقيل هى قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة وإليها

ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس ، فاستطاعا أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لثاما وقال قتادة في هذه الآيات شر القرى التى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة فى تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجئوا إلى حائط على شارع الطريق (يريد أن ينقض) أى يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يربيه أهل القرية ولا غيرهم من الناس إلا خوف منه وكان قد بناه رجل صالح .

وقال ابن عباس هدمه وبناء ، وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه يده ومنكبيه فاستقام فقام له موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) ليكون لنا بقوتا وبلغه على سفرنا إذ استضافناهم فلم يضيفونا ، فقال الخضر (هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) ثم أخذ يفسر له فقل (أما السفينة فمساكين يعملون فى البحر) الآية .

ويروى عن عكرمة قال ، قلت لابن عباس فى قوله (أما السفينة فمساكين لمساكين) كانوا مساكين والسفينة تساوى ألف دينار ، فقال إن المسافر مسكين وإن كان معه ألف دينار ولهذا قيل إن المسافر وماله على قلة إلا ما وفى الله تعالى (فأردت أن أعيبها) قطعاً لطمع الطامعين فيها ودفعاً لشرهم (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) ووراءهم أى أمامهم قال الله تعالى (من وراءهم جهنم ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون) أى أمامهم وقيل خلفهم لأنه كان رجوعهم فى طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، وكذلك كان يقرأها ابن عباس فخرقتها وعيبها كيلا يتعرض لها ذلك الملك .

واختلفوا فى اسم ذلك الملك ، فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافراً وقال ابن إسحق ، كان اسمه متواه بن جلندى الأردنى ، وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلاثمائة وستون قصرأ فى كل قصر امرأة ، قال فلما جاوز الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها (وأما الغلام فمساكين

أبواه مؤمنين ، فخشينا) أى فعلنا (أن يرهقهما) يغشاهما (طغيانا وكفراً)
فهللهمما وقيل خشى أن يدرك فيدعو أبويه إلى الكفر فيجيباه ويدخلا معه
في دينه لفرط محبتهم له .

وقيل خشيا على الغلام أن يعمل عمل للفاسق فيتغافل أبواه فيدخلان النار
(فأردنا أن يبدلهم ربهما خيراً منه زكاة) وصلاة (وأقرب رحماً)
(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) واسمهما أصرم وأصرم (وكان
تحتة كنز لهما) .

واختلفوا في ذلك الكنز ما هو ؟ فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان
صحفاً مدفونة تحتة فيها علم ، وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحاً من ذهب
مكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجباً لمن
يوقن بالرزق كيف يتعب ، وعجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجباً لمن يؤمن
بالحساب كيف يجمع وعجباً لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها ، لا إله
إلا الله محمد رسول الله ﷺ)

وقال آخرون كان ذلك الكنز مما لا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الخشادي المكي
أخبرنا أبو الحسن أحمد بن قيدوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان
ابن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد عن مكحول عن أبي
الدرداء قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وكان تحتة كنز لهما) قال كان
ذهباً وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالح تقياً أميناً لحفظاً لصلاح أبيهما
ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظاً به سبعه آباء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي
أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوفة عن محمد بن المنكدر قال (إن الله عز وجل
ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعة التي هو فيها والدويرات التي حوله
فما يزالوا في حفظ الله ، وستره)

وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا رأى ابنه قال : يا بني لازیدن من صلاتي
من أجلك لعل أحفظ فيك ، ويتلو هذه الآية .

[أ] أخبرنا يحيى بن إسماعيل بن سلامة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلفت وذهب
عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة
وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فيبينما أنا نائم ذات ليلة إذا
أنا بباب بيتي يدق في نصف الليل فقلت من هذا ؟ فقالت بحة فقلت أختي ؟ قالت
أختك فقلت لبيك فقامت فتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من
عشرين سنة ، فقلت : يا أختي خيراً فقالت خيراً يا أختي بت الليلة فأتاني آت في
منامي فقال لي السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام ، فقال لي : إن الله قد حفظ
أباك إسماعيل بن سلامة بن كهيل بسلامة جددك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت
دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت ولك الجنة فإن أبا بكر وعمر
رضى الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله تعالى لحب أبيك وجددك إياهما فقلت إن كان
ولا بد من اختياري أحدهما فأصبر على ما أنا فيه والجنة وإن الله لو اسع الفضل
لخلق لا يتعاضده شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي قالت فقل لي قد جمعهما الله لك
ورضى عن أبيك وجددك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلي فإن الله أذهب ما كان بك .

ويحكى عن بعض العلوية أنه دخل على هارون الرشيد وتدهم بقتله فلما دخل
عليه أكرمه ونحلي سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله .

قال قلت : يا من حفظ المكنز على الصديقين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح
أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي (فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجنا
كنزهما) المدفون تحت الجدار (وما فعلته عن أمري) وإنما فعلته بأمر الله تعالى
(ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) :

ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام وإقامته الجدار
محتسباً بجأناً قال له يا موسى أنلو مني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك

حين أقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر ؟ وتلومني على ترك أخذ الأجر في إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شبيب محتسباً لأجل الملك الجبار .

قال بعض أهل الأخبار هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع إلى قومه وهم في التيه ، وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال (ألا أحدثكم عن الخضر ؟) قالوا بلى يا رسول الله قال : بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني إسرائيل إذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك ، فقال آمنت بالله وما يقضى من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه ، فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك . فإني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت علي ؟ فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه إلا أن تأخذ بيدي وتدخلني السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا ؟ قال الحق أقول إنك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبته بخذ بيدي وأدخلني السوق فبيعني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياماً لا يستعمله في شيء فقال له الخضر استعملني فقال إنك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا إلى هناك وكانت الحجارة لا ينقلها إلا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمره الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنات ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر إني أراك أميناً صالحاً ناصحاً فأخلفني في أهلي قال نعم إن شاء الله تعالى فاستعملني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لي لبناً أريده لقصر لي ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره إذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد تعجباً منه وقال له من أنت ؟ قال أنا المملوك الذي كنت اشتريتك فقال له

سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت ؟ فقال الخضر إن هذا القسم هو الذي أوقعتني في العبودية ، أما أنا فـ سأخبرك أنا الخضر سألني سائل بوجه الله ربي أن أعطيه ولم يكن مني شيء أعطيه فأمكنته من نفسه حتى باعني وبلغني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس عليه لحم ولا جلد إلا عظم يتققق . قال فبكى ذلك الرجل وانسكب عليه يقبله ويقول له بأبي أنت وأمي شفقت عليك ولم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي وإن أحببت أن أخلي سبيلك ففعلت قال نعم بل أحب أن نخلي سبيلي لأعبد ربي وكان الرجل كافراً فأسلم على يديه وأعطاه أربع مائة دينار ونخل سبيله فأوحى الله إليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديه وأعطاك مكان كل درهم ديناراً لتعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذه آخر قصة الخضر وموسى وقيادة والله أعلم .

(باب في ذكر قصة حاميل قتيل بني إسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى (وإذا قال موسى لقومه إن الله تعالى يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال المفسرون : وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه حاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي : كان في بني إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث غيره فلما طال عليه حياته قتله ليرثه . وقال بعضهم : كان تحت حاميل ابنة عم ما لها في بني إسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية إلى قرية أخرى فألقاه هناك قال عكرمة : وكان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر إلى باب سبط آخر فاختم فيه السبطان .

وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعوه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختم أهلها وجاء أولياؤه إلى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصص فسألهم موسى عن ذلك فحدوا ولم يكن لهم بيعة فاشتبه أمر القتل على موسى ووقع بينهم قتال

واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً) جئناك لنسألك عن القتل فتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك لتباعد الأمرين والظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي من المستهزئين المؤمنين فلما علم القوم أن ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد ألزمهم سألوه الوصف فقال (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم لكنهم شددوا الأمر على أنفسهم فشدد الله عليهم وإنما كان تشديدهم تقديرًا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلاً في بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من بره أن رجلاً أتاه بلواؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل ورج فقال البائع اعطني ثمن اللواؤة فقال إن أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمراني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك واعطني المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وانتظرنى حتى ينتبه أباي فقال الرجل أنا أدفع عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجبت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهه فقال قبلت ففعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيراً وقال له أحسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله ﷺ في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لأجل البر .

وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتاب كان في بني إسرائيل رجل صالح وله ولد طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة إلى غيضة وقال اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة والغيضة حتى صارت عواناً وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الإبن وكان باراً بوالده وكان يقسم الليل إلى ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأت به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى والدته ثلثه .

قالت له أمه يوماً يا بني إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غريضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق إليها وعزم عليها بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق أن يردّها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يشخيل لك أن شماع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذبة لحسن خلقها وصنائه لونها وصفرتها فأتى الغريضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب أن تردى على فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته أركبني فإن ذلك أهون لك فقال إن أمي لم تأمرني بذلك وإنما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة وإله بني إسرائيل لو ركبته ما كنت تقدر على أبداً فانطلق فإنك لو اشترت إلى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال له أيها الفتى إني راع من رعاة البقر اشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني وحمّلت عليه زادي ومتاعى حتى إذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لأقضى حاجتي ففقدت وسط الجبل وما قدرت عليه ، وإني لأخشى على نفسي الهلكة فإن رأيت أن تحملني على بقرتك هذه وتنجينى من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك ، فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله لو علم الله منك اليقين لبغتك بلا زاد ولا راحلة فقال له إبليس لعنه الله إن شئت فبعنيتها بمكك وإن شئت فأحملني عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى إن أمي لم تأمرني بهذا .

فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ، ففرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال باسم الله إله إبراهيم فرجعت إليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذي طار فإنه إبليس عدو الله اختلسني أما أنه لو ركبني لما قدرت على أبداً فلما دعوت بإله إبراهيم جاءني ملك انتزعني من يد إبليس وردني إليك لبرك بأهلك وطاعتك لها .
فجاء بها الفتى إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فباع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيهما ؟ فقالت

بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي ، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله تعالى إلى الفتى ملكاً ليرى خلقه وقدرته وليختبر الفتى كيف يره بوالدته وكان الله به خبيراً .

فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير واشترط عليه رضا والدتي فقال له الملك أذا أعطيتك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنهما ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق فأتى الملك فقال له استأمرت والدتك ؟ فقال الفتى نعم أمرني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك إني أعطيتك اثنا عشر ديناراً على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت إن ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أنك نقل له أنا أمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك ، فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل ولا تبيعها إلا بملء مسكها دنانير .

فأمسك البقرة وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على يره بوالدته فعلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) وما سمعتها قال موسى أنه يعني الله يقول (إنها بقرة لا قارض ولا بكر) أي لا كبيرة ولا صغيرة غوان بين ذلك نصف بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) من ذبح البقرة ولا تسكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) قال إنه يقول (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) أيها وتمجيدهم من حسناتها وصفاتها لأن العين تسر وتولع بالنظر إلى الشيء الحسن .

وقال علي بن أبي طالب من لبس زعلاً صفراء قل همد لأن الله تعالى يقول : صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أسائبة أم عاملة (إن البقرة تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) إلى وصفها .

قال رسول الله ﷺ (وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت منهم إلى آخر الأبد)
 (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول) مذلة بالعمل (تشير الأرض) تقلبها للزراعة
 (ولا تسقى الحرث مسامة) بريئة من العيوب (لا شية فيها) قال عطاء لا عيب
 فيها ، وقال قتادة لا بياض فيها أصلاً ، وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف
 معظم لونها .

قال فلما قال موسى هذا (قالوا الآن جهت بالحق) أى بالوصف الثابت التام
 البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها إلا عند الفقى البار بأمه فاشتروها منه بماء
 مسكها ذهباً ، وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً (فذبجوها
 وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها) .

وقال القرطبي : وما كادوا يذبجونها باجتماع أوصافها ، وذلك قوله تعالى
 (وإذا قتلتم نفساً) يعنى عاميل وهذه الآية أول القصصة (فأدرأتم فيها) أى
 فاختلأتم فيها (والله مخرج) أى مظهر (ما كنتم تكتمون) أى تخفون (فقلنا
 اضربوه) يعنى القتل (ببعضها) أى بعض البقرة واختلفوا فى بعضها البعض ما هو .

قال ابن عباس ؛ ضربوه بالعظم الذى يلى المضروف وهو المقتل .

قال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل ، وهذا أولى الأقاويل لأن المراد من
 أحياء القتل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بهجبت ذنبها .

قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لأن عجب الذنب أساس البدن
 الذى ركب عليه الخلق وأول ما يخلق الله وآخر ما يبلى .

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة)
(وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) الآية .

أبانا محمد بن حمدويه بإسناده عن وهب بن منبه قال ؛ وأوحى الله إلى موسى أن يتخذ مسجداً لجماعتهم وبيتاً مقدساً للتوراة والتابوت والسكينة وقبائلاً للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها ، وأن تكون تلك الجلود جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمتد بها من أصواف تلك الذبائح وعهد إليه أن لا تزال تلك الجبال حاتض ولا يدمغ تلك الجلود جنب ن وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعاً ويجعل فيها اثني عشر قسماً مسرجاً ؛ فإذا انقضى وصار اثني عشر جزءاً ، جعل على كل جزء بما فيه من العمود سبطاً من أسباط بني إسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبعة قباب ستة منها مشبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منها منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعاً .

وأوحى الله إليه اني منزل عليكم من السماء ناراً لا دخان لها ولا تحرق شيئاً ولا تطفأ أبداً لتأكل القربان المتقبلة وتسرج القناديل التي ببيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللالى وأنواع الجواهر وأمره أن يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له : ان الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تأكل القربان المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصاني بها ؛ وإني قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها .

فدعا هرون لإبنيه وقال لهما ؛ إن الله تعالى قد اصطفى موسى بأمره وأوصاه به وإني قد اصطفاني له وأوصاني به وإني قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد

هرون هم الذين يلبون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنار فشرّبوا ذات ليلة حتى
ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله
عليهم وسخط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى بن هرون يدفعان عنهما النار فلم
يغنيا عنهما من أمر الله شيئاً فأوحى الله تعالى إلى موسى وهكذا أفعل بمن عصاني
من يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعدائي وهذا آخر النصّة والله أعلم .

(باب في ذكر مسير بني إسرائيل إلى الشام حين جاوز البحر)
(وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ
جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الأرض
المقدسة ما هي :

فقال مجاهد هو الطور وما حوله ؛ وقال مقاتل هي إيلياء وبيت المقدس ؛
وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والأرض والبيت المقدس
مقدس بمقداره من السموات والأرض ؛ وقال عكرمة والسدي هي أريحا ؛
وقال السكبي هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن ؛ وقال الضحاك هي الرملة
والأردن وفلسطين ؛ وقال قتادة هي الشام كله .

(فصل في فضل الشام وأهله)

قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ نواف القرآن من الرقاع
إذ قال (طوبى لأهل الشام) قيل يا رسول الله ولم ذلك قال (إن ملائكة
الرحمن باسطة أجنحتهم عليهم) .

عن عبد الله بن خولة قال ؛ كنا عند النبي ﷺ فقال (والله لا يزال هذا
الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير حتى تسكنوها
اجناداً ثلاثة ؛ جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن ، فقلت يا رسول الله اختلني

(
ينسا

سى
بان
أن
لك

ن
ر
أ

ـ

عمل

بان
عاً

بيشاً

من

هر

ون

الله

يل

به

له

إن أدركني ذلك ؛ فقال أختار لك الشام فإنها صفوة الله تعالى من بلاده وإليها
يجتبي صفوته من عباده يا أهل الإسلام عليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض
الشام وكان الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهله .

وقال عبد الله بن مسعود ؛ حدثنا رسول الله ﷺ قال (قسم الله الخيرة عشرة
أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحد في العراق) وقسم الله الشر عشرة
أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحد بالشام .

ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ ونزل حمص تسعمائة من
أصحاب النبي ﷺ فيهم سبعون يدوياً

وقال الكلبي صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه
بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى (يا قوم
ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) يعني كتب الله في اللوح المحفوظ
أنها لكم الساكن ، وقال ابن إسحق وهبها الله لكم مساكن ، وقال السدي أمركم
أن تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى (وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية واختلجوا
فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن بادوراء بن باعر بن أيد بن مارث بن لوط
وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لأن
ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء

وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن إسحق والسدي والكلبي
وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان
من أرض الشام أتى قوم بلعام إلى بلعام وكان عنده لاسم الله الأعظم فقالوا له إن
موسى رجل حديد ومعه جهود كثيرة ولأنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا
ويحلبنا بني إسرائيل ولأننا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت
رجل بحاب الدرة فأقدم إلينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذي قد أرمقنا

فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ؛ ويلكم هذا نبي الله ومعه
الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ولاني إن فعلت
ذلك ذهبت دنيائي وآخرتي - فلم يزالوا حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي ،
وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل
له لا تدع عليهم فقال لقومه ، لاني قد أمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك
فراجعوه فقال حتى أوامر ثانياً فأمر فلم يجب فقال له أمرت فلم يجب لي شيئاً
فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل في المرة الأولى فلم يزالوا يرفقون
به ويناشدونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتن فقالوا لبعضهم اهدوا إليه فيقال
لهم اهدوا إليه هدية فقبلها

ويقال إن بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء
قومه على أن يحملوا شيئاً إلى امرأته وقالوا إنها فقيرة وإنه يصفى إلى رأيها فانطلق
عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة ورقاً فأهدوها
له فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع إلى ربك فاسأله أن يأذن
لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب إليه بشيء
فقالت له إنه قد خيرك في الدعاء عليهم فلم يأذن لنهاك قالوا فركب أنا له
متوجهاً إلى جبل يطعمه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب
العباد الأولين الاتن ؛ فلما سار عليهما غير بعيد ربضت به فنزل عنهما وضربها حتى
أزلفها فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت
فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم
تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها حتى أزلفها فأذن الله تعالى لها في الكلام
حجة عليه فقالت له ؛ ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي ترذني
عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلما سمع ذلك خر
ساجداً فلم يزل باكياً متضرعاً حتى غابت عنه الملائكة

قال مقاتل ؛ إن ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى وإلا قتلتك فقال
لأنه من أهل ديني ولا أدعو عليهم فجاء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على

أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضر بها فقالت له
لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع
فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه وإلا صلبتك فدعا على موسى بالإسم الأعظم أي
لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في النيه بدعائه فقال
موسى يا رب بأي ذنب وقمنا في النيه ؟ قال بدعاء بلعام فقال موسى يا رب كما
سمعت دعاءه على فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الإسم الأعظم والإيمان فسلخه الله
عما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية
وقال عبد الله بن عمرو وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية
ابن أبي الصلت الثقي كانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة
وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول
فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر
فسأل عنهم ف قيل له قتلهم محمد ؛ فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه

فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله ﷺ فسألها عن وفاة أخيها فقالت
بينما هو راقد إذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقام أحدهما عند رجليه
والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى ؟ قال وعى ،
قال أزكا ؟ قال زكا ، قالت فسأله عن ذلك فقال خير أريد بي ؛ ثم قطرت عيناه ،
ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

كل عيش وإن تطاول دهرأ صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في تلال الجبال أرعى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا
ثم قال لها رسول الله ﷺ ما أظييه من شعر سألتك بالله أن تلمدي شعر
أخيك فأنشدته :

لك الحمد والثناء والفضل ربنا فلا شيء أعلى منك جدآ وأجد
ملك على عرش السماء مهيمن لهزته تمنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأشدته حتى أنت على آخرها ثم أنها أشدته قصيدته
نلتى يقول فيها :

عند ذى العرش يعرضون عليه يعلم الجهر والمكلام الخفيا
يوم تأتيه وهو رب رحيم إنه كان وعده مأتيا
يوم تأتيه مثل ما قال فرداً لم ينذر فيه رشداً وغوياً
أسعيد سعادة أنا أرجو أم مهان بما كسبت شقيا
رب إن تعف فالمغافاة ظني أو تعاقب فلم تعاقب برياً
إن أوأخذ بما اجترمت فإني سوف القى من العذاب قويا
فقال ﷺ (أمن شهره وكفر قلبه) فانزل الله تعالى فيه (واتل عليهم نبأ
آتيناه آياتنا) الآية .

قال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي
سماه النبي ﷺ الفاسق ؛ وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة ؛
فقال النبي ﷺ ما هذا الذي جئت به ؟ قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فانا
عليها فقال النبي ﷺ لست عليها ولمكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر
أما والله الكاذب منا في مناظرته طريداً فريداً فخرج إلى الشام وارسل إلى
المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر وآتى
بجند لتخرج محمداً وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى (وارصاداً لمن حارب
الله ورسوله من قبل) يعني انتظاراً لمجيئه فمات في الشام طريداً وحيداً فريداً ؛
وممنهم من قال إنها نزلت في اليسوس ؛ وكان رجلاً قد أعطى ثلاث دعوات
مستجابات ؛ وكان له امرأة وله منها ولد ، فقالت له اجعل لي منها واحدة ،
فقال لك منها دعوة فما تريد ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في
بني إسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم
مثالها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحه فذهب فيها دعوتان
فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت آمنة كلبة نباحه ؛ وان
الباس يعيروننا بها فادع الله أن يردها إلى الحالة التي كانت عليها فدعا الله فصارت
كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها .

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم)
(حين بعثه إياهم إلى أرض كنعان جواسيس له ولقومه)

قال الله تعالى (ولقد اخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً)
الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه قومه الأرض المقدسة وهي الشام
وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العماقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام
ابن نوح ووعد الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن لبني إسرائيل فلما
مرت ببني إسرائيل الدار أمرهم الله بالمسير إلى أريحا من أرض الشام وهي
المقدسة فقال يا موسى إني قد كتبتها لك داراً وقراراً فاخرج إليها
فمن العدو فإني ناصركم عليهم فتخذ من قومك اثنا عشر رجلاً من
أهلهم يكون كفلاء على قومهم بالوفاء بما أمروا به فاختر موسى من كل
سبيبة وأمره عليهم وهذه أسماءهم من سبط روبيل شمعون بن ذكور ومن
سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ومن سبط جاد
ابن يوسف ومن سبط ريبون حدي بن سوري ومن سبط اشير شايون بن
مليكيك ومن سبط يافا حي بن وقسي ومن سبط دان حمل بن وكييل بن خمل
ومن سبط لاوي حولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرايم ومن سبط افرايم
يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميسا حي بن موسى ومن سبط
بنيامين ناظم بن زقون .

ثم إنه سار ببني إسرائيل قاصداً أريحا فبعث إليها هؤلاء النقباء يتجسسون
الأخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقى منهم رجلاً من الجبارين يقال له عوج
ابن عفي .

(فصل في ذكر أخبار جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرون ألف ذراع والمائة والمائة
وثلاثين ذراعاً بالذراع الأول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ؛
ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بهين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله

ويروى أنه أنى نوحاً في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينةك فقال
له اذهب يا عدو الله فإنني لم أؤمر بك فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل ؛
وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان
لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقدر منه
صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقتها عليهم فبعث الله عليه الهدم ومعه الطيور
فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقت فوقت في عنق عوج بن عنق
فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع
وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه إلا كعبه وهو مصروع في الأرض
فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل
وقع على نيل مصر فحسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي إحدى بنات آدم من
صلبه ويقال إنها كانت أول من بغى على وجه الأرض وكان كل أصبع من أصابعها
طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان
موضع مقعدها خربة من الأرض ولما بلغت بعث الله إليها أسوداً كالفيلة وذئاباً
ونموراً كالإبل ونسوراً كالخمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها

قال تعالى (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين) الآية قال قتادة كان لهم
اجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله (وإنا لندخلها حتى يخرجوا منها فإن
يخرجوا منها فإننا داخلون) قال موسى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله
لكم فإن الله سيفتحها عليكم وإن الذي أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر

هو الذي يبلغكم ويظهركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمرق وهموا بالانصراف إلى مصر فتخرج يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهما اللذان أخبر عنهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنهم الله عليهم) بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) يعنى باب مدينة الجبارين فإذا دخلتموه فإنكم غالبون لأن الله منجز وعده فإننا رأيناهم وخبرناهم فكيف كانت جسامهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فأراد بنو إسرائيل أن يرموها بالحجارة وعصوها وقالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وروى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت إلى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك

فقال المقداد بن الأسود السكندري إنا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا لقماعدون وليكننا نقول إنا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلواناه ولو ذهبت بنا إلى برك العماد يعنى مدينة بالحديثة لتبعناك فلما سمع أصحاب النبی ﷺ تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبی ﷺ

قال ابن عباس لأن أكون صاحب هذا المشهد أحب إلى من الدنيا وما فيها قال فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال (رب إني لأملك إلا نفسي وإخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أى العصاة وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب فيه موسى وأوحى الله تعالى إلى موسى (إلى متى يعصيني هذا الشعب وإلى متى لا يصدقون بهذه الآيات لأهلكهم جميعاً ولا جعل لك شعباً اقوى وأكبر منهم) فقال موسى ؛ إلهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الأمم الذين سمعوا ذلك إنما قتلت هذا الشعب من أجل أنه لم

يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقلهم في البرية وإنك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء من الأبناء وأبناء الأبناء فاغفر لهم ولا توبقهم .

(استجاب الله لموسى وغفر لهم)

فقال الله تعالى لموسى (لى غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم ؛ حلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولآتينهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التى تحبسوا فيها سنة) وكانت أربعين يوماً وليأتينهم حتفهم فى هذه القفار .

وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة .

فذلك قوله تعالى (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض) متعيرين (فلا تأس على القوم الفاسقين) .

فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشى من ذرايرهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم .

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في النية وخصمهم بذلك)
(ورفع عنهم الهلاك كرامة لنيته وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) الآية كقوله
تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) والعد لا يقع على الواحد (التي أنعمت
عليكم) أي على أجدادكم وأسلافكم .

وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم النوراة فيها بيان كل شيء
يحتاجون إليه وأعطاهم ما أعطاهم في النية وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا
وأخرجتنا من العمران والبنيان إلى مفازة لا ظل فيها ولا كون فأنزل الله تعالى
عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فأظلمتهم
وكانت تسير بسيرهم إذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم إذا نزلوا وذلك قوله
تعالى (وظلمنا عليهم الغمام) يعني في النية يقيكم سحر الشمس ومنها أنه جعل لهم
عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر ، فقالوا هذا الظل والنور
قد حصل فأين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن .

واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الأشجار وطعمه كالشهد
وقال الضحاك هو البر يختبر ، وقال وهب هو الخير الرقاق ، وقال السدي كان غسل
يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه ، وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل
الربو الغليظ ، وقال الزجاجي المن ما يمن الله به بما لا تعب فيه ولا نصب ،
وقال النب ﷺ (الكرامة من المن وماؤها شفاء للعين) .

قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الأشجار مثل الثلج لكل إنسان
منهم صاع كل ليلة .

فقالوا يا موسى قتلنا هذا المني بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا
موسى فأنزل الله عليهم السلوى .

واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمان .

وقال أبو العالقة ومقاتل هو طير أحمر بعشه الله عليهم فأمطر به السماء في عرض
ميل وقدر ربح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك ، وقيل
إنه كان طيراً مثل فراخ الحمام طيباً سميناً قد تمتع ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي
به إليهم فيصباحون وهو في معسكرهم .

وقيل إنه كان يأتينهم فيستمرسل إليهم فيأخذونه بأيديهم ، وقال عكرمة هو طير
يكون بالهند أكبر من المصفور ، وقال الماورخ هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم
وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها
فكان الله ينزل عليهم المني والسلوى ، وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته
فإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل عليهم يوم
السبت فذلك قوله تعالى (وأنزل عليكم المني والسلوى كلوا) أي قلنا لهم كلوا من
طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد نخبأوا لغد ففدود وفسد ما أدخروا
وقطع الله عنهم ذلك .

قال الله تعالى (وما ظلمونا) أي أضرونا بالمعصية ومخالفة الأمر (ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون) باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل
عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعه في العقب .
أخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا محمد بن الأزهر قال
حدثنا روج بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن جلاس بن عمر عن أبي هريرة
قال قال رسول الله ﷺ (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا
حواء لم تخن أنثى زوجها) ومنها أنهم عطشوا في الزينة فقال يا موسى من أين
نشرب ؟ فاستسقى لهم موسى فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر فقالوا

كيف بنا إذا مضينا إلى الرمل وإلى الأرض التي ليس فيها حجارة فأمر موسى أن يحمل معه حجراً فحينما نزل ألقاه .

وقال آخرون : كان حجراً مخصوصاً بعينه ، والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الآف واللام للتعريف والتخصيص كقوله : رأيت الرجل .

ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو ؟ فقال ابن عباس كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فحمله فكان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء أخرجه وضربه بعصاه فیتفجر عيوناً كما ذكرنا فسقام .

وقال سعيد بن جبیر هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه ، فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى أن الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا) الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدی بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراًة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره موسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه بنو إسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة والله إن أثر ضرب موسى بالحجر سنة أو سبعة .

قال عبد الميز المكناني كان موسى ضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ثدي المرأة ، ثم يتفجر بالأنهار المطرودة فذلك وله تعالى « فأنفجرت منه اثنتا عشر عينا » .

ومنها أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الأيام ومرور الأعوام إلا جلد وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتموا على صديانهم كما تنموا فكشوا على ذلك زماناً طويلاً والله أعلم .

(باب فتح أريحا ونزول بني إسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم
نما فتح أريحا موسى بن يوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى إليهم بمن
من بني إسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين
الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني إسرائيل فقام فيها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه
له تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الأقاويل بالصدق وأقربها إلى
الحق لإجماع العلماء بأخبار الأنبياء .

أن عوج بن عنق قتله موسى ، وقال آخرون : ما قاتل الجبارين إلا يوشع
بن نون ولم يسر إليهم بعد موت موسى وهلاك من كان أبي المسير إليها
قالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه .

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : إني متوف
هرون فأت جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل وإذا هما
بشجرة لم ير مثلها وببيت مبنى وفيه سريراً عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر
هرون إلى ذلك أعجبه وقال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير فقال نعم
عليه فقال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي فقال موسى لا تخف أنا
كفنيك رب هذا البيت فثم فقال يا موسى نعم فإني جاء رب هذا البيت غضب
علينا جميعاً فنام موسى وأخذ هرون الموت .

وقال عمرو بن ميمون : مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى
وكان خرجا في التيه إلى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف إلى بني إسرائيل
فقال أين هرون ؟ قال مات قالوا كذبت ولكذك قتلتنا لحبنا إياه وكان محبباً في
بني إسرائيل فتضرع موسى إلى ربه وشكا إلى ربه ما لقي من بني إسرائيل .
فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإني باعثه حتى يخبرهم أنه مات ولم
تقتله فانطلق بهم إلى قبر هرون فناداه يا هرون نخرج من قبره ينفض التراب عن
رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فماد وانصرفوا والله أعلم .

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن إسحاق : كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد أن يحبب إليه الموت ويكره إليه الحياة ، وكان يوشع بن نون يغدو إليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصبح بك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره ولا يذكر له شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت .

قال الأستاذ بإسناده : حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهباً يقول : وذكر من كرامة موسى عليه السلام أنه ضاق ببني إسرائيل ذرعاً لما كثروا عليه فبعث الله إليه ألف ملك يَكُونُونَ أعواناً له ، فلما مال الناس إليهم وجد موسى في نفسه خيرة فأماهم الله لكرامته في يوم واحد .

واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام .

حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بإسناده عن أبي عن رسول الله ﷺ قال : جاء ملك الموت إلى موسى فقال له أجب ربك فاطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت إلى الله عز وجل فقال يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وفقاً عيني فرد الله عينه وقال ارجع إلى عبدي وقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعر فأنك تعيش بعدد كل شجرة من ذلك سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت ، قال فالآن من قريب قال يا رب فادفني من الأرض المقدسة رمية حجر .

قال رسول الله ﷺ . لو كنت عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند المشيب الأخر .

قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول : سمعت أبا حامد الشرقي يقول : سمعت
عبد بن يحيى يقول قد صحح هذا عن رسول الله ﷺ يعني قصة ملك الموت وموسى
عليه السلام لا يردّها إلا كل مبتدع ضال .

وفي حديث آخر : أن رسول الله ﷺ قال : أن ملك الموت كان يأتي الناس
معيلاً حتى أتى موسى ليقبضه فاطممه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خيفة .
ويروى أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال : كيف وجدت الموت
يا نبي الله ؟ قال : كشاة تسليخ وهي في الحياة .

ويروى أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى
ابن عمران فمن الذي يطعم في البقاء ، وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة وعشرون
هاتها في ملك أفريدون ومائة سنة في ملك منو جهر .

قال الاستاذ : رجعنا إلى قصة حرب أريحاء وخبر الفتح ، قال : فلما انقضت
أريبعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي الله وأن
الله قد أمره بقتل الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه بني إسرائيل إلى أريحاء
ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر ،

فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط
سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عايهم وجعلوا يقتلونهم
فكانت العصاة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها ولا يقطعونها

وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة
الجمعة فخشى يوشع أن يعجزوه فقال : اللهم اردد الشمس علي ، أو أنه قال للشمس
إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى
ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة
واحدة حتى قتلهم أجمعين .

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن حامد الأصمفاني بإسناده عن عروة بن عبد الله قال : دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فرأيت في عنقها خرزاً ، ورأيت في يدها مسكيتين غليظتين وهي عجوز كبيرة ، فقلت لها ما هذا ؟ فقالت إنه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل .

ثم حدثني أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله إليه فجعله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم إن نبي الله سرى عنه فقال : أصليت يا علي ؟ قال لا ، فقال النبي ﷺ اللهم اردد عليه الشمس ، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ غزا نبي من الأنبياء فقال القوم : لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع أمرة وهو يريد أن يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتاً ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقالت الشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه .

قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال إن فيكم غولاً فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غلّتم .

قالت : فأخرجوا مثل رأس البقره من ذهب فالقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فأكلتها .

قال النبي ﷺ (لم تحمل الغنائم لأحد قبلنا ، وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا) .

قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحا متواضعين مستغفرين خائفين رءوسهم
وذلك قوله تعالى (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً
وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة) وكان لهم سبعة أبواب سجداً أى منجنيين
متواضعين وقولوا حطة أى حط عنا خطايانا .

قال وهب : إنهم أذنبوا بآبائهم وكان توبتهم إذا أذنبوا دخلوا أريحا
فلما فصلوا من التيه أحب الله أن يستغفرهم من الخطيئة .

قال ابن عباس حطوة قول لا إله إلا الله سميت بذلك لأنها تحط الذنوب
(فغفر لكم خطاياكم وسيزيد المحسنين إحساناً . فبدل الذين ظلموا قولاً غير
الذي قيل لهم : وذلك أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا خطأ سميئاً يعنى
حنطة حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى : فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء)
أى عذاباً من السماء بما كانوا يفسقون .

وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعوناً وظلماً فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة
واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم :

قالوا فلما استقرت بنو إسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع
ودفن في جبل اقرايم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتديره أمم بني إسرائيل
بعد موت موسى سبعاً وعشرين سنة .

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمر بني إسرائيل)
(بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الماضين وأمر الأمم السالفة لما حضرت الوفاة
يوشع بن نون استخاف على بني إسرائيل كالب بن يوقنا .

قال الله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) فأحسن الخلقة
حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني إسرائيل لابنه يوساقوس .
وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء
وكانوا يفتنون به ؛ وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون إليه ويقولون له :
أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكثروا خاف
الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدرى
فصار مجدوراً ملوجاً فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله إليه والله أعلم .

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب ولابنه بعث
الله تعالى حزقيل إلى بني إسرائيل نبياً ؛ وهو حزقيل بن بوري ؛ ويلقب بابن
العجوز ؛ وإنما لقب بابن العجوز لأن أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز
وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها ؛ وهو الذي أحيا الله تعالى به
القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى به
موتهم بدعوته في قوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت) الآية .

قال أكبر المفسرين : كانت قرية يقال لها (داوردان) قرية قبل واسط
وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون ؛ وبقيت طائفة فهلك

أكثر من بقى في القرية وسلم الذين خرجوا ؛ فلما رجع الطاعون رجعوا
سالمين ، فقال الذين بقوا : إن أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا
لبقينا ولأن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها فوقع
الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح فلما نزلوا
المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة إذا هم بملك من أسفل الوادى وآخر من
أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعاً .

وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا سمعتم
بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه .

وقال الضحاك ومقاتل والكلبي : إنما فر هؤلاء من الجهاد ؛ وذلك أن
ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا
فمسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم : إن في الأرض
التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها ؛ فأرسل الله عليهم الموت ؛
فلما رأوا الموت قد كثرت فيهم فخرجوا من ديارهم فراراً من الموت ،
فلما رأى الملك ذلك قال : اللهم رب يعقوب وإله موسى ؛ قد ترى معصية
عبادك ؛ فأراهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك
وقضاءك .

فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعاً وماتت دوابهم كموتهم مواته
فجعل واحد فما أتى عليهم إلا ثلاثة أيام حتى انفجروا وأروحو وأروحت أجسادهم
فخرج إليهم الناس فمجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
وتركوهم فيها واختلجوا في مبلغ مددهم .

فقال عطاء الخراساني : كانوا ثلاثة آلاف ، وقال ابن عباس ووهب
كانوا أربعة آلاف .

وقال مقاتل والكلبي : ثمانية آلاف .

وقال أبو روق : عشرة آلاف .

وقال أبو مالك . ثلاثين ألفاً .

وقال السدي : بضعا وثلاثين ألفاً .

وقال ابن جريج : أربعين ألفاً .

وقال عطاء بن أبي رباح : سبعين ألفاً .

وقال فأنى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت
أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكراً متعجباً
فأوحى الله تعالى إليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى ؟ قال نعم
يارب فأحياهم الله جميعاً .

وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحبوا سبحانه اللهم
ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت فرجموا إلى قومهم وتناسوا بعد ما أحياهم الله
وعاشوا دهرآ لا يعرفون أبهم كانوا موتى سخنة الموت على وجوههم لا يلبسون
وبأ إلا عادوا رميا مثل السكفن حتى ماتوا لأجلهم التي كتب الله لهم .

قال ابن عباس : فإنه لا يوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الرياح .

قال قتادة : مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فأماهم الله عقوبة لهم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد وقال (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) .

(باب في قصة إيلياس عليه السلام)

قال الله تعالى (وإن إيلياس لمن المرسلين) إلى آخر القصة .

قال ابن إسحق والعلماء من أصحاب الأخبار : لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم نبياً وهو إيلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وإنما كانت الأنبياء بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا وضيّعوا من أحكام التوراة وبني إسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها هم سبط إيلياس فبعث الله تعالى إليهم نبياً وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعاً وكان له أربعة وجوه

وقال ابن إسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل إلا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى (إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين)

قال فجعل إيلياس يدعوهم إلى الله ولا يطيعونه ولا يجيبونه إلى ذلك إلا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان بعلبك فإنه آمن به وصدقه : وكان إيلياس يقوم أمره ويسدده ويرشده ، وكان لاجب امرأة يقال لها أربيل

وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء ، وتقضى بين الناس وكانت قتالة للأنبياء وكان لها كاتب رجل حكيم يكتب لإيمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بهت سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الأرض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بني إسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتياال وكانت معمرة ويقال إنها ولدت سبعين ولداً

قال وكان لا يجب هذا جار من بني إسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنية يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنية إلى جانب قصر الملك وامراته وكان يشرفان على تلك الجنية ويتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقبلان فيها حيناً وكان لا يجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامراته أربيل تحسده على ذلك لأجل تلك الجنية وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنية من حسنها ويقولون ما أخرى أن تكون هذه الجنية لأهل القصر ويتمجبون من أمر الملك وامراته كيف لم يغضبها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد إليه سبيلاً ثم إنه اتفق خروجه الملك إلى سفر بعيد فلمسا طالت غيبته اغتمت امراته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تريد مقبل على عبادة ربه وإصلاح معيشته فجمعت أربيل جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور أنه يسب الملك لا يجب فأجابوها إلى ما سألنهم من الشهادة بالزور

وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل إن قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا أنك شتمت الملك واغتبته فأمر مزدكى ذلك فأقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنيته غصباً فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح

فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا وفقت ولا أرى
أنا نفع بعد هذا أبداً وإنا كنا على جنينته لا غنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا
وتحرم بنا منذ زمن طويل فأحسننا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا
فقبضت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه إلا سفهك وسوء رأيك وقلة
تفكيرك في العواقب

فقالت إنما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان يسمع حملك وعظيم
خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقال قد كان ما كان
فبعث الله تعالى إلياس عليه السلام إلى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله
تعالى قد غضب عليه لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظالماً

وقد آل على نفسه أنهما لم يتوبا من صنعهما ويرد الجنينة على ورثة مزدكي
ولا يهلكهما يعني لاجب وامرأته في جوف الجنينة أشد ما يكون يسفك دمه ما ثم
يدعهما جيفتين ملقاتين حتى تتعري عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعا إلا قليلاً

قال فجاء إلياس وأخبر الملك بما أوحى إليه في أمره وأمر امرأته والجنينة
فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا إلياس والله ما أرى ما تدعونا
إليه إلا باطلاً والله ما أرى فلاناً وفلاناً وسمى ملوكاً منهم عبدوا الأوثان
إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون بملكهم ما ينتص من
دنياههم ولا من أمرهم الذي تزعم أنه باطل شيء وما ترى لكم علينا من فضل
قال ثم هم يتعذب إلياس وقتله قال فلما سمع إلياس ذلك وأحس بالشر ففضه
ونخرج عنه فالحق بشواحق الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل فأوثق إلياس إلى
أصعب جبل وأشمخه فدخل مغاراً فيقال إنه بقي فيه سبع سنين شريداً وحيداً
فريداً خائفاً يأوي إلى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر
وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويحتشدون في أخذه والله
تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه الألاء

فلما تم له سميع سنين أذن الله تعالى في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم
فأمرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده إليه وأعزهم عليه
وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا بعلم فعظموه
حتى إنهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعليك وجعلوا له أربعمئة سادن فوكلوهم
به وجعلوهم أمناء وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم ويكلمهم بأنواع
الكلام والأربعمئة يصغون بأذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة
من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الأنبياء فلما اشتد مرض
ابن الملك طالب الملك أن يشفعوا له إلى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية
فدعوه له فلم يجيبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه
الولوج في جوفه ولا الكلام وهم يحتشدون في التضرع إليه والمريض لا يزداد
بذلك إلا ألماً وجهداً

فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك إن في ناحية الشام آلهة أخرى
وهي في العظم مثل إلهك فابعث إليهم الأنبياء يشفعون لك إليهم فاعلموا أن تشفع
لك إلى بعل فإنه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى
مرض ابنك فقال لاجب لاى شيء غضب على وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم
أسخطه ساعة قط

قالوا من أجل أنك تقتل إلياس وفرط فيه حتى نجا سالماً وهو كافر
بإلهك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك

قال لاجب وكيف لي أن أقتله في يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع
ابنى وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصدوه فلو عوفي لابنى تفرغت
لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح إلهى منه وأرضيه
قال ثم إنه بعث لأربعمئة نبي إلى الآلهة التى بالشام يسألوها أن تشفع لصنم
الملك ليشفى ابنه فانطلقوا إلى الأصنام فكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان من

الولوج في الأصنام ولم تكلمهم فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك . فقال الملك وكيف لي أن أقتل إلياس في هذا اليوم . قال فخرج أربعائة حتى إذا كانوا بجبل الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله إليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فإنني سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب في قلوبهم فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله أرسلني إليكم وإني من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها أصحابكم ارجعوا إليه وقولوا له إن الله تعالى يقول لك أنت تعلم يا لاجب إنني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يمكن أن يكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت وإن آليت باسمي لاغيظنك في ابنك ولا ميتته من فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يمكنك لهم شيئاً دوني .

فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعباً فلما صاروا إلى الملك ووصلوا إليه قالوا له ما قال لهم إلياس وأخبروه بأن إلياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمط شعره ويابس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال قاستوقفنا . فلما وقفنا صار معنا فقذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير . وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه وملاً أعياننا منه حتى رجعنا إليك .

ثم لأنهم قصوا عليه كلام إلياس فقال لاجب لا أنتفع بالحياة مادام إلياس حياً ما الذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به . وأنتم تعلمون أنه طلبني وعدوى ؟ وقالوا قد أخبرناك بالذي منعنا عنه ومن كلامه هو البطش به .

فقال لاجب إذا ما نطبق إلياس إلا بالمكر والخديعة فقبض له خمسين رجلاً من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتياط عليه وأن يطعموه بأنهم قد آمنوا به ومن وراءهم ليظمت إليهم ويفتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه إلياس عليه السلام ثم أنهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فإننا قد آمننا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرءون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمننا بك وأجبناك إلى ما دعوتنا إليه فلم إلينا فأنت نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا وأحكم بيننا فإننا نثقك إلى ما تأمرنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسمعك أن تتخلف عنا بعد إيماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع إلينا وكل هذا مكرأ منهم وخديعة .

فلما سمع إلياس مقالاتهم وقع في قلبه إيمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه إن هو لم يظهر إليهم يجيبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز إليهم رجع إلى نفسه وقال لو إنى دعوت الله تعالى فسأله أن يعلفى ما فى نفوسهم ويظلمنى على حقيقة أمرهم .

وكان ذلك إلهاماً من الله تعالى وتوفيقاً له فقال اللهم إن كانوا صادقين فليقولوا فائذن لى فى البروز إليهم وإن كانوا كاذبين فاكفينهم وارمهم بنار تحرقهم جميعاً فما استقم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فأحرقوا جميعاً .

قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتد عن ضمير السوء واحتال ثانياً فى أمر إلياس فقبض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فأنبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله إنه نعوذ بالله وبك من غضب الله وسخطه إنا لسنا كالكاذبين أتوك قبلنا أولئك فرقة بافقوا وخالفوا .

فصاروا إليك لمذكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد
كفناك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانقم لنا ولك منهم .

فلما سمع إلياس مقاتلتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمر الله عليهم نارا
فأحرقوا جميعاً عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من
وجهه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه إلياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخف
عنه من عذابه .

فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غيظاً إلى غيظه وأزاد ان يخرج في
طلب إلياس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض لابنه فوجه نحو إلياس الكاتب
الأمون الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس إليه فينزل معه وأظهر الكاتب أنه
لا يريد بإلياس سوءاً ولا مكروها وإنما أظهر له ذلك لما طلع عليه من إيمانه .

وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مفضباً عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة
والحكمة وسداد الرأي والبصيرة بالأمور .

فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك
وأن لا يجب إن أخبرته رسلك إنك لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه فإنه
يقتله ويعرف أنه قد داهن في أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فإن الطلاق
معه عذرة وبراءته عند لا يجب وإن شغله عنك وأضاعف على ابنه البلاء حتى
لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فإذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده
قال فانطلق إلياس معهم حتى قدموا على لا يجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه
الوجع وأخذ الموت بكظمه فشغل الله بذلك لا يجب وأصحابه عن إلياس ورجع
إلياس سالماً إلى مكانه .

فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره قد جزعه انتبه لإلياس وسأل عنه
المكاتب المؤمن الذي جاء فقال له ليس لي به علم وذلك أنه قد شغلني عنه موت
ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه فأطرق عنه لاجب
وترد لما كان به من الحزن على ابنه .

فلما طال الأمر على إلياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق إلى
العمران والناس فنزل من الجبل والطلاق حتى نزل بأمرأة من بني إسرائيل وهي
أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود
رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه
كرامة تقدر عليها .

قال ثم إن إلياس عليه السلام سم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال وأوحشها
فأحب اللحوق في الجبال فعاد إلى مكانه في الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها
فقدته ثم لم يلبث إلا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعاظمت مصيبتها
نخرجت في طلب إلياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته
فسلمت عليه وقالت له إني فجعت بعدك بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد
لفقدته بلائى وليس لي ولد غيره فأرحمى وادع ربك تعالى أن يحيى لي ابنى ويجهز
مصيبتى فإنى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد خفيت مكانه .

فقال لها إلياس عليه السلام ليس هذا بما أمرت به وإنما أنا عبد مأمور أعمل
بما أمرنى ربه ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعمطف الله قلب إلياس
عليها فقال لها وهى مات ابنك ؟ فقالت منذ سبعة أيام .

فانطلق إلياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى إلى منزلها فوجد
ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوماً فتوضأ إلياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس
ابن متى فلما عاش وجلس وثب إلياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضعه

قال ، فلما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك ذرعاً وأجهد به البلاء فأوحى الله إليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور بجهود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه أأنت أميى على وحي وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعظمك فإنى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم .

قال إلياس عليه السلام : تميمنى وتلمحنى بأبائى فإنى قد مللت بنى إسرائيل وملونى وأبغضتهم فيك وأبغضونى ، فأوحى الله إليه يا إلياس ما هذا اليوم الذى عرى منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحتها بك وأشباهك ولكن سألنى أعطك قال إلياس : فإن لم تمتنى يا إلهى فأعطى ثارى من بنى إسرائيل .

فأوحى الله تعالى إليه فأى شيء تريد أن أعطيك يا إلياس قال يمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة إلا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتى فإنهم لا يذلم إلا ذلك قال الله تعالى يا إلياس أنا أرحم بعبادى من ذلك وإن كانوا ظالمين قال فست سبع سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين قال فأربع سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين ولكن أعطيك ثارك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشر عليهم سحابة إلا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة إلا بشفاعتك قال إلياس فأى شيء أعيش ؟

قال أسخر لك جيشاً من الطير تنقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التى لم تقحط قال إلياس قد رضيت فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشى والدواب والحوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً وإلياس على حاله مختلف من قومه بموضع يذساق له فيه الرزق ويأنيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه ؟ فمكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل إلياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شراً .

قال ابن عباس ، أصاب بني إسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فرأى إلياس
يعرجون فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته
شيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت
جراهما دقيقاً وملأت خوابيهما زيتاً فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عندما قالوا لها
من أين لك هذا ؟ قالت مرني رجل من حالة كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه
وقالوا لها ذلك إلياس ثم إنهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم إلى الجبال والله أعلم .

(قصة اليسع عليه السلام)

ويروى إن إلياس أتى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يسمى اليسع
ابن أخطوب وكان به ضر فمآرتة وأخفت أسرته فدعا له فعوفي من الضر الذي كان
فيه واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقته ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب .

وكان إلياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاماً شاباً ثم إن الله تعالى أوحى إلى
إلياس عليه السلام إنك أهلك كثير من الخلق ممن لم يصوني سوى بني
إسرائيل من البهائم والدواب والحوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني
إسرائيل فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال يارب دعني أكون الذي أدعهم
وآتيهم بالفرج بما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلمهم يرجعون عما هم عليه من
عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء إلياس إلى بني إسرائيل وقال لهم ويلاكم إنكم قد
هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والشجر والنبات بحبس
المطر عنكم بخطاياكم ولأنكم على باطل وغرور فإن كنتم تحبون أن تعلموا أن
أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تنفي عنكم شيئاً فاخرجوا بأصنامكم هذه فإن
استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل وغرور فزعتم
عندما ودعوت الله تعالى أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنهضت فخرجوا
ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء .

فقالوا يا الياس إنا هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ووجهه ليسع عليهم
السلام بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم
ينظرون إليها فأقبلت نحوهم وطبقت عليهم الأفق ثم أرسل الله عليهم المطر
فأغاثتهم وأحيت بلادهم .

قالوا فشكروا إلى الياس هدم الجدران وعدم البذر ، وقالوا ليست لنا حبوب .
فاوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بأن يبذروا الرمل فأبى الله لهم منه الدخن فلما
كشف الله تعالى عنهم الخمر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن
ضلالهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه .

فلما رأى الياس ذلك دعا ربه أن يريحه منهم فقبل له انتظار يوم كذا وكذا
فاخرج لي موضع كذا كذا فإذا جاءك شيء فاركبه ولا تنبهه فخرج الياس ووجهه
اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالموضع الذي أمر بالخروج إليه أقبل فرس من
نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس
ما تأمرني به فقدف إليه كساءه من الجو الأعلى فمكّن ذلك علامة على استخلاف
إياه على بني إسرائيل وذهب الياس وكان ذلك آخر العهد به .

ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبياً ورسولاً إلى بني إسرائيل
وكانوا يعظمونه وينتهون إلى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن
فارقهم اليسع .

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال
إن الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببית المقدس ويوافيان
الموسم في كل عام .

وأخبرني ابن فتحويه عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشى بالأردن عند
نصف النهار فرأى رجلاً فقال يا عبد الله من أنت ؟ فقال أنا إلياس قال فوقعت

على رعدة شديدة فقلت له ادع الله أن يرفع عنى ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال قد دعا لي بثمان دعوات وهن : يا بر يا رحيم يا منان يا حنان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسرانية لم أفهمهما - وقيل هما باهيا شراهما فرفع الله عنى ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى إليك اليوم ؟ فقال منذ بعث محمد ﷺ رسولاً فإنه لا يوحى إلى ، قال فقلت له كم من الأنبياء اليوم أحياء ؟ قال أربعة إثنان في الأرض وإثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وإدريس عليهما السلام - وأما اللذان في الأرض فالناس والخضر عليهما السلام .

قلت كم الأبدال ؟ قال ستون رجلاً خمسون منهم من لدن عرش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلان بالصبيصة ورجلان بمسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واحداً منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاد وبهم يطرون فقلت فالخضر أين يكون ؟ قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما ؟ قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره .

قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فلما تقول في مروان ابن الحكم ؟ قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت : فإنى قد شهدت ولم أطمع برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام أنت أدعو إلى مثله أبدأ قال أحسنت ففهمكمكذا تكون .

قال فبينما أنا وإياه قاعدان إذا وضع بين يديه رغيمان أشد بياضاً من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفاً وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فمأيت أحدا وضعه ورأيت أحدا رفعه ، قال وله ناقة ترعى في وادي الأردن ترفع رأسه إليها فلما دعاها جاءت ويركت بين يديه فركبها فقلت له إنى أريد أن

أصبحك قال وإني لا تقدر على صحبتي قال فقلت له إني خلوا لزوجتي ولا عيال .
قال تزوج وإياك والنساء الأربع الناضرة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج .
مابدا لك من النساء قال فقلت إني أحب أن ألقاك قال فإذا رأيته فقد لقيتني إني
أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري .
كيف ذهب وهذه آخر القصة .

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين) قال بجاهد
لما كبر اليسع قال : لو إني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى
أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتمكف لي بثلاث استخلفته يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يغضب ، فقام إليه رجل شاب تزدرية الهيون فقال أنا فرده
ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال : أنا
أعمل ذلك فاستخلفه .

قال فلما رأى إبليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال
دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائه وكان لا ينام
بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق إبليس الباب فقال من هذا ؟ فقال شيخ كبير
مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول أنا بيني وبين قومي خصومة
وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهب
للقائلة فقال له إذا رحت فإني آخذ لك بحقك فانطلق وراح إلى مجلسه فلما جلس
جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه .

فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع إلى القائلة وأخذ
مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا ؟ فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له ؛ وقال
لم أقل لك إذا قعدت فأتني فقال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا إنك قاعد يقولون
نحن نعطيك حقتك وإذا قتت جحدوني قال فانطلق فإذا رحت فأتني وفانته القائلة

فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه الناس فقال ابعض أهله لا تدعى أحداً يقرب هذا الباب حتى أقوم فإنه قد شق على عدم النوم .

فلما كانت الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فإذا كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا به يدق الباب من الداخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم أمرك أن لا تأذن لأحد على فقال أما من قبلي فما أتى فالنظر من قبل من أتى ، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الشيخ معه في البيت فقال له : أتنام والخصوم يبالبك فمرفه فقال له يا عدو الله ما ألجأك إلى هذه الأفعال ؟ فقال له إنك أعيتني في كل شيء أردت بك ففعلت بك ما ترى لا غضبك فمعصمك الله مني فسمى ذا السكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به .

أخبرنا ابن فتحويه ، قال حدثنا عمر بن الفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث . سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول (كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذا السكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها فلما تعمدت منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فإني ما فعلته قط ، فقال لها أكرهتك ؟ قالت لا ولكني حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فمى لك) .

ثم إنه قال والله لا أعصى الله بعد ها قط أبداً فمات من ليلته فقيل مات ذوالسكفل فوجدوا بباب داره مكتوباً (إن الله تعالى قد غفر لذي السكفل)

وقال أبو موسى الأشعري : إن ذا السكفل لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء ، وقيل هو إلياس ؛ وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب .

(مجلس في قصة عيلى وشمويل وهو إسماعيل بالبرانية وقصة التابوت)
وخبير طالوت وجمالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة ؛

قال الله تعالى (ألم تر إلى الملاء من بنى إسرائيل) الآية

(فصل في سياق ومقدمة القصة) قال وهب بن منبه ؛ لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بنى إسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى إليه وخلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا ؛ وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فمكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يذر فيه الحب فيخرج الله ما يأكل منه هو وعياله ويكون لأحدهم الزيتون فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة

فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم ساط الله عليهم الممالة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بنى إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيتهم وسبوا كثيراً من ذريتهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارثهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتجادون أحياناً في غيهم وضلالهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا إلى التوبة أحياناً ويكفيهم الله شر من بنى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ورد عليهم توارثهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بنى إسرائيل في بلال السامرة منهم وفي بعضهم

إلى غيرهم ممن يقرهم ويملك عليهم إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم
بشمويل النبي عليه السلام أربعاً وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة
رجل يقال له إيلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن
كان حبرهم وصاحب قربانهم وكان يذتهون إلى رأيه فلما مضى مضى من وقت قيام
بأمرهم مدة بعث الله شمویل نبياً .

(القول في بدء أمر شمویل وصفة نبوته صلى الله على نبيتنا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه - كان لآبي شمویل امرأتان إحداهما عجوز عاقرة لم تلد له
ولداً وهي أم شمویل ؛ والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد

قال وكان لبنى إسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين
فحضر أبو شمویل وامرأتان وأولاده العشرة ذلك العيد .

فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيباً وكان لأم الأولاد عشرة أنصباء
وللعجوز نصيب واحد ؛ فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد
والبغي ، فقالت أم الأولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرتي بولدي وقمك فرجت
العجوز وجوماً شديداً ، فلما كان عند السحر عمدت إلى متعبدها فقالت ؛ اللهم
بعلمك وسمك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها على بنعمك التي أنعمتها عليهما وأنت
ابتدأتها بالنعمة والإحسان فارحم ضعفي وارزقني ولداً تقياً راضياً واجعله لي
ولك ذخراً في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفر بك ويطيعك ولا يجهلك فإذا
رحمت ضعفي ومسكني وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي
فلما أصبحت حاضت وكان قبل ذلك يئست من الحيض فجعله الله علامة لها
مسألته فألم بها زوجها فحملت وكنمت أمرها ولقي بنو إسرائيل في ذلك الوقت
من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدير أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن
يبعث لهم نبياً يشير عليهم ويجاهدو عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم

يعيق منه إلا تلك المرأة الحبلى ، فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها ، وقالوا
حملت إلا نبي ؛ لأن اليائسات لا يحملن إلا الأنبياء كسارة امرأة إبراهيم عليه
السلام حملت بإسحاق وإيشاع امرأة زكريا حملت يسيى عليه السلام فأخذوها
وحبسوها في بيت رهبة أن تلك جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى إسرائيل
في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولداً ذكراً فولدت غلاماً
وسمته شمويل تقول سمح الله دعائى فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فسكره الشيخ
عيلي وتبناه .

فلما بلغ الغلام الوقت الذى يبعثه الله فيه نبياً أتاه جبريل عليه السلام وهو
قائم إلى جانب الشيخ عيلي السكاهن وكان لم يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل فقال
الشيخ يا شمويل فقال الغلام مرعوباً إلى الشيخ وقال يا أبتاه ادعوتنى فسكره
الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام ، فقال يا بنى ارجع فتم فرجع الغلام فنام ثم دعاه
جبريل ثانياً فانتبه الغلام وقال ادعوتنى يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك ؟ قال أما
ادعوتنى ؟ قال لا فقال شمويل فإنى سمعت صوتاً في البيت وليس فيه غيرنا فقال
الشيخ ارجع فتوضأ وصل فإنك أن دعيت بإسمك فأجب وقل لبيك أنا طوعك
فأمرنى بما شئت أفعل ما تأمرنى به ففعل ذلك الغلام فنودى ثالثة ، فقال لبيك
أنا طوعك فأمرنى بأمر أفعل ما تأمرنى به فظهر له جبريل عليه السلام ؛ فقال
له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم
نبياً وإن الله قد ذراك يوم ذراك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذى
تباهت عليها ضررتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عنصداً ولا ملاذا فانطلق إلى الشيخ
عيلي فقل له إنك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمتم زماناً بأمره كما بكتابه
محافظاً على حدوده .

فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك
وصرت أفقر ما يكون إلى الله تعالى ولم تزل فقيراً إليه عطلت الحدود ووجرت بين

لخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق عن الباطل وأمله
وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق
وما كان الله عاهداً في هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك ؛ والله
لا يحب الخائنين .

قال وهب بن منبه - بعث الله شمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة في أحسن حال
كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فشأوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم
ملكاً فذلك قوله تعالى (ألم تر إلى الملائكة من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) يعنى شمويل وهو بالبرانية اسماعيل
ابن إلهي بن علقمة بن ماجد بن عمرو بن النهر بن صون بن علقمة صاحب عمرو بن
ابن عرويا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفافا ولم ينسبه أكثر من ذلك .

وقال مقاتل - هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم - هل عسى يتم
أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون فأجابوا بما قص الله في كتابه (قالوا وما لنا
ألا نقاتل في سبيل الله وقد خرجنا من ديارنا) الآية فلما أخذ شمويل عليهم
الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً .

(ذكر قصة الملك طالوت واثبات الثابت وحرب جالوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) الآية .

قال المفسرون - أن شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله
سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعضاً وقرن فيه دهن القوس وقيل له إن
صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله هذه العصا وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن
فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بنى إسرائيل فادهن
به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلاً وكان طالوت

وطولها واسمها بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيس بن أفيل بن صارون بن
نحورت بن أفيج بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل
عليه السلام وكان رجلاً دباغاً يعمل الآدم .

قال وهب بن منبه (كان يدبغ الجلود) وعكرمة والسدي يقولان كان سقاء
يستقي على حمار له من الثيل فضل حماره فخرج في طلبه .

قال وهب بن منبه : بل ضاعت حمر لابن طالوت فأرسله وغلاماً له يطلبانها
فرا بيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطلوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه
بر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخل عليه .

فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر إذ نش الدهن في القرن فقام شمويل وقاس
طلوت بالعصا فكانت على طولها فقال له شمويل قرب رأسك إلى فذهنه بدهن القدس
ثم قال له . أنت ملك بني إسرائيل وقد أمرني ربي أن أمسكك عليهم فقال طالوت
أنا فقال نعم قال أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل قال بل قال أو
ما علمت أن بيتي أدنى بيت في بني إسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع
وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم أن شمويل قال لبني إسرائيل، أن الله قد بعث
لكم طالوت ملكاً .

قال مجاهد أميراً على الجيش (فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال) وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان
سبط نوبة وسبط مملكة وكان سبط النوبة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى
وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام
ولم يكن طالوت من سبط النوبة ولا من سبط المملكة وإنما كان من سبط بنيامين
ابن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً
فغضب الله عليهم ونزع النوبة والمملكة منهم .

قال ابن كيسان وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم (والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم إن آية
ملكه أن ياتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار - إن الله تعالى أميط تا بوتاً على آدم عليه
السلام من الجنة حين أميط إلى الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده وفيه بيوت
بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من ياقوتة حمراء وإذا هو قائم
يصلى وعن يمينه السكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من
حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجرتي مكتوب
على جبهته بار من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر
سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند
الله وحوله عمومته والخلفاء والانتقاء والسكينة الحضراء أنصار وأنصار رسوله
نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا

وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي
يتخذ منه الأمشاط ملوثة بالذهب وكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات ثم عند
شيث إلى أن مات ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إلى إبراهيم عليه السلام فلما
مات كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده فلما مات إسماعيل كان عنده ولده قيثار
فنازعه فيه ولد إسحق وقالوا له إن النبوة صرفت عنكم وليس لكم إلا هذا النور
الواحد يعني نور محمد ﷺ فاعطنا التابوت فكان يتمتع عليهم ويقول أنه وصية أبي
ولا أعطيه لأحد من العالمين

قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فمسر عليه فتخه فناداه مناد من السماء مهلاً يا قيذار فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل أنه وصية نبي ولا يفتحه إلا نبي فادفعه إلى ابن عمك يعقوب إسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صرة التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فتقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعاً فلما نظر يعقوب إلى قيذار سمى إليه باكياً وقال يا قيذار مالي أرى لولئك متغيراً وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك إسماعيل ؟ قال ما أرهقني عدو ولا أتيت بمعصية واسكن أثقل ظهري نور محمد ﷺ فذلك تغير لوني وضعف ركني .

قال يعقوب أفي بنات إسحق ؟ قال لا واسكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بنح بنح شرفاً لمحمد ﷺ لم يكن الله لينخرجه إلا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي ؟ قال أعلم أن العامرية ولدت لك البارحة غلاماً قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم ؟ قال يعقوب قد علمت ذلك لأنني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والأرض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت أن ذلك من أجل محمد ﷺ ثم أن قيذار دفع التابوت إلى ابن عمه يعقوب ورجع إلى أهله فوجدها قد ولدت غلاماً فسماه حملاً وفيه نور محمد ﷺ .

قالوا كان التابوت في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه وكان عنده إلى أن مات ، ثم تداولته أنبياء من إسرائيل إلى وقت شمويل عليه السلام فوصل إلى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه ما ذكر الله في كتابه (فيه سكينته من ربكم)

(م ١٩ - قصص الأنبياء)

واختلفوا في السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ؛ السكينة ريح يخرج هفاقة لها رأسان ووجهان كوجه الإنسان .

وقال بجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب وجناحان .

وقال محمد بن إسحق بن وهب بن منبه عن بعض علماء بني إسرائيل في السكينة رأس هرة وكانت إذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح .

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال ؛ هي طست من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الأنبياء .

وكانت قصة ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أردن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد وإذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فأصبحت الأصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الأصنام ووضعوه في مكان قريب بقرية في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن هذا التابوت لا يقوم له شيء فأخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوا إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية آرا يبني الرجل صهيحاً فيقرضه الفار فيصبح ميتاً وقد أكلت ما في جوفه فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه في بحري لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه في بيت فمكت فيهم عشرين سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه إلا احترق وأصابهم في المدينة الآفات والعمائم وفي مواشيهم الموت وفي نسايتهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من بني إسرائيل من أولاد الأنبياء فقالت إنكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فاتوا بهجلة بإشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها

على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل بها أربعة من الملائكة يسرفونها فلم يمر التابوت بأرض إلا كانت مقدسة فأقبلوا حتى وقفوا على أرض فيها حصاد ابني إسرائيل فكسر برئتتهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران إلى أرضهما فلم تدر بنو إسرائيل إلا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى (تحمله الملائكة) أي نسوقه الملائكة.

وقال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) قال ابن عباس : أن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وأنها يخرجان قبل القيامة والله أعلم .

(باب في قصة شمويل حين أوحى إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت)
(مع بني إسرائيل وصفة نهر الابتلاء)

قال الله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر) الآية .

قال فلما أوحى الله إلى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير إلى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه إلا كبير طهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معذور لعذره ، وذلك لأنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو نصر لاشك فيه ، فسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما أرى لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ؛ ولا صاحب تجارة مشغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني إلا الشباب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم ، وقالوا أن المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نهرا ، فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام « أن الله مبتليكم بنهر ، مخبر كما يرى طاعتكم وهو أهدم بكم وهو نهر بين الأردن وبين فلسطين عذب يقال له أدمي » فمن شرب منه فليس

منى « أى من أهل دينى وطاعتى » ومن لم يطعمه ، لم يشربه « فإنه منى » ثم استثنى فقال « إلا من اغترف بيده ، وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه إلا قليلا منهم .

قال السدى : كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضع عشر رجلا

وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال : قال لى رسول الله ﷺ يوم بدر « أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه إلا مؤمن » قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجع لإيمانه وعبر النهر سالماً وكفنه ذلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه ، والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا على لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح .

فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت (لم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) الآية وسروا قاصدين الجهاد

(باب فى ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا) إلى قوله تعالى (وقتل داود جالوت) قال المفسرون والنحويون بالفاظ مختلفة ومما ان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنأ له وكان داود أصغرهم وأحقهم فأنى ذات يوم أباه فقال يا أبته ما قدفت تقلاعى هذه شيئاً إلا أصابته وصرعته فقال ابشر يا بنى فإن الله قد جعل رزقك فى قذافتك يعنى فى مقلعك ثم قاه يوماً آخر فقال : يا أبته لقد دخلت بين الجبال فرأيت سداً رابضاً فركبته

وقبضت بأذنيه فلم يهمني فقبضت على كفيه ففطرتهما برأسه وعنقه إلى ليته يدي
من غير مسكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له أبوه : أبشر يا بني
فإن هذا خيرا أعطاك الله .

ثم أتاه يوماً آخر وقال يا ابتاه : إني لأمشي بين الجبال فأصبح فما يبقى جبل إلا
صبح مهي ، قال أبشر يا بني فإن هذا خيرا أعطاك الله وسيكون لك شأن عظيم .
قال فلما وصلت غزاة بني إسرائيل مع طالوت إلى عسكر جالوت أرسل
جالوت إلى طالوت أن ابرز إلى أو ابرز إلى من يقاتلني ؛ فإن قتلني فلكم ملكي
وإن قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت
زوجته ابنتي وناصفته مملكتي فهاب الناس قتال جالوت فلم يحبه أحد .

فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتى بقرن فيه
دهن المقدس ويشبه تنور من حديد وقيل له أن الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع
هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل
يكون عن رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا
طالوت أشداه بني إسرائيل وأقوياءهم فحربهم فلم يوافقهم منهم أحد .

فأوحى الله إلى شمويل عليه السلام إن في ولد إيشا من يقتل جالوت وإني أريد
أن أجعله خليفة في الأرض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقل
لإيشا يعرض عليك بنيه واحداً واحداً فدعا إيشا وقال له اعرض علي بنيه فخرج
له اثنا عشر ولداً أمثال السوارع وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن
والتنور فلا يرى شيئاً فقال لذلك الجسم أرجع فيرده على التنور فأوحى الله
تعالى إليه أنا لا تأخذ الرجال على صورهم ولاكننا نأخذهم على صلاحهم وقلوبهم
فقال لإيشا : بل بقي لك ولد غيرهم ؟ قال لا ، قال شمويل : رب قد زعم أنه له
ولد غيرهم فقال كذب ، فقال شمويل يا إيشا إن ربي كذبك قال صدق الله يا بني
الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته

وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا ، وكان داود عليه السلام قصيراً
سقيماً مصفراً أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد حال
بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يهبر
بهما السيل ولا يخوض بهما الماء .

فلما رآه شمويل قال ، هذا هو لاشك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس
فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التور ففلاه .

فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري
حكمتك في مملكتي قال نعم ، قال فهل لقيت من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله
قال نعم أنا راعى الغنم فيجىء الأسد والنمر والذئب ليأخذ شيئاً فأقوم إليه وأقبضه
وأفتح لحية عنها وأحرفهما إلى قفاه ؛ فلما سمع طالوت منه ذلك رده إلى مسكره
فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فأبى حجر هارون الذي
قتل به ملك كذا وكذا لحمله في مخلاته . ب

ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فأبى حجر موسى عليه السلام الذي
قتل به ملك كذا وكذا لحمله في مخلاته .

ثم مر بحجر آخر فقال احملني فأبى حجر الذي تقتل به جالوت وقد نخبأني
الله لك فوضته في مخلاته ؛ فلما أقصافوا للقتال برز جالوت ونسأل المبارزة فانتدب له
داود وكان طالوت أعطاء فرسا ودرعاً وسلاحاً فرس ولبس السلاح وسار
قليلاً فوجد في نفسه زهواً فأنصرف وعاد سريعاً إلى الملك فقال من حوله جبر الغلام
فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك ؟ فقال له داود أن الله تعالى لم ينصرني
فما يغني عني هذا السلاح شيئاً فدعني أقاتل كما أريد ؛ فقال طالوت أفعل ما تريد

فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت
وكان جالوت من أشد الناس وأقوامهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضا
وزنها ثلاثمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق .

فلما برز جالوت إلى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز إلى ، قال نعم وكان جالوت راكباً على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر؛ قال نعم أنت أشرم من الكلب قال لا جرم لأنفس من لحمك بين سباع الأرض وطير السماء فقال داود باسم الله ويقسم الله لحكمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجراً منها وقال باسم إله إبراهيم ووضعته في مقلاعه ثم أخرج ثانياً وقال باسم الله إله إسحق ووضعته في مقلاعه ثم أخرج ثالثاً وقال باسم الله إله يعقوب ووضعته في مقلاعه .

قال فصارت الأحجار الثلاثة كلها حجراً واحداً وأدار المقلاع ورمى به ففسخر الله الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه أو قتل من وراءه ثلاثين رجلاً .

ويقال إنه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت بإذن الله تعالى حتى هم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد إلا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صاد كرامة للنبي ﷺ يوم بدر حين حشا الحشوة من التراب فانهمز الجيش وخر جالوت قتيلاً وأسرع داود عليه السلام إليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا إلى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين .

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان من داود عليه السلام بعد قتل جالوت)
قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم ؛ فجاء داود إلى طالوت وقال له : انجز إلى ما وعدتني واعطني امرأتى فقال له طالوت : أتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي وشانك بها . فقال داود اطالوت . ما شرطت على صداقاً وليس لي شيء فتحكم في الصداق بما تريد وأقرضني مهرها وعلى الأداء والوفاء لك به ؛ فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو إسرائيل لا نطعمه وأنجز ما وعدته ، فلما رأى طالوت ميل بني إسرائيل إلى داود أحسن ثناءه عليه وقال : لا حاجة لابنتي في المال ولا أكفك ما لا تطيق

انت رجل جريء وفي جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدنا فاذا قتلنا منهم
ما تى رجل وجئتني بزموسهم ذوجتك ابنتى .

فأتاهم داود عليه السلام وجعل كلما اقترب منه رجلاً احتز رأسه ونظمه في
خيط حتى نظم زموسهم ثم جاء بهم إلى طالوت وأقام بين يديه وقال له . ادفع لي
أمرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه في ماسكه فقال الناس إلى داود عليه السلام وأصحابه
بنو إسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فأراد قتله .

قال وهب بن منبه : كان الأنبياء والملوك يؤمضون على العصي
ويغرزون في أطراف العصي أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالساً في
لاحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصى بغتة ليقنله فلما أحس داود بذلك حاد
عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرج مكانه فارتكزت مكازة في الجدار فقال
له داود : أردت قتلى قال له طالوت لا بل أردت أن أتف على إيمانك عند الطمار وربط
جأشك للأقران ، فقال له داود عليه السلام أفلقيته على ما قدرته في ؟ قال نعم وإليك
ملك فزعت ، قال معاذ الله أن أخاف إلا الله ولا أجا إلا إليه لا يدفع الشر إلا هو

ثم أن داود انتزعها من الجدر وهزها هزة النكرة ، وقال له اثبت لي كما ثبت
لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له ، أنشدك بالله وبحرمة البصاهرة التي بيني وبينك
ولا كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت وإيكن كان مقال تخويف
وتحذير ، فقال داود لطلوت : إن الله قد كتب في التوراة جزاء السيدة سيئة مثله
واحدة والبادى أظلم .

قال طالوت : أفلا تقول قولها بيل (لئن بسطت إلى يدك لتمتكني ما أنا بباطل يدى
إليك لا قتلك [نى أخاف الله رب العالمين] فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى .

فلبث طالوت زماناً يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله في داره
فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال ذو العينين فقالت

داود إنك المقتول الليلة قال ومن يقتلني؟ قالت أبي قال وهل أجمعت جرماً؟ قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال إن كان أراد ذلك لا يستطيع خروجاً ولسكن إثنين بزق من خمر فأنقه به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير؟

قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بهلك؟ فقالت هو نائم على السرير فضربة بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكثراً شربه للخمر وخروج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك ثأره مني؛ ثم أنه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الأبواب.

قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأغمى الله عنه الحجاب وفتح الله الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج.

فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال؛ رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما أنا بالذي آمنه

ووضع الله في قلب طالوت النوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي أشهد الله عبداً يعلم لي توبة إلا أخبرني بها فلما كثر عليهم بكاء ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى إنك قتلنا أحياء حتى تؤذي أموالنا فازداد حزناً وبكاء فرحم الحباب وقال له مالك أيها الملك، فقال له هل تعلم في الأرض طاماً أسأله هل لي من توبة فقال له الحباب أيها الملك هل تدري ما مثلك؟ قال لا، قال ما مثلك إلا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه؛ فقال لا تركوا في هذه القرية ديكاً إلا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لأصحابه إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندب فليل له وهل تركت ديكاً يسمع صوته؛ وأنت هل تركت طاماً في الأرض فازداد حزناً وبكاء

فلما رأى الخباز ذلك ، قال أرأيت إن دلتك على عالم لملك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالإيمان فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، فقال له انطلق بنا اليها اسألهما هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الأعظم وكان إنما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب ، قال له الخباز إنها إن رأيتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال : لست أعظم الناس عليك منه أجبتيك من القتل وأوثقتك عندي ؟ قالت بل ، قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فلما سمعت بذلك كره غشى عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة ؟ قالت لا والله ماله من توبة .

ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام ، قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا إلى قبره ، فلما وصلوا إليه صلت عنده ركعتين ثم إنها نادى يا صاحب القبر . فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن راسه فلما نظر إلى الثلاثة المرأة والخباز والملك ، فقال لهم ، أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل من توبة ؟ فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدى ؟ قال لم أدم شيئاً من الشر إلا فعلته ، وقد جئت أطلب التوبة .

قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخل عن ملكك وتخرج أمك وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ؛ ثم إنك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام إلى القبر فسقط ميتاً ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهب أشعار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت إلى النار أكنتم تنقذوني قالوا نعم فنقذك بما قدرنا عليه قال فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقالك فذكر لهم القصة فقالوا إنك لمقنول بعدنا ؛ قال نعم قالوا لاخير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتعجز بأولاده إلى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله إلى داود يبشره بقوله قد قتل عدوك فقال داود ما كنت بالذي أتحييا بعده فضرب عنقه .

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) الآية : قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما استشهد طالوت أتى بنو إسرائيل أي داود فاعطوه خزانة طالوت وما سكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون إلا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) الآية .

(باب في ذكر نسبه)

هو داود بن ايشا بن عوفيد بن بوعز بن سلون بن يخنون بن عمينو ذب بن رم بن حصروم بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين .

(باب في ذكر صفته وحليته)

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (زرقه للعينين يمن) وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جمودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقية .

(باب في ذكر ما خص الله تعالى به داود عليه السلام من الفضل)

(والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك)

فمنها أنه أنزل عليه الزبور بالبرانية مائة وخمسون سورة ؛ في خمسين منها ذكر ما يكون من يختصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل إيران ، وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبوراً) ومنها الصوت الطيب والنفحة الطيبة اللذيذة والترجيح والالخان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين

لحناً بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه ؛ وكان إذا قرأ الزبور برز إلى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش وللسباع ويؤخذ بأعناقها وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والأراغيل والصنوج إلا على صوته ، وذلك أن إبليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون ما دهاكم ؟ فقالوا له مرنا بما شئت فقال إنه لا يصرف الناس عن داود إلا ما يضاد ويحاده في مثل حاله . فحيثوا المزامير والبيدان والأوتار والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا إليها وأغثروا بها .

ويقال إن داود عليه السلام كان إذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت ونقصت نعمته فقال إلهي ما هذا ؟

فأوحى الله تعالى إليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود إن المعصية هي التي غيرت صوتك وحالك ، فقال إلهي أو ليس قد غفرتها لي قال بلى وليسكن ارتفعت الحالة التي بينك من الود والقرب فلن تدركها أبداً .

أخبرنا أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه ، قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدأوبه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن أن تسرج دأوبه وكان لا يأكل إلا من عمل يده . قال الأسناد الإمام أراد بالقرآن الزبور .

وبالأسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الأشعري قال : قال لي رسول الله ﷺ (لقد أعطيت مزامراً من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً) .

وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو العباس باسناد عن البراء بن عازب قال : (سمع النبي ﷺ صوت أبي موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود)

ومنها تسخير الجبال والطير له يسبحون معه إذا مسح كما قال الله تعالى (ولقد آتينا داود منه فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) وقوله تعالى (إنا سنخرنا الجبال معه يسبحون بالعشي والإشراق)

ويقال إن داود عليه السلام كان إذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليله من الليالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبد أحد بمثلمها ، فصعد الجبل فلما كان جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله تعالى إلى الجبال أن أنسى داود فاصططكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات ، فمبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر فوكز برجله فانفلق له البحر فأنتهى به إلى الأرض فوكزها برجله فانفجرت له الأرض فأنتهى به إلى الحوت فوكزه برجله فأنتهى به إلى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت تخرج منها دودة نذش فقال له جبريل إن ربك يسمع أشيش هذه الدودة في هذا الموضع قوله تعالى (يسبحون بالعشي والإشراق) قال المفسرون يعنى صلاة الضحى وصلاة الأوابين بين العشاءين .

قال ابن عباس : وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر .

ومنها أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الإصانة في الأمور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى على الحكيم والنظر في القضاء كان لا يتمتع في القضاء بين الناس وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه هو البيعة على من ادعى واليمين على من أنكر

قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها ففتحها كما إلى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فحمد إلى عكازه فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة لمن لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف

لك وديعة فإن كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده : ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة فله يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اشتبه عليه الأمر بين الخصمين اللذين يتحاكما إليه يقول : ما أحوجكما إلى سلسلة بنى إسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره إلى الحق جراً .

ومنها القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) يعنى القوة في العبادة إنه أواب يعنى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً يصوم النهار ويقوم الليل وما أمرت به ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الأيام إلا وفيها منهم صائم

ومنها قوة المملوك كما قال الله تعالى (وشددنا ملكه) أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالشدديد ،

وقال ابن عباس ؛ كان أشد ملوك الأرض سلطاناً وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل وقال السدى كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل . أخبرنا عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً من بنى إسرائيل

تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال له تعالى إن هذا قد غصبتى بقرتى فسأل داود الرجل عن ذلك فجهد وسأل الآخر البيئته فلم يكن له بيئته فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى إليه فى منامه أن يقتل الرجل الذى تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى إليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود إلى الرجل فقال له إن الله تعالى قد أوحى إلى أن تقتلك فقال له الرجل تقتلنى بغير ذنب ولا بيئته فقال داود : نعم والله لا تفذن أمراً لله

فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تمجل على حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب والسكنى كنت اغتلت ولقد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته بنى إسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى (وشددنا ملكه) ويقال كان داود إذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الأنبياء وعلى يساره ألف رجل من الأجناد .

ومنها شدة البطش فيروى أنه مافر ولا انحاز من عدو له قط ومنها إلازة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الأخبار : أن داود عليه السلام لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكراً فإذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدم إليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثني عليه ويقول خيراً فبينما هو كذلك يوماً من الأيام إذ قبض الله له ملكان في صورة الأدميين فلما رآه تقدم داود على طائفة فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه قراع داود فقال ماهي يا عبد الله ؟ قال أن داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال فينفق ويطعم عياله فالان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد وعليه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أرل من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال أنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى (وعلماها صنعة لبوس لكم) وقوله تعالى (وألنا له الحديد أن يعمل سبائح) أي دروعاً كوامل واسعات (وقد في السرد) أي لا يجعل المسامير دقاقاً فيعلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى أعتد من ذلك مالا .

وروى أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعاً فتهجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدروع فقام ولبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان مايراد به فقال .
الصمت حكمة وقليل فاعله

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) الآيات

اختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله من الخطيئة ، فقال قوم ؛ كان سبب ذلك أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه تعالى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم فروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا : كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضى فيه بين الناس ويوماً يخلو فيه بنفسائه ، ويوماً لعبادة ربه وقراءة الكتب ، وكانت يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله تعالى إليهم أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها أحد فصبروا عليها ؛ ابتلى إبراهيم عليه السلام بنار التروذ وبذبح ولده ؛ وابتلى إسحق بالذبح ؛ وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وإنك لم تبتلى بشيء من ذلك

فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فأوحى الله تعالى إليك مبتلي في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر ؛ فلما كان اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاء الشيطان وتمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه ليأخذها .

وفي بعض الروايات ليدهفها إلى ابن له صغير فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تمسكته من نفسها فامتد إليها ليأخذها ففتحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فبيعت إليها من يصيدها فنظر إلى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي

وقال السدي : رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أحسن الناس خلقاً فتعجب
داود من حسنيتها وحانت منها النفاته فأبصرت ظل داود عليه السلام فنشرت
شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك إعجاباً بها فسأل عنها فقيل له هي سابع بنت
شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا بن
أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته أيوب صاحب بعثة يلفاء أن ابعث أوريا
إلى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن
يرجع إلى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح له فكتب إلى داود
بذلك فكتب إليه داود أيضاً أن ابعثه إلى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأساً
فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام
وقال آخرون : إنما سبب امتحانه أن نفسه حدثته أن يطيق قطع يوم بغير
مفارقة سيده .

وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال إن داود عليه السلام جزأ الدهر
أربعة أجزاء : يوماً للنسائه ويوماً لعبادة ربه ويوماً لقضاء حوائج المسلمين
ويوماً لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويسألهم ويسألونه .

فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا ، فقالوا هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب
فيه ذنباً فأخبر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه
وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ إذ هو بحمامة من
ذهب فيها كل شيء . حسن قد وقعت بين يديه فأهوى إليها ليأخذها فطارت فوقعت
غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل
فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الأرض جالت جسدها بشعرها فزاده ذلك
إعجاباً بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب إليه أن سر في مكان
كذا وكذا مكاناً إذا وصل إليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها
وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد إن داود عليه
السلام قال لبني إسرائيل حين ملك والله لا عدان فيكم ولم يستثن قاتلي .

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل في الأرض أحد يعمل عملي فأناه جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى يقول : أعجبت بعبادتك والمعجب يأكل العبادة فإن أعجبت ثانياً وكلتك إلى نفسك فقال داود يا رب كلني إلى نفسي سنة فقال إنها لكثيرة قال فشهراً قال فإنه لكثير قال فأسبوعاً فقال إنه لكثير قال فيوماً قال إنه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكة وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بالمرأة أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنهما الحراس أن يدخلوا عليه فقتلوا المحراب وهو يصلي فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى (هل أتاك نبي الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر ولا تفرط (واهدنا إلى سواء الصراط) أرشدنا إلى وسط الطريق المستقيم (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيراً توري عن النساء وتمكني عنها باللقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب .

قال الضحاك اعطنيها وتحول لي عنها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قل الضحاك يقول إن تسلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني فقال داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) .

قال السدي بإسناده : إن أحدهما لما قال هذا أخى له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول ؟ قال إن لي تسعاً وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فأريد أن أخذها منه وأكمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم ، قال إذا لا ندعك وإن رمت ذلك ضربتنا منك هذا وهذا يعني طرف الأنف وأصل الجبهة فقال

الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأورياً إلا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية إلا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر .

قالوا ثم أن داود نظر فلم ير أحداً فعرف ما قد وقع فيه وذلك قوله تعالى (وظن داود إنما فتناه) أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير: إنما كانت فتنة داود بالنظر وقال القائلون بتنزيه المرسلين في هذه القصة: أن لا ذنب إنما كان تمنى أن تكون له امرأة أورياً حلالاً وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أورياً فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع عليه كما كان يجزع على غيره من جنده إذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله .

وقال بعضهم: كان ذنب داود أن أورياً قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أورياً غمّاً شديداً فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخطبها الأول .

وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي ﷺ لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ، وما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين والمقدمين ما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغانقي عن ذكرى عن أنس أن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل بعثاً وأوصى صاحب البلقاء إذا حضر العدو فقدم فلاناً بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل المملكان ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول في سجوده ذل داود ذلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه وجعلت ذنبه حديثاً في الخلائق من بعده .

فجاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت أن الله قادر على أن يغفر الهم .

ولما جاء أوريا يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود ؟ قال جبريل ما سألت هممت به فكيف بفلان يعني ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم ؟ فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود إن الله يجمعك يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول أن لك في الجنة ما شئت وما اشتريت عوضاً عن دمك .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعاً أن داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا في صورتها فمرجا وهما يقولان قضى للرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى ويسأله التوبة .

وكان يقول في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلاق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب إلهي خلعت بيني وبين عدوي إبليس فلم أنتبه لفتنته إذ زل بي قدمي ، سبحان خالق النور إلهي تبكي الشكلى على ولدها إذا فقدته ويبكي داود على خطيئته ، سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب دونه ووسخه ، والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني ، سبحان خالق النور إلهي لم أنعظ بما وعظت به غيري ، سبحان خالق النور إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك ، فسبحان خالق النور إلهي خلقتني وفي سابق علمك كان ما أنا صائر إليه سبحان خالق النور إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء ، سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان

خالق النور إلهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتؤنسني فتركتني والخطيئة
لازمة لي سبحانه خالق النور إلهي أمطت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت
الأرض ولم تمشب حولي بخطيئتي سبحانه خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق حر
شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحانه خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق
صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحانه خالق النور إلهي كنت تستر
الخطيئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحانه خالق النور إلهي رق القلب
وجهدت العينان من مخافة الحريق على جسدي سبحانه خالق النور إلهي الطير تسبح
لك وأنا العابد الخطيء الضعيف الذي لم أرفع وصيتك .

سبحان خالق النور إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم
له بذلك سبحانه خالق النور إلهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المستغيث
إلا المغيث سبحانه خالق النور إلهي أنا أسألك بإبراهيم وإسماعيل وإسحق
ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحانه خالق النور . اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي
ولا تباعدني من رحمتك لهواني فإنك أرحم الراحمين

سبحان خالق النور إلهي إني أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وءالة لا تقبل
وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحانه خالق النور إلهي إني أعوذ بنور وجهك
الكريم من ذنوبي التي أوبقتي سبحانه خالق النور إلهي فررت إليك من ذنوبي
واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القاططين ولا تخزني يوم يبعثون .

سبحان خالق النور إلهي فغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من
ركبتني وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحانه خالق النور .

قالوا فأتاه النداء : أجاجع أنت فتطعم أو ظمآن أنت فتسق أو مظلوم أنت
فتنصر ولم يحبه في ذكر خطيئته بشيء . فصاح صيحة فهاج منها ما حواه ثم نادى
يا رب الذنب الذي أصبته فتودى يا داود ارفع رأسك قد عفرت لك فلم يرفع
رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام هرفعه .

قال وهب بن منبه أن داود عليه السلام أتاه نداء إنني قد غفرت لك فقال يارب
 أعف وأنت لا تظلم أحداً فقال اذهب إلى قبر أورياء فناده وأنا أسمع نداءك فتجلى
 منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم
 ناداه يا أورياء فقال لبيك من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود فقال
 ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أنحلل بما كان مني إليك ، قال وما كان منك إلي ؟
 قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى إلى داود عليه
 السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أفضي إلا بالحق ألا أعلمته أنك تزوجت امرأته ؟
 قال فانطلق داود إليه فناده يا أورياء فأجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي ؟
 فقال أنا داود فقال يا نبي الله ما حاجتك أليس قد عفوت عنك ؟ قال نعم لكن
 أنا ما فعلت بك ذلك إلا لما كان امرأتك وأنا قد تزوجتها .

قال فسكت أورياء ولم يجبه فدعاه ولم يجبه فقام عند قبره وحشا التراب على
 رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل
 الطويل لداود سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له إذا نصبت
 الموازين القسط ليوم القيامة سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
 حين يؤخذ برقبته ثم يدفع إلى المظلوم .

سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه
 مع الخطيئين إلى النار سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين
 تقربه الزبانية مع الظالمين إلى النار .

سببحان خالق النور قال فأتاه النداء من السماء : يا داود قد غفرت ذنبك
 ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعائك وأقلت عثرتك قال يارب كيف
 لي أن تعفو عني وصاحبي لم يعفو عني قال يا داود وأن يعفو أو لم يعفو فأنا أعطيته
 يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبيدي فيقول يارب
 من أين هذا ولم يبلغه عمل فأقول هذا عوض من أجل عبيدي داود فأستوهبك منه
 فيبك لي فقال داود يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل
 (فاستغفر ربه وشر راكها وأتاب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)

قال وهب بن منبه : أن داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة ولا ترفأ له دموعه ليلاً ولا نهاراً .

وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوم للقضاء بين الناس ويوماً لنسائه ويوماً يسبح في القياقي والجبال والقفار والسواحل ويوماً يخوف في داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدون على ذلك .

فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى القياقي ويرفع صوته كالزماير ويبكى فيبكي معه الشجر والمدر والطير ولوحش حتى تسيل دموعه مثل الأنهار . ثم يحمي إلى الجبال ويرفع صوته كالزماير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الأودية من بكائهم .

ثم يحمي إلى الساحل ويرفع صوته كالزماير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم توح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتحمي الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء ويرفع الرهبان معه أصواتهم .

فلا يزال يبكي حتى يفرق الفرش دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ وهو يضطرب فيجىء إليه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكه ثم يمسح وجهه ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الأرض ودموعهم لعد لها .

أخبرنا ابن فتحويه عن عثمان بن أبي ماتيكة أنه قال : كان من دعاء داود عليه السلام : سبحانك إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبتها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحى إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووني فنيكلمهم عليك دلونى .

وقال عليه السلام : د خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الأرض . .

وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الناس يهودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى .

قال وهب بن منبه : لما تاب الله على داود كان يهدأ إذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول : اللهم اغفر للخاطئين فمساك أن تغفر لداود معهم .

وعن قتادة عن الحسن قال : كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين ثم يقول تعالوا إلهي داود الخاطيء ولا يشرب شراباً إلا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يدر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين .

قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن ثابت قال : كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تعالى تخلفت أوصاله ولا يشدها إلا الاتين ، فإذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت .

وعن أبي عبد الله البجلي قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه إلى السماء قط حتى مات وصلى الله على نبيينا محمد وعليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

(باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب أن داود عليه السلام لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو إسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزرع من بني إسرائيل وذهبوا إلى ابن داود من إبنه طالوت يقال له شالون وقيل إيشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودما هذا الإبن إلى نفسه ، فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فأشار قومه على إبنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل إليه رفيقه وقال له هل سمعت بإبن قتل أباه قال له الإبن وهل سمعت أنت بني أذنبت فلم تقبل توبته فقال له الرسول إن كمان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تبشره أنت فإنه لا يحمل في الآخرة حدوده منك فقبل منه ذلك فكشف عن قتل أبيه وبقي إبنه ملكاً سنين .

فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب إبنه فمزقه ووجهه في طلبه قائداً من قواده وأوصاه أن يتوق حنقه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فربض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله محالفاً لأمر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزناً شديداً وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاته العدو فذكره داود أن يقتله فتركه لأجل مجاهدة العدو .

فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام يقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي إلى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع إلى قومه سنين .

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت) الآية .

قال ابن عباس ووهب بن منبه : أن قوماً من بني إسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان إذا خلا يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهم حتى إذا مضى السبت تفرقن وازن مقر البحر لا يرى منهن إلا القليل فذلك قوله تعالى (إذ تأنيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأنيهم كذلك نبلوهم) الآية

سمعت أبا القاسم ، قال سمعت أبي يقول : مثل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك إلا فوتاً ، والحرام يأتيك جزافاً ؟ قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل أيلة إذ تأنيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأنيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا إليها من الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فنحوا تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعدها وعمقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل لأنهم كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد .

قال وكانت الحيتان تأنيهم يوم السبت كثيراً وفي غير يوم السبت لا تأنيهم حوت واحد

فأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً ثم ربطه إلى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء إلى يوم الأحد فأخذه فسواه فوجد جارا له ريح الحوت فقال له يا فلان إنني أجد في بيتك ريح الحوت فأسكره فأطلع الجار في تنوره فإذا هو في

بيته فقال له إني أرى الله سيُعذبك ، فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبوت الآخر حوتين فلما رآوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقصت قلوبهم وتجزؤوا وتجردوا على الذنب وقالوا ما نرى السبوت إلا قد أحل لنا ، وإنما حرم ذلك على آبائنا لأنهم قتلوا أنبياءهم

فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمه ؛ فكان الذين نهوا اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول النصيحة ، قال الناهون الممسكون : والله لنخرجن من هذه القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بحدار ومكشوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطئوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعهم قد مسخروا قرده فذلك قوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم من يثرون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) أي شديد بما كانوا يفسقون ، فلما غتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قرده نخاسين أي ضاغرين نظيره قوله تعالى (لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود)

وروى أبو نصر عن أبي سعيد الخدري قال ؛ قال رسول الله ﷺ :
« ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخروا قرده ألم تسمع قول الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب بعدما أهلكنا القرون الأولى) الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث)

قال الله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)

قال ابن عباس وقتادة : كان الحرث زرعاً ، وقال ابن مسعود وشريح : كان الحرث كرماً قد تدلت عناقيده إذ نفشت فيه غنم القوم رعيته ليلاً فأفسدته والتنفس بالليل والهمل النهار وهو جميعاً الرعى بلا راعي وكنا لحكمهم شاهدين ولا يخفى علينا منه شيء .

قال ابن عباس وقتادة ، إن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الحرث إن هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئاً قال له داود ذهب فإن الغنم لك فأعطاه رقاب الغنم بالحرث ففرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو رأيت أمر كما لقضيت بغير هذا فأخبراه بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما ؟ قال كنت أدفع الغنم إلى صاحب الحرث سنة فيسكون له نساها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع إلى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه

وقال ابن مسعود وشريح ، إن راعياً نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الأغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضاء وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد إلى داود فقضى بالأغنام لصاحب الكرم لأنه لم يكن يرى ثمن الأغنام وثمر الكرم تفاوت قال ففرا بسليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقضا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فمادا إلى داود فأخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الأغنام إلى صاحب الكرم ليقتفع بتسليمها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في إصلاح الكرم إلى أن يعود كهيئته ثم يتسلمه صاحبه وترد الأغنام إلى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الأستاذ وهذا يدل على أن لكل مجتهد نصيب

(باب في قصة استخلاف داود لابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء الخاتم)
 قال أبو هريرة رضي الله عنه : أنزل الله تعالى كتاباً من السماء على داود عليه
 السلام مختوماً بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة فأوحى الله تعالى إليه أن سل
 عنها ابنك سليمان فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام
 سبعين قساً وسبعين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال : يا بني الله إن الله تعالى
 أنزل على كتاب من السماء فيه مسائل وأمرني أن أسألك عنها فإن أخرجتها فأنت
 الخليفة من بعدى فقال سليمان : ليسألني نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله .
 قال داود يا بني ما أقرب الأشياء وما أبعد ما ؟ وما آنس الأشياء وما أوحشها ؟
 وما أحسن الأشياء وما أقبحها ، وما أقل الأشياء وما أكثرها ، وما القائن وما
 الساعيان ، وما المشتركان وما المتباغضان ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد
 آخره ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل ذم آخره ، فقال سليمان عليه السلام أما
 أقرب الأشياء فالآخرة ، وأما أبعد الأشياء فما فأنك من الدنيا ، وأما آنس الأشياء
 ففسد فيه روح ، وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه ، وأما أحسن الأشياء
 فالإيمان بعد الكفر ، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان ، وأما أقل الأشياء
 فاليقين ، وأما أكثر الأشياء فالشك ، وأما القائن فالسما والارض ، وأما الساعيان
 فالشمس والقمر ، وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة
 وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد آخره فالعلم عند الغضب وأما الأمر الذي
 إذا ركبته الرجل ذم آخره فالهقد عند الغضب .

قال ففكروا الخاتم فإذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال
 القسيسون والرهبان لا نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن أخرجها فهو الخليفة من
 بعدك فقال سليمان : يا بني الله تعالى وما توفيقي إلا بالله فقالوا له ما الشيء الذي
 إذا صلح صلح كل شيء من الإنسان وإذا فسد فسد كل شيء من الإنسان فقال هو
 القلب فقال داود : سعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ، إن الله تعالى أمرني
 أن استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو إسرائيل وقالوا غلام حديث يستخلف
 علينا وفيما من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط
 بني إسرائيل وقال لهم ، إنه قد بلغني مقاتلكم فاروني عصيكم فأى عصا أثرت فإن

صاحبها ولي هذا الامر بعدى ، قالوا قد رضينا فاجاءوا بهصيهم فقال داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ، ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيتاً واغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رءوس اسباط بني اسرائيل فلما اصبح صلى الغداة ثم أقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال إن هذا خليفتي عليكم من بعدى ، قال وهب بن منبه لما استخلف داود لابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال ، يا بني إياك والهمز ال فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان وإياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برآء قطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغنى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وإياك وما يتعذر منه القول والفعل وعود نفسك وإسائك الصدق والزم الإحسان فان استطعت ان يكون يومك خيراً من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين وإذا غضبت فاصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فإنها وسعت كل شيء

قالوا ثم ان سليمان بعد أن استخلف اخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم يا بني انت وامى ما أكمل خصالك واطيب رائحتك ولا اعلم خصلة اكرها إلا أنك في مؤنة أى قلوب دخلت السوق فتعرضت لرزق الله ازجوت أن لا يخيبك الله فقال سليمان إني ما عملت عملاً قط ولا أحسنه ثم أنه دخل السوق صبيحة يوم ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون إن شاء الله فلما كان اليوم الثانى مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصياد فقال له هل لك ان أعينك وتعطينى شيئاً قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم أنه شق بطن أحدهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل واخذ السمكتين وجاء بهما إلى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في إصبعه فعكف عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبواه أن مات حمل المرأة واباها إلى اصطخر والله اعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

قال الشيخ أبو زيد ، سمعت الشيخ أبا عمر والفارسي يروى أن داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الأبواب كل ليلة تأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة ، فأغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلاً قائماً وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فإن صاحبها رجل غيور خذ حذرك ، فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذنهم

قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفاً يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ، فقال أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن ، فقال له إذا فانت ملك الموت قال نعم قال أفجئت داعياً أم ناعياً ، فقال ناعياً ، فقال داود عليه السلام ، فهلا أرسلت إلي قبل ذلك وأذنيتني لاستعداد للموت ، فقال كم أرسلت إليك فلم تنتبه

قال ومن كانت رسلك التي أرسلت إلي ، فقال يا داود أين أبوك إيشاء وأين أمك وأين أخوك ، وأين جارك ، وأين قهار منك ، وأين فلان وفلان ، فقال ما تروا كلهم فقال أما علمت أنهم رسلي إليك وأن التوبة تبلغك

قال الأستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرأ ينهى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجا فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال :

وإذا حلت إلى القبور جنازة فاعلم بانك معها محمول
وإذا وليت أمور قوم مدة فاعلم بانك عنهم معزول

قال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

﴿مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به﴾

قال الله تعالى د وورث سليمان داود ، يعني نبوته وحكمه وعلمه وملكوته دون
سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابناً .

وقال مقاتل ، كان سليمان عليه السلام أعظم ملكاً من أبيه داود وأقضى
منه وكان داود عليه السلام أشد تعبداً من ابنه سليمان ، وكان سليمان حين أتاه
الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكاً ما بين الشام إلى اصطخر وقيل
إنه ملك الأرض كلها

وروى مجاهد عن ابن عباس ، قال ملك الأرض بعد أربعة . مؤمنان وكافران ،
فأما المؤمنان ، فسليمان عليه السلام وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود
ابن كنعان وبختنصر

(باب في صفة جليلة عليه السلام)

قال وهب بن منبه وكعب الأحبار ، كان سليمان أبيض جسيماً وضيئاً
جميلاً كثير الشعر يلبس من الثياب البيض ، وكان خاشعاً متواضعاً يخالط
المساكين ويجالسهم ويقول مسكين يجالس مسكيناً ، وكان أبوه في أيام ملكه
يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه ؛ صلى الله على
سليمان وعليه وسلم .

(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه
(من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك))

قال الله تعالى (وقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على
كثير من عباده المؤمنين) وقال الله تعالى لإخباراً عنه (رب اغفر لي وهب لي
ملكاً لا يذهبني لأحد من بعدي أنك أنت الوهاب) فأجاب الله دعاءه وأكرمه
بخصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال
عز وجل (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) أي أراد بالغة حمير.

قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب الأخبار ، كان سليمان عليه السلام رجلاً
غزاه لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه
حتى يذله ويقهره وكان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضطرب له خشب ثم ينصب
له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل
معه ما يريد أمر العاصف على الريح فيدخل تحت تلك الخشب فيحملها حتى إذا
أقالتها أمر الرخاء فترت به شهراً في غدوته وروحته إلى حيث أراد كما قال الله تعالى
(وسليمان الريح غدوها شهراً ورواحها شهراً) .

وقال ابن إسحق ذكر لي أن رجلاً نزل منزلاً من ناحية الدجلة فوجد فيه كتاباً
مكتوباً كتبه بعض أصحاب سليمان إما من الجن أو من الإنس نحن نزلنا وما
بنيناها ومبناها وجدناه غدونا من أصطخر فقلنا ونحن رائحون إن شاء الله تعالى
فأنتون أشام قال وكان فيما بلغني تمر بعسكر الريح الرخاء تهوى به إلى حيث أراد
لأنها تمر بالمزرعة فلا تحركها .

وأخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه بإسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال
أن سليمان عليه السلام ركب الريح يوماً فمرت بحراث فنظر إليهما الحراث وقال
لقد أوتى آل داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه
السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له لقد سمعت قولك وإنما نزلت إليك لتلاثنني
(م ٢١ - - قصص الأنبياء)

ما لا تقدر عليه أن تسبيحه واحدة يقبلها الله منك خير مما أوني آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي .

وقال مقاتل ؛ نسجت الشياطين لسلیمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاث آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلمهم الطير بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ربح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومسييرة شهر من الرواح إلى الصباح .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن كعب القرظي قال : بلغني أن عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها الإفس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو سائر بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح إليك فأخبرتك به .

ومنها تعليم الله له كلام الطير حتى التل كما قال الله تعالى (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) الآية .

قال ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار قال : صاح رشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا فقال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا قال إنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدن تدان وصاح همد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله قال صاح الطيطوي فقال أتدرون ما يقول ؟

قالوا لا قال إنه يقول كل حي ميت وكل جديد بال ، قال وصاح خطاف فقال :
أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول قدموا خيرا تجدوه ، فمن ثم نهى رسول الله
ﷺ عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان رب
الأعلى ملء سمائه وملء أرضه ، وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه
يلعن المشارين ، والحدأة تقول كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطا تقول من سكت
سلم ، والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والبازي يقول سبحان ربى الأعلى وبحمده
والضفدع يقول سبحان رب القدوس والصفور يقول سبحان المذكر بكل مكان .
وأخبرنا ابن ميمون بإسناده عن مكحول قال : صاح دارج عند سليمان عليه
السلام فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى
وبإسناده عن صالح المروى عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : الديك إذا صاح
يقول اذكروا الله يا غافلون .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم
السلام أنه قال إذا صاح الذسر يقول - يا ابن آدم عش ما شئت فإن آخرك الموت
وإذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس ، وإذا صاح القنبر قال اللهم العن مبعض
آل محمد وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الأضالين كما يمدها القارىء .
وقال فرقد السنجى مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه
فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال إنه
يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء .

قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى
آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ، ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو
أعجب من هذه النملة ؟ قالوا بلى قال تقول اتقوا الله فى السر والعلانية والقصد فى
الغنى والفقر والعدل فى الغضب والرضا .

وروى أن سليمان عليه السلام خرج يوماً يستسقى ومعه الإنس والجن فر
بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهى تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك لا غنى

لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا ؛ فقال سليمان لمن معه ارجعوا
فقد سقيتم بدعوة غيركم .

وحكى أن نملة دبت على سليمان لحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه
الصولة وما هذا البطش أما علمت إني أمة من أنت عبده فغشى على سليمان فلما آفاق
قال اتقوني بها فسألها فقالت له جلدى رقيق وبدنى ضعيف وأخذتنى ورمىتنى فقال
لها سليمان اجعلينى فى حل فإنى لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا
بمهن الشهوة ولا تستغرق فى شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلا بذلته
له قال قد فعلت ذلك قالت فانت فى حل .

ومنها قصة وادى النمل قال الله تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير
فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم (حتى إذا أتوا على وادى النمل) الآية .

قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتب : إن سليمان عليه السلام كان
إذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه فى موكبه الذى هم له وقد اتخذ فيه
مطابخ ومخابر يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسمع كل قدر عشرة من
الحزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى
الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوى بهم فسار من لصطنخر إلى اليمن
وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان هذه دار هجرة نبي
يبعث فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ، ثم أتى أرض الحرم فرأى حول
البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فأوحى
الله تعالى إلى البيت ما يبكيك ؟ فقال يارب هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك
مروا على فلم يهبطوا به ولم يصاوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الأصنام
تعبد حولي من دونك قال فأوحى الله تعالى إليه : لا تبك فإنى سوف أملاك
وجوها سجد إلى وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك فى آخر الزمان نبيا هو
حب الأنبياء إلى واجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونى وأعرض فى عبادى فريرة
يتفون بها إلى البيت زفا مثل زقيف الذنور إلى أوكارها ويحنون إليك حنين الناقة

إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهره من الأوثان وعبد الشيطان ، ثم أمر الله سليمان عليه السلام أن يزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قرباناً ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشرف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على جميع من زاواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدة قالوا فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟ قال قريب من ألف عام قال ثم إن سليمان مضى حتى أتى على وادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل فقامت نملة تمشى وكانت عرجاء فتكارس وكانت مثل الدب العظيم ، وقال الشعبي كانت ذات جناحين ،

واختلفوا في اسمها ، فأخبرني ابن ميمونة بإسناده عن الضحاك قال - كان لشم نملة سليمان طاخية وقيل خرمة فنادت لما رأت سليمان في موكبه (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وكان لا يتكلم بخلاف إلا حملته الريح وألقته في مسامع سليمان ، قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكاً من قولها وقال (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) الآية .

وفي بعض الأخبار ، أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال اتوني بها فاتوه بها ، فقال لها لم حذرت النمل هل سمعتم لاني ظالم ؟ أما علمتم لاني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده ؟ قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع إن ما أردت حطم النعوس وإنما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتنن ويشغلن بال نظر إليك عن التسبيح فقال لها عطيني فقالت له النملة هل علمت لم سمى أبوك داود ؟ قال لا . قالت لأنه داوى جراحه قلبه ثم قالت هو هل تدري لم سميت سليمان ؟ قال لأنك سليم وكنت إلى ما أوتيت بسلامة هوذا لك وحنك أن تلعن أبوك داود ، ثم قالت أنذري لم سخر الله تعالى إلى الربح ؟

قال لا ، قالت ليخبرك أن الدنيا كلها ربح . فتبسم ضاحكاً من قولها ، متعجباً وقال
(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) الآية .

أخبرني ابن ميمون بإسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل
أربعة من الدواب : الحدهمة والصرده والنحلة والنملة .

ومنها قصة العنقاء في إثبات القضاء والقدر ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد
بإسناده عن محمد بن جعفر الصارقي قال . عاتب سليمان الظير في بعض عتابه فقال
لها إنك لتأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والأرض أنا لنحرص على
الهدى ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره ، قال صدقت لأحيلة في القضاء
فقلت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى
قال إنه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك
والجارية والولد يجتمعان في أمتع المواضع بقدره الله تعالى وأهوالها على سفاح في
جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يابني الله أوقد ولدهذان الولدان المذكوران
قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما
كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يابني الله أنا أبطل القدر وأفرق
بينهما فقال لها سليمان إنك لا تقدرين علي . قلت بلى .

فأشهد سليمان عليها الطير وكفلة . برمة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظماً
ووجهما ووجه إنسان ويدها يد إنسان وئديها ئدي امرأة وأصابعها كذلك فحملت
في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دابة وما فيها وكل إنسان وأبصرت
الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلفت الجارية من المهد وطارت بها حتى
انتهت إلى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة
حالية لا ينالها ظائر إلا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل
غصن كأعظم ما يكون من شجرة الأرض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرآني وسط
الشجرة عجيباً واسعاً مضيئاً وطيباً وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها
وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل
لا تخبر أحداً بشأنها كي يتم أمرها وهي تغدو إلى سليمان وتروح إلى وكرها ففعلهم

صالحان بذلك ولم يبدعه لها فبالغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكاً من ملوك الدنيا
وكان يلهو بالصيد ويحببه ويطلبه فصار لا يقرأ ليلاً ولا نهاراً وكان أبوه ملكاً عظيماً.
فلما رأى الملك ولده لا هياً بالصيد ولم يزجره عنه حتى نال منه ما لا طويلاً
وأمر عظيمماً فقال يوماً لأصحابه كل صيد البر وفلواته ومقازته قد تلت منه فقد
ركبت البحر فأنازل من صيده فإنه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون
من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر من خلق الله سيدياً وعجائب فأمر الغلمان
بتجهيز ما يحتاجون إليه وهياً السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه ويأخذ من
الوزراء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة
والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون إليه مما يريد ويشتهي من الملاهي
وركب السفن ومن في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيئاً من
غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحاً خفيفة فضربت بها
وساقها حتى قربت من العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة
ثم ركدت سفينته بإذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فأخرج رأسه
من ناحية ونظر فإذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران
طويلة لا يدرى أين منتهاها ولا عرضها وإذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل
ملتفة كثيرة الأغصان والأوراق ورقها في عرض أذن الفيلة تفوح برح الريحان
وليس لها تمر بيضاء الساق فقال لأصحابه إنني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط
جزيرة لم أر مثله ولا مثل طول ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبنى
منظرها ثم أنه حرك سفينته وجاء بها إلى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها .
وقال لأصحابه - أقيموا ههنا حتى أمضي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي
في وسطها هل عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم إنه نزل من
السفينة ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي
فقال لهم إنه صعد إلى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت إلى
السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لأنها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقت
متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك .

فبينما هي متفكرة في أمر السفينة إذا حس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فإذا بالغلام ورقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا إلى ذلك الموضع وأن الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها إلى السماء وصار ينظر إلى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها تنظر إلى السفينة فخانت منه التفاته إلى أصل الشجرة فوقت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنبية أنت أم إنسية قالت لا والله أنا من خيار الإنس فن أنت فأفهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت إلا أنى أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي وإنى لا أعرف شيئا غير العنقاء وهي أمى القى ربتنى وحضنتى وهي تأتينى كل ليلة وتسمينى بنتها فقال لها الغلام وأن العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ثم تبيشنى وتحدثنى بكل ما يحكم به سليمان وإنه ملك عظيم على ما تصفه أمى العنقاء عن ملكه وإنها تخبرنى إنه أحسن الناس وجهاً وأتم خلقاً منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسمى دولته وإنى لمن طلاقته ومن يؤدى إليه الخراج وقد سخر الله الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية وما يبكيك ؟ قال وجدتك فى مثل هذا الموضع الذى لا إنس فيه ولا أحد وإن مثلك فى الدنيا عدد الشجر والدر كلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء والرغد واللذة الحسنة مع الأزواج يتعاقبون ويتنعمون ويتوالدون والأولاد مثل خلقك وخلقى رأيت إن حاجت الريح فأزعجتك من وكرك ومن يمنك إن تقعى فى البحر وإن وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعته الجارية من قوله وقالت وكيف يكون معى إنسى مثلك يحدثنى بمثل حديثك ويحفظنى مما ذكرت فقال لها الغلام أو لا تعلمين أن الله اتخذ سليمان نبياً وسخر له الريح والطير وهو الذى رحمنى وساقنى إليك لا كون لك إلفاً وصاحباً وإنسى وإنى لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير لى وأصير إليك وإن العنقاء

هذه تروح وتجي وتخصني إلى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاك على العنقاء ليلتك هذه فإذا جاءت إليك وقالت ماتحين وما تريدن وما شأنك فأخبريها يوحدتك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فأخبرني بذلك ففعلت وإن العنقاء رجعت إليها فوجدتها باكية حزينة ، فقالت لها يا بنية مالك - فقالت الوحدة والوحشة قتلتني وإني لمن عجة على نفسي من ذلك ، فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فإني استأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوماً ويوماً لا آتيه فيكون ذلك أسأ

فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها . فقال لها أو تصبرين على ذلك لا واسكني سائر دوابي هذا فرساً وأبقر بطنه وأخرج مافيه وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فإذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجباً أرى خلقة ملقة على كوئل هذه السفينة فلو اخطفتيها وحملتها إلى فيكانت معي في وكري فانظر إليها وآنس بها كان أحب إلي من كونك عندي نهاراً وإسماً لك عن أخبار سليمان وإخبار المسلمين .

فإذا رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل إليه في استئذانها إياه في المقام يوماً والغد يوماً ، فقالت لها يا بنية أن نبي الله قد اشتغل عنى اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل إليه قالت لها إني لا أريد أن تتخلفي عنه نهاراً لمكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين ، وإني أرى عجباً في البحر أرى بشيئاً مرتفعاً فما هو ؟ قالت له العنقاء هذه سفينة قوم سيارقرا كمين في البحر قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة القوها قالت فاحتمليها إلى لاستأنس بها وانظر إليها فانقضت العنقاء فاخطفت الفرس وكان الغلام في بطنها فحملتها إلى عشها فقالت الجارية يا أماء ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيك بمثل هذا منذ حين .

ثم إنهما طارت إلى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولا مسها واقتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به

وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبل الريح وأن العنقاء واحدة
وكان مجلس سليمان يومئذ بمجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير في
مرتبته ودها بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع طيراً إلا حشرتة إليه فحشرت إليه
جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان
الجزائر والهواء والمغارات والفلات والامصار فحشروا إليه وأمر الشياطين
فأحضرت كذلك ، وكذلك الإنس كهيئةهم ثم كل دابة تدب على وجه الأرض
فاشتد الخوف وقالوا في أنفسهم نشهد بالله أن نبي الله قد أحمه أمر عظيم فأولسهم
قد خرج في تقديم الطير سهم الحداة وكانت الطير لا تقدم إلا بالسهم وكذلك
الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدهى على زوجها وكان قد جحد ولدها فقالت
يا نبي الله إنه سفدني حتى احتضنت بيضى وأخرجت ولدى جحدنيه فقال سليمان
لذكر ما تقول فقال يا نبي الله إنها لا تمنع من الطير وهي تحوم البرارى فلا أدري
هل هو منى أو من غرى .

قال - فأمر سليمان بولدها فجىء به فوجد الشبهه فألحقه بالذكر ثم قال لها
لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فإنه لا يجحدك بعدها
أبدأ إلى يوم القيامة فهي إذ سفدها ذكرها صاحبت وقالت يا طيور سفدنى أشهدوا
معاشر الطيور أشهدوا .

ثم يخرج سهم العنقاء فتقدمت إليه فقال سليمان ما قولك في القدر فقالت
يا نبي الله لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان
فأين الشرط الذى بينى وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية
والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فائتنى بها الساعة والخلق شهود لأعلم
صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فمرت
العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع خفيف
أجنحتها فيبادر للغلام ويدخل جوف الفرس .

فلما رأتها البنت قالت لها كالفرعة أن لك شأننا إن رجعت من ساعتك قالت لها
أى لعمري أن لى شأننا هذا سليمان قد أمر بإحضارك الساعة لأمر كان بينى وبينه

فاني امرك وانني لأرجو نصرتي اليوم فيك قالت كيف تحمليتي قالت على ظهري
قالت وهل أستقر على ظهرك وانني أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزال فأسقط
وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصير في منقارك قالت لها وكيف أصنع ولا بد
لي من إحصارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفيلتي البومة .

فقالت لها ادخل في جوف هذا الفرخ ثم ترفعيه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى
شيئاً ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أضبت قال فدخلت في جوف الفرس
واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت
الفرس بين يدي سليمان عليه السلام .

فقالت - يابني الله الآن في جوف الفرس فأين الغلام ؟ فتبسم سليمان طويلاً
ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضائه وقدره
وعليه السابق الكائن من خير وشر فقالت أو من بالله وأقول إن المشيئة إلى العباد
والقوة فمن شاء فليفعل خيراً أو شراً قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة
للعباد شيئاً ، ولكن من شاء الله أن يكون سعيداً كان سعيداً ومن شاء الله أن
يكون كافراً كان كافراً ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل
ولا يعلم أن الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالشرق وقد
اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح ، وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت
العنقاء لا تقل يابني الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان
الله أكبر أين البومة النكفلة بالعنقاء ؟ قالت ها أنا يابني الله ، قال سليمان أنت
على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما
على قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعاً من
جوف الفرس ، فأما العنقاء ففرغت وطارت وآمنت بالقضاء والقدر ، وهذا
ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب .

ويروى أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقام بمدينة مرو وصلى العصر
بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللاً

بلاد الترك ثم جاوزها إلى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطالع الشمس على ساحل
البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها إلى مكران كرمان ثم جاوزهما حتى أتى
أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقام بكسركر ثم رجع إلى الشام وكان مستقرا
مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام إلى العراق أن يبنيوا له
تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان إذ قال للمليك له قم في البرية فاحدها عن الهند
وجيش الجيش إنى قد أبحت لهم بناء تدمر بالأحجار والعمد

قال ووجدت هذه الأبيات منقورة في صخرة بأرض كسركر أنشأها بعض
صحاب سليمان بن داود عليهما السلام :

ونحت ولا حول سوى حول ربنا تروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحننا كان أمر رواحنا مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس سروا والله طوع نفوسهم لنصرة دين النبي المطهر
لهم في معاني الدين فضل وزافة وإن نسبوا يوما فن خير معشر
من ركبوا الريح المطيعة أسرعت مبادرة عن شهرها ولم تقصر
تظلمهم طير صفوا عليهم متى رفرفت من فوقهم لم تفت

(رجعنا إلى القصة) وقال قوم من العلماء - معنى قوله تعالى - فطفق مسجعا
بالسوق والأعناق - حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهري
مسح سوقها وأعناقها من الغبار .

وقال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال - وقال علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه ثم إن الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حق ردها على سليمان وصلى
المصر في وقتها .

ومنها تسخير الله تعالى له الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال الله تعالى (ومن الجن ومن يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير) وذلك أن الله تعالى وكل إليهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة ، فما عملت له الشياطين بأمره وأحدثوا له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشباه كثيرة واحترفوا له نهر الملك والقوا ترابه بين خانقين وقصر شيرين وعملوا له الغياصة كما قال الله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له) الآية وقال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص) وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ والدر وسائر الجواهر البحرية . وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع الجواهر الثمينة من المأادن وهم أول من فعل ذلك .

(حديث القبة)

قال وهب بن منبه - بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والرياح من تحته والإنس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله إذ نظر إلى أعظم أمواج البحر فدعته نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ، ثم قعد على كرمي ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختر له مائة رجل فقال له اختر لي من المائة ثلاثين فاختر له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختر له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختر له ثلاثة فقال لو احد منهم غص حتى تنظر إلى قاع البحر وأنا تدينى بالخبر فقال له سمعاً وطاعة لك يا نبي الله فغاص في البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت ؟

قال : يا نبي الله ما رأيت إلا أمواجاً وحيتانا غير أني رأيت ملكاً عظيماً فقال لي أين تريد ؟ فقلت له إن نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع إليه فاقراً عليه مني السلام وقل له إن قوماً ركبوا هذا البحر منذ

أربعين عاماً فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو
يتجلى في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع إليه وأخبره بالخبر فتهبب نبي الله
سليمان عليه السلام من ذلك ولها عما كان قصد .

قال - فبينما هو على الشاطئ إذ رأى قبة من زجاج تضرها الأمواج في
لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فغاصوا فأخرجوها فلما
وضعت القبة على ساحل البحر انفتح له بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب
عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان
فقال له سليمان يا فتى من الجن أنت أم من الإنس ، قال بل من الإنس قال فتهبب
سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبي الله كانت لي والدة
وكنيت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيئاً من صنائع البر
إلا صنعتها بها فلما حضرتها الوفاة سألتها أن تدعو لي فرفعت رأسها إلى السماء
وقالت - يارب قد عرفت بر وادي بي فأرزقه العباداة في موضع لا يكون
لإبليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفتها فخرجت يوماً إلى ساحل البحر فإذا
أنا بهذه القبة فدعنتي نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وقضت
الأمواج وكان آخر عهدى يا نبي الله

فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك ؟ فقال يا نبي الله إذا كان الليل
جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه إلى فمأكله فهو يقيمنى من الطعام
والشراب فقال له سليمان - فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر
قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فإذا رأيت الخيط الأبيض
فأبدأ علمت أنه النهار وإذا رأيت الخيط الأسود فأبدأ علمت أنه الليل .

فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة ؟ قال لا يا نبي الله إن تشاء أذن لي
أن أعود إلى قبتي فأذن له فأنطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتاخرت به الأمواج
فكان آخر العهد به

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء)

وعما عملوا له مدينة من قواريب عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع
فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج إليه
من المساكن والقباب والمارافق أسفلها أغاظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء
يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفاته ونقائه وأشدهس بالنهار والقمر بالليل
وعلى السقف الأعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي المسكر
كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الأركان ألف ركن على مناكب الشياطين
تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه
علواً وسفلاً تحملها الريح إلى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرأ يأكل
ويشرب وينام ويتمتع بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات وأواري وأواخي
لحيلة ودوابه وعما عملوا له كرسى ملكه .

(صفة كرسى سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يروى أن نبي الله سليمان
عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للفضاء وأمر أن يعمل بديعاً
مهملاً بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت فعملوا له كرسياً من أنياب
الفيلة وفصوصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع
نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين
منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الأخيرتين فسران من ذهب بعضها مقابل
بعض وجعلوا من جانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما
عمود من الزمرد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الأحمر
واتخذوا عناقيد من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسى
قالوا وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير
الكرسى ورجله فيها ويدور دوران الرمح المسرعة وتلش تلك النور

والطراويس أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض
وكذلك يفعل في كل درجة يصعد بها سليمان فإذا استوى بأعلاه أخذ
الأسدان على المخلتين المسك والعنبر يفتتاها عليه ثم تناول حمامة من ذهب
على عمود من جواهر من أعمدة الكرسي التوراة ففتحها سليمان فيقرؤها
ويدعوهم إلى فصل القضاء ؛ قال وتجلس عظماء بني إسرائيل على كرسي
والفضة المنصصة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء
يجلسون على كرسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعاً
الطير وتقدم الناس إليه للقضاء فإذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لإقامة الأدلة
دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دون الرحى المسرعة

قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي ؟ قال بليلا
ذهب وذلك الكرسي مما عمله صخر الجنى قالوا فإذا دار الكرسي بسط
أيديهما ويضربان الأرض باذناهما وينشر الأسران والطاوسان أجنحتهما
منه الشهود ويدخلهم من رعب شديد فلا يشهدون إلا بالحق ، فهذا شأن
سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه

فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسي وحم
أنطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله
وضم قدميه على الدرجة السفلى رفع الأسد يده اليمنى فضرب ساقيه ضرباً
هزها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي
يانطاكية حتى غزاها ملك من الملوك يسمى كدش بن سداس فهزم خليفة
ورث الكرسي إلى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس
ولا الاستمتاع فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أي
والله أعلم ، ومنها بيت المقدس .

(صفة بنيانه وبده أمره)

قال الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) الآية وقال تعالى (ونجيناه ووطأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قيل بالمياه والأشجار والثمار وقيل إن كل ماء عذب يخرج من تحت أصل للصخرة التي ببית المقدس يهبط من السماء إليهما ثم يتفرق في الأرض وذلك قوله تعالى (باركنا فيها للعالمين).

وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ :
«صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة وعلى ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة إلى القيامة».

وأما بده بناء بيت المقدس ، وصفة بنيانه على ما ذكره أهل البصيرة بالسيرة هو أن الله تعالى بارك في نسل إبراهيم حتى جعلهم في السكثرة غاية لا يحصون .
فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقاء وأمرهم أن يرفعوا إليه ما يبلغ من عددهم فكأنوا يعدون زماناً من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى إليه يا داود قد علمت إني وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم تأمري بأن أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم إنه لا يحصى عددهم غيري وإني قد أفسمت لا بتلينيهم ببليّة يقل منها عددهم ويذهب عنك إعجابك بهم وبكثرتهم فاخترتوا إما أن ابتليتكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى وخبرهم فيه فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير أن الجوع لا صبر

(م ٢٢ - قصص الأنبياء)

لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فإن كان ولا بد فاموت لأنه بيده لا بيد غيره
فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى
صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والأهلين وأمرهم أن يضجوا إلى
الله تعالى ويتضرعون إليه لعله أن يرحمهم فأرسل إليهم الطاعون فأهلك منهم في
يوم وليلة ألفاً كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم إلا بعد موتهم بشهر
فلما أصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجداً لله تعالى يبتهل إلى
الله تعالى ويقول يا رب أنا آكل الخبز الحامض وبنو إسرائيل يضرسون يهق
اذنبت وبنو إسرائيل يعاقبون فما كان من شيء أوفى أنزله وأعف عن بني إسرائيل
فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه
السلام الملائكة سائرين سيوفهم فعمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت
المقدس إلى السماء فقال داود لبني إسرائيل إن الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فسجدوا
له شكراً وقالوا كيف تأمرنا قال أمركم أن تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم فيه
مسجداً لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذا كر لله تعالى فأخذ داود في بنائه .

فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فتير يختبرهم ليعلم كيف إنخلاصهم
في بنائهم فقال لبني إسرائيل إن لي فيه موضعاً أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن
تجيبوني عن حقي فقالوا يا هذا ما من أحد من بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد
حق مثل حقك فلا تسكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم
لا تعرفون حقي فقالوا له أما ترضى وتطيب نفسك إلا أخذناه منك كرها فقال
لهم أتجدون هذا في حكم الله وحكم داود ، قال فرجع خبره إلى داود عليه السلام
فقال أرضوه فقالوا بكم نأخذه منه يابى الله قال خذوه بمائة فقال الرجل زدني يابى
الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يابى الله فأنما
نشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطيك قال
تشتريه بحائط مثله زيتوناً ونخلًا وعنباً قال نعم فقال أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل
قال سل ما شئت قال أكرم على الله مني وليكن ابن لي حوله جداراً مشرفاً ثم تملؤه
ذهباً وإن شئت ورقاً قال داود هذا هين فالتفت الرجل إلى بني إسرائيل وقال لهم

هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبي الله لأن يغفر الله لي ذنباً واحداً أحب إلى من كل شيء وهبت لي ولكن كنت اختبرتكم فجدوا في بناء بيت المقدس ، وكان ذلك فيما قيل لإحدى عشر سنة مضت من ملك داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخبر بني إسرائيل حتى رفعوه قائمة وعجزوا فأوحى الله تعالى إليه أن هذا بيت مقدس وأنت رجل سفاك للدماء ولست ببنائه ولكن ابن لك أمة بك بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء ، وأفضى إتمامه على يديه ويكون صيته وأجره لك باقياً فصلوا فيه زماناً إلى أن توفي داود عليه السلام واستخلفه سليمان فأمره الله تعالى بإتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والإنس والشياطين وقسم عليهم الأعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبللور الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضاً لكل ربض منها سبط من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً

فلما فرغ من بناء المدينة ابتداء في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فريق منها يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع اللؤلؤ وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون المسك والعنبر وأنواع الطيب من أما كنسها فأتى بشيء من ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى ، ثم أنه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنظيفها وإصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا بها الجواهر فتصوت صوتاً شديداً اتصالاً بها فذكره سليمان تلك الأصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصدات فقالوا يا نبي الله ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علماً من صخر العفاريث فأرسل إليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعاً وكان يطبع للشياطين بالنحاس والسائر الجن بالحديد وكان إذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان إلا انقاد إليه بإذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأنوه به وهو في بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر إليه كاد أن يصعق خوفاً فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى

دخل على سليمان فسأل سليمان رساله عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله إنه كان يضحك بعض الأحياء من الناس فقال سليمان ما رضيت بشمرك على وترك المجيء إلى طاعتي صرت تسخر من الناس .

فقال يا نبي الله إني لست أسخر منهم غير أن ضحكي كان تعجباً مما كنت أسمع وأرى في طريقى فقال له سليمان وما ذاك ، قال مررت على شط نهر فوجدت رجلاً ومعه بغلة يريد أن يستقيها وحره يريد أن يستقي بها فسقى البغلة وملاً الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشدد البغلة بأذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحك من حق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ، ومررت برجل آخر وهو جالس عند إسكاف يستعمله في إصلاح خفله فسمعتة يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول ملك الموت من قبله فضحك من قلة عقله وجهله .

ومررت بناس قد جالسوا يبتهلون إلى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجالسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاءوا فضحك تعجباً للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولاتك في البحار شيئاً ينحت لي هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت ؟ قال نعم يا نبي الله أعرف حجراً أبيض كاللبن يقال له الساموار غير إني لا أعرف معدنه الذي هو فيه ، وليس في الطير شيء أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن يحمل في صندوق من تلك الجواهر فإنه يأتي بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل إلى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب أن تضم في صندوق من حجر منها يوماً وليلة فحجب عن أفراخه فر مسرعاً وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل إلى أفراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرأ من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم أن فيه الكفاية واستعمل ذلك في أدوات الصناعات فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر إلى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبني

سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر وعمده من المنيا الضافي وسقفه بالواح
الجواهر الثمينة وفصوص سقفه وحيطانه باللالى والياقوت وأنواع الجواهر وبسط
أرضه بالواح الفيروز فلم يكن يوجد يومئذ في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك
المسجد وكان يضيء في الليل كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل
وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي
فرغ منه عيداً لم يتخذ في الأرض قط أعظم عيد ذلك اليوم ولا أطعمه أكثر منه
فذبح فيه من الجزر ألف جزور من البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة ومن الغنم
أربعمائة ألف شاة قالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطن
حائطه بالجص وصقله ، فكان إذا دخله الباراستبان خياله في ذلك الحائط الأبيض
وإذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط أسود فازدع من ذلك كثير من
الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس فكان
من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده.

فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قرباناً على الصخرة ثم قال اللهم
أنت وهبت لي هذا الملك مناً منك على وجهك خليفتك في أرضك وأكرمتني به
من قبل أن أكون شيئاً فلك الحمد ، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خصلاً
أن لا يدخله أحد يصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته
أمه ، ولا يدخله مذنب إلا ثبت عليه ولا خائف إلا أمنت به ولا سقيماً إلا شففته
ولا مجذب إلا أخصبته وأغنيته ، وإذا أجبت دعوتي وأعطيتني طلبتي فاجعل لي
غلامته أن تتقبل قرباني ، قال فتزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد
منها عنق فاحتمل القربان وصعد به إلى السماء .

وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام إلى أن غزا بختنصر بن إسرائيل
فخرّب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب
والفضة والجواهر والآنية إلى أرض بابل ، وكان يدب المقدس خراباً إلى أن بناه
المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره والله أعلم .

(باب في قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى (وتفقد للطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين)
الآية ، قالت العلماء بأخبار القدماء : إن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام
لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى الحرم فتجهز للمسير واصطهب
معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بالغ عسكرة مائة فرسخ
وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وقرب
القرايين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد ﷺ وأخبرهم أنه سيد
الأنبياء وخاتم النبيين وإن ذلك مثبت في زبورهم .

ثم أحب أن يسير إلى أرض اليمن فخرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن يوم
نجم سهيل فوافوا صنتاء وقت الزوال ، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً بيضاء حسنة
قزوه بخضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغذى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد
دليله وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض
فيعرف موضع الماء وعمقه ، ثم تجىء الشياطين فيسأخونه كما يسأخ الإهاب
فيستخرجون الماء .

قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الأزرق
كيف يبصر الماء من تحت الأرض ، ولا يبصر الفخ إذا غطى بقدر أصبع من
التراب ؟ قال ويحك إذا جاء القدر عمى البصر .

وروى قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إنها كم عن قتل
الهدهد فإنه كان دليل سليمان على الماء ، فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعدته
ثم إن الهدهد لما جاء قال ووجهتك من سبأ نبياً يقين لاني وجدت امرأة تملكهم
الآية ، وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه إن سليمان قد اشتغل بالنزول
رتفع إلى نحو السماء ونظر إلى طول الدنيا وعرضها ونظر يميناً وشمالاً فرأى
مستان بلقيس قال إلى الخضره فوق وقع فيها فإذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم

هدهد سليمان يعفور واسم هدهد الين عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبليت ؟
 وإلى أين تريد ؟ قال أقبليت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام ،
 فقال له الهدهد : ومن سليمان بن داود ؟ قال مالك الجن والإنس والشياطين
 والوحوش والرياح ، فمن أين أنت ؟ قال أنا من هذه البلاد ، قال ومن ملككما ؟
 قال امرأة ، قال فما اسمها ؟ قال يقال لها بلقيس ، وإن لصاحبكم سليمان ملكاً
 عظيماً ، وإيكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكة الين كله وتحت يدها اثنا عشر
 ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل . والقيل هو القائد بلغة أهل الين فهل أنت
 مطلق ممي حتى تنظر إلى ملككما ؟ قال فإني أخاف أن يتفقوني سليمان في وقت
 الصلاة إذا احتاج إلى الماء فقال الهدهد اليماني إن صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر
 هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ما عندها ، وما رجع إلى سليمان
 إلا وقت صلاة العصر ، قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب
 الهدهد ، وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا لا نعلم هم ،
 فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فنفق عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعدده .
 وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال : كل سلطان في القرآن حجة ، قال :
 دعا العقاب سيد الطيور فقال علي بالهدهد الساعة ، فرفع العقاب نفسه دون السماء
 حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا .
 فإذا بالهدهد مقبلا من نحو الين فانقض العقاب نحوه يريد .
 فلما رأى الهدهد أن العقاب يريد به سوء فاشده وقال بحق الذي قواك وأقدرك
 على إلا رحمتي ولا تتعرض لي بسوء ، قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك إن نبي
 الله سليمان حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا
 إلى المعسكر تلقاهم الذئب والظير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فقد توعدك
 نبي الله سليمان وأخبروه بما قال ، فقالوا الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى إنه قال
 أو ليأتيني بسلطان مبین ، فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على
 كرسيه ، فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله ، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه
 وألقى ذنبه وجناحيه حتى يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده

إلى رأسه فجذبها ، وقال أين كنت ؟ لا عذبتك عذاباً شديداً فقال الهدهد : يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله ، فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعنا عنه .

أخبر الحسين بن محمد الثقفى بإسناده عن عكرمة فقال : إنما صرف سليمان عن ذبيح الهدهد به بوالديه ثم سأله ما الذى أبطأك عنى قال الهدهد ما أخبر الله به ، أحطت بما لم يحط به ، أى علمت ما لم تعلم به ، وجشك من سبأ بنياً يقين لى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ، وإسمها بلقيس بنت البشير وهو الهذهاذ ، وقيل هى بلعمة بنت شراحيل بن ذى جدن بن البشير بن الحارث بن قيس بن صنها بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكان أبو بلقيس الذى يسمى البشير ويلقب بالهذهاذ ملكاً عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها : وكان يقول للملوك الأطراف ليس أحداً منكم كفؤاً لى وأن أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكر ، وكانت الإلس إذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلعمة وهى بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ، وتصديق ذلك ما أخبر به ابن ميمونة بإسناده عن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال (كان أحد أبوى بلقيس جنياً) قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ورثاً غيرها طلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعوها وتمت المبايعة .

وروى ابن ميمونة بإسناده عن الحسن بن على عن أبى بكر ، قال ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال (لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) قالوا فلما تملك بلقيس اتخذت قصراً وعرشاً .

(صفة القصر الذى بنته بلقيس)

قال الشعمى : روى أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل إليها خمس مائة أسطوانة من رخام طول كل أسطوانة خمسون ذراعاً فأمرت بها فنصب على تل قريب من مدينة صنها وجعلت بين كل أسطوانتين عشرة أذرع ، ثم جعلت فيها سقف منظرمة بالواج الرخام واللحم بعضها إلى بعض بالرخاص حتى صارت كأنها

لوح واحد ، ثم بنت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء ، وفيما بين ذلك مجالس حيطاتها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة ، وجعلت فيه أي في باب ذلك القصر مما يلي المدينة برجاً من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر ، وفي جوانبه حجر الحجارة ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم .

(صفة عرشها)

كان مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكل بالوان الجواهر ، وله أربع قوائم ؛ قائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة من زمرد أخضر ، وقائمة من درأصفر وصفائح السير من الذهب وعليه سبعون بيتاً وعلى كل بيت باب مغلق ، وكان طوله ثمانين ذراعاً في الهواء فذلك قوله عز وجل : وأوتيت من كل شيء ، مما يحتاج إليه في الملك من الأدلة والعدة ، ولها عرش عظيم ، أي سرير ضخم حسن ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آباؤي الماضون ؛ قالوا كانوا يعبدون إله السماء ، قالت وأين هو ؟ قالوا في السماء وعلمه في الأرض ، قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيئاً أشد من نور الشمس فهي أولى بما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت .

قال : فلما قال ذلك الهدد سليمان قال له سليمان ؛ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ؛ ثم أن الهدد دهم على الماء فاحتفروا في الزكاي وهي الآبار القلج تطو ببطن كل واد فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتاباً ؛ من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ ؛ (بسم الله الرحمن الرحيم ؛ السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : أن لا تعالوا على واثقوني مسلمين) .

قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئاً
م كان أبلغ الناس في كتابه وأقله إملأه ، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
كانوا يكتبون جملاً ولا يطيلون كتاباً ولا يكتبون ، قالوا فلما كتب الكتاب
طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ، وقال للهدد : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم
تول عنهم وكن قريباً منهم ؛ فانظر ماذا يرجعون ، أى يردون من الجواب فاخذ
الهدد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بارعة يقال لها مأرب من صنعاء على
حملات أيام فوافها في قصرها ؛ وقد غلقت الأبواب ، وكانت إذا رقدت غلقت
الأبواب وأخذت الممانيح فوضعتها تحت رأسها ومضت إلى فراشها فأناها الهدد
وهي نائمة مستلقية على ظهرها فالتقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة .

وقال وعب بن منبه ؛ كانت الزكوة . معنى طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس
فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدد إلى تلك الزكوة فسدّها
بجناحيه فارتعدت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة
في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من أصل تبع
ابن شراحيل الحميري ، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان
في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكاً منها ، وقالت أن
ملكاً تكون رساله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد ،
ثم أتيا جاءت حتى قدمت على سرير ملكها وجمعت المال من قومها وهم اثنا عشر
بكيل تحت يد كل قيل منهم مائة مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فإذا حزن
بها أمر أسفرت عن وجهها ، فلما جاءوا وأخذوا بحالهم قالت لهم بلقيس ؛
الأنى ألقى إلى كتاب كريم ، أى شريف لشرف صاحبه .

وقال الضحاك ؛ سمته كريماً لأنه كان مخنوماً يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد
الوراق بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (كرم الكتاب ختمه) وقيل ؛
سمته كريماً لأنه مصدر بسم الله الرحمن الرحيم ، فذلك قوله تعالى (إنه من سليمان
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعملوا على وائتوني مسلمين) ثم قالت : يا أيها

الملا أفتوني في أمرى ، وأشيروا على فيما عرض لى ، ما كنت قاطعة ، في بحر كذا تشهدون أى تحضرون ، فقالوا بحيين لها ، نحن أولوا قوة وأولوا بأس ساعده عند الحرب والامر إليك فانظري ماذا تأمرين ؛ تجدينا لامرك طائمين ، فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر ، فصدق الله قولها فقال (وكذلك يفعلون) أنشدنى أبو القاسم الجنيدي في هذا المعنى قال أنشدنى أبى فى معناه ؛

إن الملوك بلاء حيثما حلوا	فلا يكن لك فى أكتافهم ظل
ماذا تأمل من قوم إذا غضبوا	جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
وإن مدحتهم خالوك تخدعهم	واستثقلوك كما يستثقل السكل
فاستن بالله عن أبوابهم كرمأ	أن الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبراً عنها (ولانى رسالة إليهم بهدية) وذاك أن بلقيس كانت امرأة لبديية عاتلة قد سامت الملا عن قومها وجربت الامر وسامته ، ولانى رسالة إليهم إلى سليمان وقومه بهدية أصافعه عن ملكى وأخبره بها أملك أم نى فإن يك ملكاً قبل الهدية والصرف ، وإن يك نبياً لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا أن نتيجه على دينه ، ثم أمدت إليه وصفاء ووصائف ، قال ابن عباس ؛ ألبيتهم لباساً واحداً حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى ؛ وقال ؛ ألبيت الغلمان لباس الجوارى ، وألبست الجوارى لباس الغلمان ؛ واختلفوا فى عددهم ؛ فقال السكبي عشرة جوار وعشر غلمان ، وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة ، وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية . وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت إليه أيضاً بصفائح الذهب واختلفوا فى كثرتها وعددها .

أخبرنى ابن ميمونة أيضاً بإسناده عن ثابت بن أنى فى قوله تعالى (ولانى رسالة إليهم بهدية) قالت أمدت له صفائح من الذهب فى أوعية الديباج ، فلمنا بلغ ذلك سايمان أمر الجن فوهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فالقى فى كل مكان .

هؤلاء جاءوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان ، قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه
همنا ملقى لا يلتفت إليه فصرخ في أعينهم ما جاءوا به ، وقيل كانت أربع لبنات
من ذهب .

وقال وهب بن منبه وغيره من أهل الكتاب عدت بلقيس إلى خمسمائة
جارية وخمسمائة غلام فالبتت الجوارى لباس الغلمان والأقبية والمناطق ،
والبتت الغلمان لباس الجوارى ؛ وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي
أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر
وجعلت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان في خمسمائة برذون على كل فرس
سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبمئت إليه أيضا
خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع وأرسلت إليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والألنجوج وسمدت إلى حقة
فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خمرزة مثقوبة موهجة الثقب ودعت
رجالا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمنت إليه رجالا من قومها
أصحاب الرأس والعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في الكتاب ؛ إن
كنت نبييا فبين الوصائف والوصفاء واخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها وثقب
الدرة ثقباً مستويا وادخل خيطا في الخمرزة ثم امرت بلقيس الغلمان فقالن لهم ؛
إذا كنتم ساييمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخفيف يشبه كلام النساء وامرت
الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم لأنها قالت للرسول ؛
انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظرة غضب فاعلم أنه ملك فلا
يبهرك منظره فأنا اعز منه ؛ وإن رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل
فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا .

فأما رأى الهدى ذلك أقبل مسرعا إلى ساييمان واخبره بالخبر كله فأمر ساييمان
الجن أن يهمنوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ، ثم أمرهم أن يبسطوا له
من موهبته الذي هو فيه إلى تسع فراسخ ميدانا واحداً بابنات الذهب والفضة
وأن يحملوا حول الميدان حيطاناً مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم

ان الدواب احسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا ؛ يا بني الله انا رأينا في بحر كذا
دواب مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواص فقال سايمان ؛ على بها الساعة
فأتوه بها ؛ فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره عن لبنات الذهب والفضة
والقوا لها علوفة فيها ، ثم قال للجن على بأرلادكم فاجتمع خاق كثير فأقامهم فيها
عن يمين الميدان وعن يساره . ثم قعد سايمان في مجامسه على سريريه ووضع اربعة
آلاف كرسي عن يمينه ومشاها عن يساره ، وأمر الشياطين ان يصطفوا صفوفاً
فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور
فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره ، فأما اقبل القوم ودنوا من الميدان
ونظروا إلى ملك سايمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مشاهة تروث على ابن
الذهب والفضة تقاصرت إليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا .

ثم رد سايمان الهدية كلها وقال (اتمدون بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل
انتم بهديتكم تفرحون) لأنكم اهل المفاخر والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير
ذلك وايدست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنتني منها واعطاني ما لم يعط
أحد من العالمين فيها ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى اكرمني بالنبوة والحكمة
ثم انه قال للمنذر بن عمرو وأمير القوم (ارجع إليهم بالهدية فليأتنيهم بجنود
لا قبل لهم ولا يخرج جنهم منها أفلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين) قالوا فأما
رجعت رسل باقيس إليهما من عند سايمان واخبروها قالت ؛ والله ما هذا بملك
وما لنا به من طاقة ، فبعثت إلى سايمان عاينه السلام لأنى قادمة بملوك قومي حتى
انظر ما أمرك وما تدعون إليه من دينك ثم ان باقيس أمرت بعرضها فجعل في
سبعة ابيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم اغاقت دونه الابواب
ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خافت على سلطانها احتفظ بما قبلك
وسرير ما لكى فلا تخاص إليه أحداً ولا يراه حتى آتيك ؛ ثم انها أمرت مناديا
ينادي في ارض مما سكنتها ليؤذنهم بالرحيل ، ثم شخصت إلى سايمان في اثني عشر
ألف قيل من ملوك الين ؛ تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل ؛ قال ابن عباس وكان
سايمان عاينه السلام رجلاً مهيماً لا يبتدىء بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه ؛

على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا
الله قال : أو قد نزلت منا بهذا المكان ؟ قالوا نعم .

عباس : وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل ساييمان على
مال (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسامحين) أي طائعين خاضعين .
اختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر ساييمان بإحضار العرش ، فقال
رهم لأن ساييمان علم أنها إذا أسلمت حرم عايه مالها فأراد أن يأخذ سريرها
أن يحرم عايه أخذه بإسلامها .

وقال قتادة : لأنه أعجبه صمته لما وصفه الهدد فأراد أن يراه قبل أن يراها و قيل
ليرىها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه في معجزة يأتى بها في عرشها (قال عقريت من الجن)
وهو المارد القوي (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من أي مجلسك الذي
تقضى فيه ، قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه إلى نصف النهار
واختلفوا في اسمه فقال وهب : إنه كودي ، وقال شعيب : إنه كردان
(ولأنى عليه لقوى) أي قوى على حمله (أمين) على ما فيه من الجواهر ، فقال
سليمان أريد أسرع من هذا (فقال الذي عنده علم الكتاب) واختلفوا فيه فقال
بعضهم هو جبريل عايه السلام وقال آخرون ، مالك من الملائكة أيد الله به نبي
عايه السلام . وقال آخرون . بل كان رجلا من بني آدم . ثم اختلفوا فيه
أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعي بن ماسكيا وكان صديقا يعلم اسم
الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الإتيان بالعرش
فروى عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها أن الإسم الأعظم الذي دعا به آصف
ابن برخيا . يا حي يا قيوم . وروى عن الزهري قال . دعا الذي عنده علم من
... ب يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا وإله لا إله إلا أنت ائمتنى بعرشها .
وقال مجاهد إذا الجلال والإكرام .

فأما رأى ساييمان العرش مستقرا عنده محمولا إليه من مارب إلى الشام في قدر
ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة (قال هذا من فضل ربي ليبلونى أشكر أم أكفر

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) أى لم ينفع بذلك إلا نفسه حيث استوجب شكره
لتمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن
كفر فإن ربح غنى) عن شكره (كريم) الأفضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان
عليه السلام (نكروا لها عرشها) أى زيدوا وأنقصوا منه وجعلوا أعلاه أسفله ،
وأسفله أعلاه (تنظر أتهتدى إلى عرشها فتعرفه ، أم تسكون من الجاهلين) الذين
لا يهتدون إليه أراد أن يختبر عقلمها ، وأن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان
ويستولدها فتعشى إليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من
بعده فأرادوا أن يزهوه فيها فأساءوا الشئاء عليها وقالوا إن فى عقلمها شيئاً وإن
رجليها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلمها بتذكير عرشها وينظر إلى قدميها
ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس (قيل لها أهكذا عرشك قالت كانه هو) فشبهته بها
وكانت قد تركته خلفها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلمها .

قال الحسين بن الفضل فشبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم
ولو قالوا لها هذا عرشك فقالت لهم نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بالتلائم وبحيشتها
طائفة من قبلها ، أى من قبل بحيشتها وكنا مسلمين طائعين خاصين بها هذا
قول مجاهد وغيره ، وقال بعضهم هو قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت
قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصدقة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المنقمة من
قبلها أى من قبل هذه الآية ، وكنا مسلمين أى متقادين لك مطيعين لأمرك من قبل
أن جئناك ، وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تریده أمر الشياطين فبنوا لها صرحاً
أى قصرأ من زجاج كأنه الماء بياضاً وجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ثم
وضع سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت الطير والجن والإنس .

ولما أمر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان
ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا تنفك من العبودية والسخره
أبدأ فأرادوا أن يزهوه فيها فقالوا إن رجليها رجل حمار وأنها شعراء الساقين
لأن أمها كانت جنية فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقيها فأمر
ببناء الصرح .

وقال وهب بن منبه : إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يواجها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليز بين الذكر والأنثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبنه لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقها لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها كانت شمراً الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداهما إنه صرح بمدد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان إنى أريد أن أسألك عن شيء قال سلى ، قالت أسألك عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء وكان سليمان إذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الإنس فإن كان عندهم علم ذلك وإلا سأل الجن فإن علموا وإلا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك أومر بالخيول أن تجرى ثم املا الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل ثم قالت اخبرنى عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجداً وصاحقاً فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك ؟ قال يا جبريل ربى أعلم بما قالت ، قال فإن الله يأمرك أن ترجع إلى سريرك فترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألهما وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال عن ماذا سألتينى ؟ قالت سألتك عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فأجبت قال أى شيء سألتينى أيضاً قالت ما سألتك عن شيء إلا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وألساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال الهدد والهدية والرسول والعرش والصرح فأجابت وقالت رب إنى ظلمت نفسى بالكفر وأسلبت مع سليمان لله رب العالمين .

واختلف العلماء فى أمرها بعد الإسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها فسأل الإنس والجن والشياطين ؟ فقالوا لا ندرى فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتاج لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام .

قال ابن عباس : إنه أول يوم رؤيت فيها النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام
أنخبرني ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي ﷺ قال : أول من اتخذ
الحمامات سليمان عليه السلام ، فلما التصق ظهره بالجدار ، قال أوامه من عذاب الله
تهالى ، قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن
فبنوا لها بأرض اليمن ثلاث حصون لم ير الناس مثلاً ارتفاعاً وحسنأوهى : سلحين
وعمدان وبنيون ثم إن سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى
ملكها ويقم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام .

وروى محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ، قال سليمان لم يقبس .
لما أسلمت وفرغ من أمرها اختار من رجلا من قومك حتى أزوجهك إياه قالت ومثلي
ينسكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم
إنه لا يكون في الإسلام إلا ذاك ، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت
زوجني إن كان ولا بد من تبع إلا كبر ملك همدان فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن
وجعل زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن وقال له أعمل
لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكاً يعمل
فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام وقال فلما حال الحول وبلغ الجن موت
سليمان عليه السلام أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ
بأعلى صوته يا معشر الجن أن سليمان نبي الله قد مات فافزعوا أيديكم قال فعمدت
الشياطين إلى حجرين عظيمين فكتبا فيهما كتاباً بالمسند يعني خط الحيرية نحن
بنينا سلحين وابنيين وبنينا صرواح ومرواح وفنقون وهندة وهندة ودلوم وهذه
الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لما رفعوا أيديهم
فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه
السلام والله أعلم .

(باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام وأبازوجته الجرادة)
(وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وروى محمد بن إسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج إلى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسي ما فيها فأصاب فيما أصاب بذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلاً حسناً وجمالاً فاصطفاهما لنفسه ودعاهما إلى الإسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حباً شديداً لم يحبه أحداً من نساؤه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرفأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرفأ ، فقالت إني أذكر أبي وأذكر ملكي وسلطاناه وما كان فيه فيحزني ذلك ، فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكاً هو أعظم من سلطاناه وهداك الله إلى الإسلام وهو خير لك من ذلك كله فقالت :

إن ذلك حقاً ولستكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن ، فلوأنتك أمرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشيرة لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسلميني عن بعض ما أجد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صدموه فآزرته وقصته وعمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم أنها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدوا إليه في ولائها فانسجد له ويسجدن له معه كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح إليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بذلك أربعين صباحاً فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقاً وكان لا يرد عن باب سليمان في أي ساعة أراد

دخول بيته دخل حاضراً أم غائبة فأتاه ، فقال يا نبي الله كبر سنّي ودق عظمي ونفذ عمري وقد حان الذهاب مني وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلبي فيه وأعلم الناس بعض ما يحملون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى إلى سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأروعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظاً فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فلما أتاه قال له : يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنت عليهم خيراً في كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فما ذكرتني أثنت على بخير في صغري وسكنت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري؟ فقال له أن غير الله يعبد في دارك أربعين صباحاً في هوى امرأة ، فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد علمت أنك ما فعلت إلا عن شيء بلغك .

ثم إن سليمان رجع إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها .

ثم إنه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبقار ولا تمسها امرأة ذات دم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى هلمس على ذلك الرماد وتملك فيه بثيابه تذلل الله تعالى وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر بما كان في داره ويقول فيما يقول :

رب ما كان ينبغي لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقرؤا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره .

وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان إذا دخل مذهبها أو أراد قضاء حاجة أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه

إلا وهو متطهر لأن خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً من الأيام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرًا فظننته سليمان لأنها لم تنكر منه شيئاً فقال يا أمينة خاتمي فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فكفت عليه الطير والجن والإنس والشياطين .

فخرج سليمان فأتى إلى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهوداً منه عند كل من رآه .

فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت ؟ قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار فيقول أنا سليمان بن داود فيحشون عليه التراب ويسبونونه ويقولون انظروا إلى هذا المجنون وأي شيء يزعم يقول إنه سليمان .

فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجهاً إلى البحر فمكان ينقل الخيتان لأصحاب البحر من البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى السمكتين بأربعة وشوى الأخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحاً عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره .

فأنكر آصف بن برخيا وعلباء بنى إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين يوماً ، فقال آصف يا معشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيتم ؟ قالوا نعم فقال أمهلوني حتى أدخل على نسائه فاسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلايته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكم هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن

أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا هو البلاء المبين .

ثم إنه خرج إلى بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فله حضرت أربعون صبيا خازن الشيطان عن مجلسه ، ثم مر في البحر فقذف الخاتم فتها فابتلعت سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد إلى السمكة الأخرى فشقها ليثويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فمكث عليه الطير والجن والإنس والشياطين وأقبل على الناس .

وعلم أن الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه . ثم أمر الشياطين وقال اتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به وفتحت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر ، فهذا حديث وهب بن منبه .

قال وأقبل سليمان على حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم ، وقال إني سليمان بن داود فقام إليه بعضهم فخر به بمصاه فشججه فسأل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته ، فقال إنه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين من ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن إحدىهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاده وجاءت الطير حتى حامت عليه فحرفه القوم فجاءوا يمتدرون إليه عما صنعوا ، فقال ما أوأخذكم على عدوانكم ولا أوأمكم على ما كان منكم هذا ما كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن

أتوا بالشيطان الذى أخذ خاتمته فألقى به فجعله فى صندوق من حديد ثم أطبقه
أقفل عليه بقل وبختمه بخاتمته ثم أمر به فألقى فى البحر وهو فيه كذلك .
لى الساعة .

وفى بعض الروايات : أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده
وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاد عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت
فى يده أيقن بالفتنة ؛ فقال آصف لسليمان إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يماسك
أربعة عشر يوماً ففر إلى الله تائباً من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير فى عمالك
وأهل بيوتك بسيرك إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك ففر سليمان هارباً
إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وأن الجسد الذى قال الله تعالى
(وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) هو آصف كاتب سليمان : وكان عنده علم
من الكتاب فأقام آصف فى ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة
عشر يوماً إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائباً إلى الله تعالى ورد الله عليه ملكه
فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت .

وقال الشعبي فى سبب زوال ذلك ولد سليمان ابن فاجتمع الشياطين فقال
بعضهم لبعض أن عاش له ولد لم تنتهى مما نحن فيه من البلاء والسنخرة فسيبنا أن
نقتل ولده أو أن نخبلة فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب أن تأخذ إبنه وأمر الريح
فحملته وغدا إبنه فى السحاب فأمن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين
ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله (وألقينا على
كرسيه جسداً له ثم أناب) والله تعالى أعلم .

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) الآية ، قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجراب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث أحب .

قال فتزيا لهم إبليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم ؟ قالوا ما لنا طاقة لما نحن فيه فقال إبليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغاً لا تحملون شيئاً قالوا نعم ، قال فأنتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجهين فجاءهم إبليس فقال كيف أنتم ؟ فشكوا إليه وأخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجهين فقال لهم إبليس أنامون بالليل ؟ قالوا نعم قال فأنتم في راحة .

قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم إبليس فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار وإنهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم : قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم إبليس وما يشاء فعله قالوا نعم فتوقعوا الفرج وقد بلغ الأمر منتهاه فلم يلبثوا إلا قليلاً وقد مات سليمان عليه السلام .

قال ابن عباس وغيره : كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرا به فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك أنه لم يكن يوماً يصبح فيه إلا تنبت له في بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لا شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت تنبت الغرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وإن كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا .

فبينما هو يصلي يوماً إذا رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت
الخرفوبة قال ولأي شيء تبتك ؟ قالت لخراب هذا المسجد .

فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخبره وأنا حي أنت التي وجمك
هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وخرسها في حائط له .

ثم قال اللهم عم عن الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ؛
وكانت الجن تنبئ الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد .

ثم إن سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ثم بقي على تلك الحالة
ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال سليمان للملك الموت إذا أمرتني فأعلمني ؛
قال فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقي لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا
صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت
فقبض روحه وهو متكئ على عصاه .

وفي رواية أخرى أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه : إن الله تعالى
آتاني من الملك ماترون وما مر علي يوم في ملكي صاف من الكدر ؛ وقد أحببت
أن يكون لي يوم واحد يصفو لي إلى الليل ؛ ولا أغتم فيه ولا أكن ذلك اليوم غداً
فلما كان من الغد دخل قصر له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه
ومنع من رفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها
فوق خصره واتكأ عليها ينظر إلى مالهيكه إذ نظر شاباً حسن الوجه عليه ثياب بيض
قد خرج عليه من جانب القصر فقال السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام
فكيف دخلت على هذا القصر بغير إذني ، وقد منعت من دخوله أمامك البواب
والحجاب ؛ أما هبتني حين دخلت قصرى بغير إذني ، فقال أنا الذي لا يجيبني حاجب
ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرضا وما كنت لأدخل هذه

القصير بغير إذن ، فقال سليمان فمن إذن لك في دخوله فقال له ربي ، قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت ، فقال له أنا ملك الموت ؛ قال نعم قال فيم جئت قال لأقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصنولي ولا أسمع فيه ما يغمني .

قال يا سليمان إنك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا ينفعك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له ، قال فأقبض كما أمرت فأقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه أقالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان ، وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه .

فقال بعض الشياطين لصاحبه إن كنت جليداً فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأة وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الأرض فلم يعملوا منذ كم مات فوضعوها الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحور فوجدوه قد مات منذ سنة ، وكانوا يعملون بين يديه وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس الطول صلواته قبل ذلك .

وفي رواية ابن مسعود ، فسكتوا يداون له بعد موته حولا كاملاً فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له .

ثم إن الشياطين قالوا الأرضة لو كنت تأكلين الطعام لا نبتاك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيتك أعذب الشراب ولسكننا نقتل إليك الماء والطين

فشكراً لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأنيها به الشياطين تسكن إليها
فذلك قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض ،
تأكل منسأته) الآية .

قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه
منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت
المقدس لأربع سنين مضين من ملكه ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعام
وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبياً ولم يكن رسولاً ، ثم قبض وكان ملكه
ثلاثاً وستين سنة ، ثم ملك بعد ابنه أساين آفيا وكان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج
يعتريه عرق النساء فطمع فيه الملوك لضعفه وافتقرت ملوك بني إسرائيل فغزاهم ملك
من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة
فهمزمتهم فقصدها البحر حتى إذا ركبوا جميعاً بعث الله عليهم الرياح والأمواج
فضربت سفنهم بعضها في بعض فتسكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه
واضطربت الأمواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم إلى حلة بني إسرائيل
ونودوا أن يخذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم
الملوك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهمسكهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم
الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني إسرائيل الأصنام من
دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر .

(مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به)

ونخبر شعياً وأرمياً وعزير

عليهم وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام

قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) إلى قوله عز وجل
(وجعلنا جهمهم للكافرين حصيراً) .

(قصة شعيب عليه السلام)

قال محمد بن إسحق وغيره من أهل السير والأخبار: كان فيما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني إسرائيل من أحداثهم وما هم فاعلمون بعده كما قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً) إلى قوله (حصيراً) فكانت بنو إسرائيل يركبون الأحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعظفاً وإحساناً إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام بأن ملكاً منهم كان يدعى صديق وكان الله تعالى إذا ملك ملكاً من ملوك بعث الله له نبياً يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتاباً وإنما يأمرهم أن يأمرُوا بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء إلى ما تركوا من الطاعات.

فلما مات ذلك الملك بعث الله تعالى شعيباً بن أمضياء وذلك قبل مبعث زكريا يحيى وعيسى وشعيباً هو الذي بشر بيت المقدس حين شكوا إليه الخراب فقال لأبشركم فإنه يأتيكم ركب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً.

فلما انقضى ملكه فيهم عظمت الأحداث الرديئة وشعيباً فيهم فبعث الله عليهم مستجارياً ملكاً بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء إليهم شعيباً فقال يا ملك بني إسرائيل إن مستجارياً ملكاً بابل قد نزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية وأقبل حائراً حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبمدونا مستجارياً وجنوده فقال للنبى لم يأت وحى فيبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى شعيباً عليه السلام أن أنت ملك بني إسرائيل فأمره أن

يوصي بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعيباً صديق فقال إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك أن توصي بوصيتك وتستخلف من شئت على مملكك من أهل بيتك فإنك ميت ، فلما قال ذلك شعيباً لصديق أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى بقاب مخلص وظن صادق .

اللهم رب الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رءوف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم أذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني إسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني وسري وعلايتي لك .

ثم إن الله تعالى استجاب دعاءه ورحمه وكان عبداً صالحاً ، فأمر الله تعالى إلى شعيباً وأمره أن يخبر صديق الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخرج أجملة خمس عشرة سنة ، وانجاء الله تعالى من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعيباً وأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع عنه الهزال ونخر ساجداً لله تعالى .

يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وكبرت وسبحت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي .

فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعيباً ، أن قل للملك صديق أن يأمر عبداً من عبيده فيأنيبه بما أذن فيجعله على قرحته فيشفي ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعيباً ، سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيباً قل له إني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وأنهم سيصيحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ

على باب المدينة يا ملك بني إسرائيل قد كفأك الله عدوك فاخرج فإن سنجاريب
ومن معه هلكوا فلما خرج التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في
طلبه فأدركه الطالب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مغارة أحدهم يختصر
فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل فلما رأهم خر ساجداً لله تعالى
من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم
يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أناني خبر ربكم
ونصرته إياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلا أطلع مرشداً ولم يلقي في الشقوة
إلا قلة عاقلي فلو سمعت وعقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معي
قال : فقال صديق الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما يشاء إن ربنا لم يهلككم ومن
معكم أكرامتك عليه ولكن لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة .

ثم أن بني إسرائيل تنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضاً وظهر فيهم البغي
والعساد ونبيهم شيعاء فيهم لا يرجعون إليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال
الله تعالى لشيعاء عليه السلام : قم في قومك يوحى عليك ؛ فلما قام النبي أطلق
الله أسأله بالوحي فقال .

يا سماء اسمعي ويا أرض انصتي فإن الله أراد أن يقضى شأن بني إسرائيل
الذين رباهم بنعمته وأعطاهم لأنفسهم ونخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم
بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاربها وجمع ضالها وجبر
كسيرها وداوى مريضها وأسكن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت
فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم عظيم صحيح يجبر إليه كسير
فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجهم الخير أم الشر وإن البعير يذكر
وطنه فينتابه وأن الحمار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وأن الثور يذكر
المسرح الذي يصرح فيه فينتابه وأن هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير
وهم أولوا الأبواب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير أنى ضارب لهم مثلاً فليسمعوه

قل لهم كيف ترون في أرض كانت خراباً مواتاً فبعثت خراباً زماناً طويلاً بلا
 عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه
 فأحاط عليها جداراً وشيد فيها قصرأ وأجرى نهرأ وأنبت عليها غرساً من الزيتون
 والرمان والنخيل والأعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه إذا رأى
 حفيظاً قوياً أميناً فانتظرها فلما أطلعت جاء طلوعها خرنوباً فقال بئس الأرض هذه
 ترى أن يهدم جدرانها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما
 كانت خراباً أول مرة مواتاً لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم أن الجدار ذمتي
 وأن القصر شريعتي وأن النهر كتابي وأن القيم نبي والغراس هم وإن الخرنوب
 الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وأنا قضيت عليهم لمضاهم على أنفسهم وأنه
 مثل ضربه الله لهم فمرهم يتقربوا بذبح البقر والغنم ليس ينالني اللحم ولا آكله
 لكن يتقربون إلى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأيديهم مخصوبة
 منها وبناتها مزمنة بدمها ، ويشهدون إلى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها
 وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست
 أسكنها وأى حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها وإنما أمرت برفعها
 لا ذكر فيها وأسبح ولتكن معلماً لمن أراد أن يصلى فيها ويقولون لو كان الله يقدر
 على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمدوا إلى
 عودين يابسين ثم ابنيهما وهم في أجمع ما يكون فقل للعودين إن الله يأمركما أن
 تكونا عوداً واحداً فلما قال لهما ذلك اختلطاً بعضهم في بعض فصارا عوداً
 واحداً فقال الله تعالى إني على كل شيء قدير وأنا الذي صورتهم يقولون ضمنا فلم
 يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصد فلم ترك صدقاتنا وإن دعونا بمثل
 حنين الجمل وبكينا بمثل عواء الذئاب متذللين كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا
 قال الله تعالى فسلمهم ما الذي يمنعني أن استجيب لهم أليس أسمع السامعين وأنظر
 الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين وأن رحمتي وسعت كل شيء إنما يترحم
 المتراحمون بفضلي ، أو لست أكرم الأكرمين .

وأنا مفتاح بالخيرات ألت أجد من اعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لا بصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم؛ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويقوون عليه بطعمه الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن إلى من يحاربني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عني صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وإنما أجزى عليها أهلها المغصوبين

أم كيف استجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بالسنتهم والعقل من ذلك بعيد إنما استجيب قول المستعف المسكين وإن من علامة رضاي رضا المسكين ولورحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المعضوب وعالوا الغائب وأدوا إلى الفقير واليتيم والأرملة والمسكين حقه .

ولو كان ينبغي أن أكلم البشر إذا تكلمتهم وكففت أذانهم وكنيت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنيت قوة أيديهم وأرجلهم وكنيت السنتهم إلا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي أنها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتأليف فيها يؤلف السحرة والمكهنات وزعموا أن لو يشاءوا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وإن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين إذا طلّعوا وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يبذرون وما يكتُمون وإني قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء بينته على نفسي وجعلت له أجلا موجلا لا بد أنه واقع فإن صدقوا فيما يذبحون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه وفي أي زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضي فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين فإني قضيت يوم خلقت السموات والأرض بأن أجعل

النبوة في الاحرار واجعل الملك في الرعاء واجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء
والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والاحكام في المفاوز والثرى
في الغيطان والعلف في الجملة والحكمة في الاميين فسلمهم من هذا ومن المقيم بهذا وعلى
يد من انشئه ومن اعوان هذا الامر وانصاره فاني باعث لذلك نبيا اميا لا اعصى
من العميان ولا ضالا من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق
ومترى بالفحش ولا قولالا بالحناء اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوقار
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعادل سيرته والحق شريعته والهدى امامه
والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به
الحنالة واشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر واجمع به بعد
الفرقة وأولف به قلوبا مختلفة وأهواء مشتتة وأما متفرقة واجعل أمته خير أمة
أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون
قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاثلون في سبيل الله صفوفًا ورحلًا ويخرجون
من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والتهليل والتسبيح والتمجيد
والتوحيد في مسيرهم وبحالهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومشواهم يكبرون ويهللون
ويقدسون على رؤوس الاشراف ويظهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون
الشباب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث
بالنهار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فلما فرغ شعيبا من مقالته غدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فليقيته شجرة
فانفلقت له فدخلها ، فأدركه الشيطان ، فأخذ بهذبة من ثوبه فأراهم إياها
فوضعوا المنشار في وسطها فذسروها ، حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها

(قصة أرميا عليه السلام)

فاستخلف الله على بني إسرائيل بعد قتلهم شعياء رجل يقال له فاشمة بن أموس.
وبعث الله إليهم الخضر نبياً ليسدده ويأتيه بالخير من الله تعالى وإسم الخضر
أرميا بن خليفاء .

وكان من سبط هرون بن عمران وإنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء
فقام عنها وهي تزهو بخضراء قال الله تعالى لأرميا حين بعثه إلى بني إسرائيل
يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك من قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك
ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السمي نبأتك
ولا امر عظيم اجتبييتك فذكر قومك نعمي وعرفهم أحداهم وادعهم إلى . فقال
أرميا إني ضعيف إن لم تقوتي عاجزاً إن لم تنصرني ، فقال الله تعالى أنا أهلك
فقام أرميا فيهم خطيباً ولم يدر ما يقول ؛ فألهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة
طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعذاب المعصية ؛ وقال لهم في آخرها إن الله قال :
فإني أحلف بعزتي وجلالي إن لم ينتهوا لا فيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولا سلطان
عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم .

ثم أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام إني مهلك بني إسرائيل بياض
ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح ؛ فلما سمع أرميا بكى وصاح وشق
ثيابه وحشا الرماد على رأسه ؛ فلما سمع الله تضرع أرميا وبكاه ناداه يا أرميا
تأشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل
عالم لا أسربه . فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحداً من بني إسرائيل حتى
يكون الأمر في ذلك من قبلك ؛ ففرح أرميا بذلك وظابت نفسه وقال والذي
بعث موسى بالحق لا أَرْضِي بِهَلاك بني إسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملسكا
صالحاً ففرح واستبشر وقال ، إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن يرحمنا فبرحمته

ثم لأنهم لبشوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها إلا معصية وتمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وفي الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس .

فلم يصل بختنصر سائراً إلى الملك وقد أتى الملك الخبر فقال الملك لأرمياء أنت زعمت أن الله أوحى إليك ، فقال أرمياء إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل وأراد هلاكهم بعث إلى أرمياء ملكاً قد تمثل له في صورة رجل من بني إسرائيل ، فقال له يانبي الله إني استفتيك في أهل رحى وصلت أرحامهم ولم أزل إليهم محسناً ولا يزيد إكرامى إليهم إلا استخفافاً بي فافتنى فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث إلا أياماً ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء أو ما ظهرت أخلاقهم بعد ، قال يانبي الله والذي بعثك بالحق نبياً ما أعلم كرامتهم يأتونها أحد من الناس إلا أهل رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل .

قال أرمياء عليه السلام ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين أو يصلحهم فقام الملك فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففرع منهم بنو إسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لأرمياء يانبي الله أين ما وعدك الله به ؟ قال إن برى لوائى ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعد فقعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يانبي الله كل شيء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتمهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أى عمل رأيتمهم : قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فنضبت لذلك وأتيتك لأخبرك ، وإنى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبياً إلا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم ، فقال أرمياء ياملك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فابقهم وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم .

قال فما خرجت الحكمة من فم أرمياة تماماً حتى أرسل الله صاعقة من السماء
 في بيت المقدس فالتهب مكان العربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى
 ذلك أرمياة صاح وبكى وشق ثيابه وجثا الرمال على رأسه وقال : يا ملك السموات
 والارض أين معادك الذي وعدتني ؟ فتودى أنه لم يصيبهم الذي أصابهم
 إلا بفتياك ودعائك فاستيقن أرمياة عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان
 رسول ربه فسار أرمياة حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت
 المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يلقوه في بيت
 المقدس فلقفوا فيه التراب حتى ملئوه ثم انصرفوا إلى بابل واحتمل معه سبايا
 بني إسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير
 من بني إسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده
 قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها وأقسم بيننا هؤلاء
 الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة
 غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنايا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف
 من أهل بيت داود وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين
 وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن
 يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى لبني يعقوب ومن بقي من
 بني إسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثاً أقره بالشام وثلثاً سبي وثلثاً قتل
 وذهب بأواني بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلن السبعين ألفاً وسائر
 السبايا حتى قدمهم بابل وكانت تلك الواقعة الأولى التي أنزلها الله على بني إسرائيل
 بأحداشهم وظلمهم وذلك قوله تعالى (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا
 أولي بأس شديد) يعني بختنصر وجنوده ،

وكان بدء أمر بختنصر على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم
 عن سعيد بن جبير كان رجل من بني إسرائيل يقرأ التوراة حتى إذا بلغ (بعثنا
 عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) بكى وفاضت عيناه وأطلق المصحف ثم انطلق

إلى المسجد وقال يا رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه
فأرى في المنام أنه مسكين بابل يقال له بختنصر فأنطلق بمال وعبد له وكان رجلاً
موسراً ؛ فقبل له أين تريد ؟ قال أريد التجارة .

ثم ذهب حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو
المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأبىه أحد مسكين إلا أعطاه ، فقال هل من مساكين
غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فرعون مريض يقال له بختنصر ، فقال اغلبانه
انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه .

فقال له ما اسمك ؟ قال بختنصر فقال اغلبانه احموه فنقلوه اليه ومرضه حتى
برى فـكساه وأعطاه نفقة .

ثم أذن الإسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي ما يبكيك ؟
فقال أبكي لأنك فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيئاً أجازيك به ، فقال جزائي
شئ يسير قال وما هو ؟ قال له إن صرت ملكاً وملكك بيت المقدس أعطيني
ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستعزيء بي ولا يمنعني أن يعطيني ما سأله .

قال : فبكى الإسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك إلا الله
تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فـكـتب له كتاباً وضرب الدهر ضرباته فقال يوماً
سيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طليعة إلى الشام قالوا ماضرك لو فعلت
قال فمن ترون قالوا فلاناً فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف نخرج بختنصر في مطبخه
لم يخرج إلا لياً كل في مطبخه .

فلما قدم إلى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الأرض فرساناً ورجلاً
جلداً فـكـبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شئ .

وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجلس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم
ما منعكم أن تغزوا ببابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيئاً كثيراً فقالوا إنا لا نحسن

القتال ولا تقاتل حتى تنفذ بجالس أهل الشام وتعرف سرائرهم ثم إن الطليعة رجعوا فأخبرهم ملكهم بما رأوا وكان مختصر رجع معهم فجعل يقول لفراس الملك لو دعاني الملك لأخبرته غير الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك إلى الملك فدعاه فأخبره الخبر ، وقال إن فلاناً لما رأى أكثر أهل الأرض كراماً ورجلاً جلدأ كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء لأنى لم أدع مجلساً بالشام إلا جلست فيه . اسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا .

قال سعيد بن جبير : قال صاحب الطليعة لمختصر لك مبلغ مائة ألف دينار وترجع عما قلت . فقال لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته ؟ فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام فإن وجدوا مسافراً ساغوا ولا أمسكوا ماقدروا عليه ؟ فقالوا ماضرك لو فعلت ذلك قال فن ترون قالوا فلاناً قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعى بمختصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فالطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات مسيحيون الملك فقالوا استخلفوا ملكاً قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم فأملوا حتى جاء بمختصر بـ ١٠٠٠٠ فقسمه بين الناس ، فقالوا ما رأينا أحق بالملك منه فهذه القصة التي حدثت على أنفسهم .

وقال السدي بإسناده أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يد غلام يتيم بن أربعة من أهل بابل يدعى بمختصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاهم ثم قعد في جانب البيت فكلّمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاماً وشراباً فاشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزا وبدرهم خمرأ وجاء به فاكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك وفي اليوم الثالث فعل كذاك ثم قال له الإسرائيلي لأنى أحب أن تكتب لي أماناً إذا أنت ملك يوماً من الدهر .

فقال بختنصر آتسخر مني قال لا أسخر منك واسكن ما عليك أن يجعل عندي لك بيتاً فبكلمته أمه فقالت : ما عليك إن كان وإلا لم ينقصك شيئاً فكتب له أماناً .

فقال أرايت إن جئتكم والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفةك على قصبته فأعرفك بها فكتب له أماناً وأعطاه إياه ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليه السلام ويدني مجلسه ويستشير به في أمره ولا يقطع أمراً دونه وإن الملك هو أن يتزوج بنت امرأة له هذا يقول السدي .

وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بعث عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام في اثني عشر من الخواريين يعلمون الناس وكان فيما نهام عنه نكاح بنت الأخت .

قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها وذكر الحديث في مقتل يحيى بن زكريا عليهم السلام .

رجعنا إلى حديث السدي فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فخطبت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبست ابنتها ثياباً حمراء رقاقاً فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلل شيئاً لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وإن تعرض له فإن راودها عن نفسها أبت عليه حتى يهبطها ما سألته ويكون الذي تسأله أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجاءت تسقيه الخمر وتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما أسألك ؟ قالت أسألك أن تبعث إلي يحيى بن زكريا فتأنيدي برأسه فقال ويحك سأليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أأبت عليه بعث إلى يحيى فأبى برأسه فعمدت الرأس تكلم حتى وضعت

بين يديه وهي تقول إنها لا تحمل لك ، فلما أصبح الملك وإذا دم يحيى يغلي فأمر
بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلي فألقى عليه أيضاً وارفع الدم
فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي فبلغ
سنتجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشاً ويؤمر عليهم
رجالاً فأناه يختصر وكلمه وقال إن الذي أرسلت تملك المرة ضعيف وإنى قد دخلت
المدينة وسمعت كلام أهلها فابشئني فبعث ... حتى إذا بلغوا ذلك المكان ورآهم
أهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم .

فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه وأرادوا الرجوع فخرجت إليهم عجوز
من عجائز بنى إسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى به إليهما فقالت : لقد بلغنى
إنك تريد الرجوع بجنودك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع
أصحابى فلمست استطيع المقام فوق الذى كان منى أرايتك إن دلتك على فتح المدينة
تعطينى ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتسكف عن أمرك بالكف عنه .
قال لها نعم قالت إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أقسام ثم أقسم على كل زاوية
ربما ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء ونادوا ياربنا دلنا على من قتل يحيى بن زكريا
عليهما السلام فإنهم إذا فعلوا تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور
المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت
له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن فلما سكن
الدم قالت له كف يدك فإن الله تعالى إذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن
رضى بقتله .

وأناه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت
المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف ، وقال من طرح عليه جيفة فله جزية في تملك
السنة وأمانه على خرابة الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا
فلما خربه يختصر ذهب بوجوه بنى إسرائيل وسراياهم .

(قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت .
فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له
الأمور وثبت على ذلك مدة .

ثم إن بختنصر رأى رؤيا عجيبة فأفرغته فسأل عنها السحرة والكهنة فمجزوا
عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن
وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته ، فقال دانيال لصاحب السجن إنك قد
أحسنيت إلى وإن صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لا عبرها له فجاء السجنان وأخبر
بختنصر بقصة دانيال فقال على به ، وكان لا يقف بين يديه أحد إلا سجد له فأتوا
به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذي منعك من السجود لي فقال له إن لي
رباً آتاني العلم والحكمة وأمرني أن لا أسجد إلا له فخشيت إن سجدت لغيره أن
ينزع مني العلم الذي آتاني ويهلكني فأعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنيت
حيث وفيت بعهده وأجملت علمه .

ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤية وهل لك في تعبیرها قال نعم قال
فأخبره برؤياه التي رآها قبل أن يخبره بها سم عبرها وكانت الرؤيا ما أخبرنا
عبد الله بن حامد بإسناده عن وهب بن منبه يقول : إن بختنصر رأى في منامه صنماً
رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذيه من حديد وساقه من
الفتخار ثم رأى حجراً من السماء قد وقع عليه قدميه .

ثم ربا الحجر حتى مالا ما بين المشرق والمغرب ، ورأى شجرة أصلها في الأرض
وفرعها في السماء ثم رأى رجلاً بيده نأس وسمع منادياً ينادى اضرب جذعها
ليفرق الطير من فروعها وتفرق الدواب والسباع من تحتها وأترك أصلها قائماً
فعبدها له دانيال عليه السلام .

أما الصنم الذى رأيت رأسه من الذهب فأنت الرأس الذهب وأنت فضل الملوك
وأما الصدر الذى رأيت من فضة فهو إبنك يملك من بعدك .

وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد إبنك .

وأما ما رأيت من الفخز الذى من حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكون أشد الملوك .

وأما الفخار فآخر ملوكهم يكون الحديد .

وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء وربما حتى ملا ما بين المشرق
والمغرب فبني يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو حتى يملأ ما بين
المشرق والمغرب .

وأما الشجرة التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها
وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طامراً نسرأ عظيماً فتملك الطيور ثم
يردك الله ثوراً فتملك الدواب ثم يرده الله أسداً فتملك السباع والوحوش
وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين فى ذلك كله وقلبك قلب إنسان
حتى تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وهو يقدر على الأرض ومن عليها .

وأما ما رأيت من أن أصلها قائم فإن ملكك قائم ، فسئل وهب بن منبه أكان
مؤمناً أم لا ؛ فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مات
مؤمناً ، ومنهم من قال مات كافراً لأنه حرق بيت المقدس والكتب التى فيه
وقتل الأنبياء وغضب الله عليه غضباً شديداً فلم يقبل عنه يومئذ توبته .

قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه
وجعل يقبل عليه ويستشير في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم إليه
فسدده المجوس على ذلك فوشوا به وقصدوا إلى لبختنصر فقالوا له إن دانيال
وأصحابه ما يعبدون إلهك ولا يأكون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل إن
لنا رباً نعبد واسئنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود فجعل لهم وألقوا فيه وهم ستة
وألقى معهم سبع ضارياً كلهم ثم انطلقوا لنا كل واشرب فذهبوا وأكلوا وشربوا

ثم لانهم رجعوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخذش منهم أحداً ولم ينالهم بشئ. ووجدوا معهم رجلاً رائداً فعبدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا : ما بال هذا السابع وإنما كانوا ستة فخرج إليهم السابع وكان ملكاً من الملائكة فظلم بختنصر لظمة فصار في الوحوش والسباع ومسحه الله سبع سنين . ثم رد إلى صورته ورد عليه ملكه .

قال السدي : فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فسد لهم الجوس أيضاً وشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم حاراً فجعل لهم بختنصر طعاماً وشراياً فاكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فأضربه بالطبرزان فإن قال أنا بختنصر فقل له كذبت إن بختنصر أمرني فخبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلاًه وكان ذلك ليلاً فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال أنال بختنصر فقال كذبت إن بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولاً ثم ضربه فقتله .

وأما محمد بن إسحق فإنه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك أنه قال بإسناده : لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بنى إسرائيل أرايتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت ؟ فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعذبوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم .

قال فإخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء وأطلع عليها وأقتل من فيها وأتخذ ملكاً فإنني قد فرغت من الأرض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لنفعل ما نريد أو لاقتلنكم عن آخركم فشكروا إلى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليرثه ضعفه وهو أنه بموضحة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بهام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه .

فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله . إذا أنا مت فشقوا رأسي وانظروا
ما الذى قتلنى ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة حاضة بأمر دماغه يرى الله
العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يده من بنى إسرائيل ورحمهم
وردهم إلى إيلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن
ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم إنهم لما
رجعوا إلى الشام وجدوا يختصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله
فجدد الله توراتهم وردّها إليهم على لسان عزيز وسند كر القصة فيه إن شاء
الله تعالى .

وكان عمر يختصر أيام مسنخه نيفاً وخمسمائة عام وخمسين يوماً - فلما مات يختصر
استخلف ابنه فلسطين وكانت آنية المقدس التى حملها يختصر إلى بابل عنده
وكان نجسها بل يوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه
فاعتدل دانيال .

فبينما فلسطين قاعد ذات يوم إذ بدت له كف معاقبة بغير ساعد فكاتب
ثلاثة أحرف بمشده ثم غاب فعجب من ذلك وتخير ولم يدرك ما هى فدعا دانيال
عليه السلام واعتذر إليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله
فقال دانيال .

بسم الله الرحمن الرحيم - وزن خف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله
وزن خف - أى وزن عملك فى الميزان فخف - ووعد فأنجز - أى وعد ملكك
بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق ، أى جمع لك ولو الذك من قبلك ملكاً عظيماً
ثم فرق اليوم فلا يجمع إلى يوم القيامة فلم يلبث إلا قليلاً حتى أهلك الله تعالى
وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل إلى ان مات بالسوس
والله أعلم .

(خبر وفاة دانيال عليه السلام)

قال أهل الأخبار ؛ لما فتح الله السوس على يد أنى موسى الأشعري في خلافة
عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة
فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزانة فيأخذ ما فيها
حتى افنى إلى خزانة مغلفة وقد ختم قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الأشعري
لأهل السوس ما في هذه الخزانة فإني أراها محتومة بالرصاص - فقالوا له أيها
الأمير ليس فيها شيء من حاجتك - فقال لأبد لي أن أعلم ما فيها فافتحوا بابها
حتى انظر ما فيها فمكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر
فاذا هو بحجر طويل مخنور على مثال الخوض وفيه رجل ميت وقد كفن بكفن
منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة . قال فتعجب أبو موسى من طولاه وكل من كان معه
ثم لأنهم شربوا أنفه فإذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لأهل السوس ويحكم
عن هذا الرجل ؟ قالوا إن هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق إذا حبس
عنهم المطر استسقوا به فيستنون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق
فأرسلنا إليهم وسألناهم أن يدفعوه إلينا حتى تستسقى به فأبوا علينا فأرسلنا إليهم
خمسين رجلاً وحملناه إلى بلدنا هذا ثم استسقيناه به فستقينا فرأينا من الرأى أن
لا نرده إليهم فلم يزل مقيماً عندنا إلى أن أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله .

قال فأقام أبو موسى الأشعري بالسوس وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر
ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعاً كبير
أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على
ابن أبي طالب رضى الله عنه . إن هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل
كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك .

وجعل علي بن أبي طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه
عن قصة دانيال من أولها إلى آخرها إلى وقت وفاته ثم قال اكتب إلى صاحبك
وأمره أن يصلى عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر
إلى أبي موسى بذلك .

فلما قرأ أبو موسى كتابه عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم إلى موضع آخر
ثم أمر دانيال فكفن بأكتاف غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان
معهم من المسلمين ثم أمر بقبر فخفر له وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال
إن دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه إلى يومنا هذا والله أعلم .

قال الأستاذ رضى الله عنه - فهذا الذى ذكرت جميع أمر بختنصر الذى جاء فى
التفسير إلى أن رواية من يروى أن بختنصر هو الذى غزا بنى إسرائيل عند قتلهم يحيى
غير صحيح عند أهل السير والأخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين
وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بنى إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا
وفى عهد أرمياء عليه السلام وهى الواقعة الأولى التى قال الله تعالى فيها (فإذا جاء
وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديداً فجانسوا خلال الديار) الآية
يعنى بختنصر وجنوده قالوا من عهد أرمياء واتخى بختنصر بيت المقدس إلى مولد
يحيى بن زكريا أربع مائة وإحدى وستون سنة وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب
بختنصر بيت المقدس إلى آخر عمر إبراهيم فى عهد كرم بن جر سوبن شير بن أصهيل بابل
من قبل بن أسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمر أنه إلى ظهور الإسكندر
على بيت المقدس وإحضار ملكها وضمها إلى ملكه ثمان وثمانون سنة ثم من
بعد ملكه إلى بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا ثمانمائة وثلاثون سنة - وإنما
الصحيح فى ذلك ما ذكره محمد بن إسحق بن يسار

قال عمرت بنو إسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد إليها ملكها
بعد خراب بختنصر إياها وسببهم منها فجعلوا يحدثون الأحداث بعد ملك عزيز

عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر
من بعث إليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل
داود عليه السلام .

فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح المرأة فلما رفع الله عيسى من
بين ظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل
يقال له (كردوس) فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر
رئيساً من رموس جنوده يقال له (بنورازادان) صاحب القتل فقال له إني قد حلفت
بإلهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم
في وسط عسكري إلا أن لا أجد أحداً أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم .
ثم إن بنورازادان دخل بيت المقدس فأقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها
قربانهم فوجد فيهم دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا - هذا دم قربان قربناه فلم يقبل
مما قدمك هو يغلي كما تراه

ثم قال - يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أهلك
وما قتل منهم من أهلك فاهداً بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحداً من قومك
فهذا دم يحيى بن زكريا بإذن الله تعالى ورفع بنو رازادان عنهم القتل

وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في
الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين) الآيات فكانت الواقعة الأولى لبختنصر وجنوده
ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الواقعة الأخيرة لكردوس
وجنوده فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها إلى الروم
واليونانية إلى أن تناسل بنو إسرائيل وكثروا وانتشروا وبعد ذلك وأحدثوا الأحداث
واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط عليهم بططوس بن اسنا بوس فخرّب
بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا في
أمة من الأمم إلا وعالهم الصغار والذلة والجزية والملك في غيرهم وبقى بيد المقدس خراباً
إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم .

(باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)

قال الله تعالى (أو كما الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها) الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي - هو عزيز بن شرحبيل وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير هو أرميا بن خليفاء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا في القرية التي مر عليها . فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الأرض المقدسة وقال السدي هي سلما باد وقال الكلبي هي دير ساير أباد وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن إسحق بن يسار عن وهب بن محمد أن يختصر لما وطئ النساء وخرب بيت المقدس وقتل بنو إسرائيل وسبواهم طار أرميا حتى خالط الوحوش فلما ولي يختصر عنهم راجعاً إلى بابل ومعه سببايا بنو إسرائيل قبل أرميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشى لإيليا فلما وقف عليها وعان خرابها قال (أن يحيى هذه الله بعد موتها) ثم ربط أرميا حماره بهبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحك ومنع الله السباع والطيور عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له د يوشك ، فقال له إن الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى يعودوا أعمر بما كانوا فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف (١) حامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى يختصر ببغوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنو إسرائيل ولم يمت منهم جميعاً أحد ببابل وردهم الله تعالى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه .

(١) قوم مع كل قهرمان ثلثمائة ألف الخ كذا بالأصل وهو ما لا يمكن عادة

كما لا يخفى اه مصححه .

فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتاً من السماء أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية إن الله يأمرك أن تسكني لحما وجلداً فمكان كذلك ، ثم نادى إن الله يأمرك أن تحيا فقام حماره ينمض بإذن الله تعالى وعمر الله أرمياء فهو الذي يوجد في الفلوات .

أخبرني ابن فتحويه الحافظ بإسناده عن وهب قال : ليس في الجنة كلب ولا حمار إلا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وقال الذين قالوا إن المار كان عزيراً إن يختصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراءة التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجسده وكان عزير يومئذ غلاماً قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فأقدمه مع سبع سبانياً بنى إسرائيل إلى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما جاء عزير من بابل ارتحل عن حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال (أنى يحيى هذه القرية بعد موتها) لم يشك في البعث ولكن قالها تعجباً ثم ربط حماره بحبل جديد ونام (فأما ته الله مائة عام ثم بعثه) فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت (قال لبثت يوماً أو بعض يوم) وذلك أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام - بل لبثت مائة عام (فانظر إلى طعامك) يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر إلى حمارك - قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره فأحياه له الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر إلى حمارك فرأى حماره قائماً كهيئته يوم ربطه حيالاً لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرسن في عنقه جديداً لم يتغير وهذا قول الضحاك وقادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر إلى حمارك

وانظر إلى عظامك كيف ننشرها وقال آخرون أراد به عظام حمارة كما قدمنا ذكره
فذلك قوله تعالى (وانجعل آية للناس) أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت ،
وقال الضحاك : هو أنه عاد إلى قريته وأولاد أولاده فوجدهم شيوخاً وعجائز ،
وهو أسود الرأس واللاحية .

(باب فى ذكر تمام قصة عزيز عليه السلام وحاله بعد ما رجع إلى قومه)

قال الله تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله) وروى عطية العوفى عن ابن
عباس قال : كان عزيز من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء
الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم .

فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالآهواء رفع الله عنهم التابوت
وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم
حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزيز فمكشوا ما شاء الله أن
يمكشوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزيز قد أمر علماءهم أن
يدعوا الله تعالى فدعا الله هو وإياهم وابتدل أن يرد إليه ما نسخ من صدره .

فبينما هو يصلى مبتلأ إلى الله إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد إليه
الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن فى قومه وقال : يا قوم قد آتاني الله
التوراة وردها إلى فطلق يعلمهم فمكشوا ما شاء الله أن يمكشوا وهو يعلمهم التوراة
ثم إن التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرضوا
ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزيز فوجدوه مثله ، فقالوا والله ما أوتى عزيز
هذا إلا لأنه ابن الله .

قال السدى وابن عباس فى رواية عمار : إنما قالت اليهود هذا لأن العاقبة
ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماءهم الذين بقوا ودفنوا التوراة
فى الجبال وغيرها ولحق عزيز بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى ردوس الجبال
(م ٢٥ — قصص الأنبياء)

ولا يخالط الناس ولا ينزل إلا يوم عيد ، وجعل يبكى ويقول يا رب تركت
بنى إسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت أشجار عيذه فزل مرة إلى السيد
فلما رجع فإذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قر من تلك القبور وهي تبكى وتقول
يا مطعماه يا مكسيهاه فقال لها عزيز يا هذه اتقى الله واصبرى واحتسى أما علمت
أن الموت سبيل الناس .

ثم قال ويحك من كان بطمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها
الذي كانت تنده ؟ فقالت الله تعالى ، قال فإن الله عز وجل حي لا يموت أبداً .

قلت يا عزيز فمن كان يعلم العلماء قبل بنى إسرائيل ؟ قال الله تعالى ، قالت فلم
تبكى عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزيز أنه قد
خصم ولي مديراً ، فقالت له يا عزيز لاني لست امرأة وليكني الدنيا ، أما إنه
سيذبح لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء
ذلك واغتسل وصلى ركعتين فإنه سيأتيك شيخ ويعطيك شيئاً فما أعطاك فخذ منه .

فلما أصبح نبتت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال
له افتح فاك ففتح فاه فأنفى فيه شيئاً كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل
هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أمك ، قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه إلا زيد في
علمه فرجع وهو من أعلم الناس بالتوراة .

ثم إن رجلاً قال : إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية دفنت
في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معي حتى استقروا وأخرجوا الخابية
والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزيز فلم يجدوه غادر منها آية
ولا حرفاً فعجبوا وقالوا إن الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد من
هد ما ذهبت من قلوبنا إنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزيز ابن الله .

(مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور)
 قال الله تعالى (وكم قضمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)
 إلى قوله (حصيذاً حامدين) قال هشام بن محمد بن الكلبي وغيره كان بدء نزول العرب
 أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانباء منزلاً إن الله تعالى أوحى إلى يوحنا بن
 برخيا بن رزيايل بن سنسبل وسنسبل هذا هو أول من اتخذ الطفيل شل كان من
 ولد يهوذا بن يهقوب أن اتت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق
 لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ليكفرهم بي
 واتخاذ الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل أهل حضور وهي
 بلدة باليمن بعث الله فيهم نبياً فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر بيابل فأخبره بما
 أوحى الله تعالى إليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فأوحى
 الله تعالى إلى يوحنا إنني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا تتقم منها فاعليك بمعد
 ابن عدنان الذي من ولده النبي محمد ﷺ الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به
 النبوة وارفع به من أطاعه فخرج تطوى له الأرض حتى سبق بختنصر فلقى عدنان
 وقد تلقاه فنظر إلى معد ولهم يومئذ اثنا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق
 وأردفه خلفه فانتهميا إلى أرض نجران من ساعتها قالوا ووئيب بختنصر على من
 كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتياز فجمع من
 ظفر به منهم فبنى لهم ديراً على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا و وكل بهم حرساً
 وحفظاً ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يابهم من
 العرب فخرجت إليه الطوائف منهم مسلمين مستأنسين فاستشار بختنصر فيهم
 يوحنا فقال إن خروجي إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما
 كانوا عليه فأقبل منهم وأحسن إليهم .

قال فأنزل بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب
 فهزمهم وأثنى فيهم بالقتل والأسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه
 من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء يا الثارات

الأنبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم وفادوا بالويل فذلك قوله تعالى (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منا يركضون) أى يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أنتم فيه ومساكنكم) الآية ، فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب (قالوا ياربنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) ثم رجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم في الأنهار فقتل أنبار العرب وانضم إليهم المستأمنون من العرب وخلي بختنصر أهل الديار بعد فراغه من غزو العرب وابتدوا لأنفسهم بلدين فسموا إحداهما الأنبار والأخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع ممد بن عدنان ومعه أنبياء بني إسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الأنبياء معه .

(مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام)
(وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور واختلفوا في نسبه فقال محمد بن يسار هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو إبراهيم عليه السلام ، وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام ، وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب ، وقال الواقدي كان قاضى بني إسرائيل ، وقال آخرون كان عبداً ، وقال مجاهد كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين .

وروى الأوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً من السودان مصر ذا مشافر .

حدثنا الإمام أبو منصور الخشاري لفظاً بإسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبداً حبشياً نجاراً .

وأخبرني ابن فتحويه بإسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان خياطاً ، واتفق العلماء أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه يقول : إن لقمان كان نبياً تفرد بهذا القول .

وروي نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (حقاً لم يكن لقمان نبياً ولكنه كان عبداً عصمه الله تعالى كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة) .

وذلك أنه كان قائماً نصف النهار فجاءه النداء : يا لقمان هل لك أن يجعل لك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي قبلت العاقبة ولم أقبل البلوى وإن عزم على فسمعاً وطاعة فإنني أعلم إنه إن فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان ؟ قال لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يفسد الظلم من كل مكان إن أصاب فأرجو أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً ، ومن تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتمجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فأنذبه بها .

ثم نودي داود بعده فقبليها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مسرة كل ذلك ويعفو الله عنه ، وكان لقمان يوازه بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، وأعطى داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة .

(باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وقال أيضاً (وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآيات .
أخبرنا أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده ، قال فبعثه مولاه مع رفقة له إلى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فيجاءوا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان ، فقال لمولاه إنه إذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً فاستقي وإياهم جميعاً ماء ثم أرسلنا لنقدقه ففعل فجعلوا يتقايشون الفاكة وجعل لقمان يتقايأ ماء نقياً فمرف صدقة من كذبهم .

قال فأول ما روى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناده لقمان إن طول الجلوس على الخلاء يتجمع منه السكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحصن .

قال وسكر مولاه يوماً فخاطر أقواماً على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت نخبأ لك قال أخرج كرسيتك وأباريقك ثم اجتمعوا فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان إن لها مواد فاحبسوا عنها مواد حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد .
أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن خالد الريمي قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتي بأطيب مضعتين منها فأتاها باللسان والقلب ، فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فقال ائتي بأخبث مضعتين منها فجاء باللسان والقلب .
فقال له أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضعتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتيني بأخبثها مضعتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له إنه ليس بأطيب منهما إذا طبأها ولا أخبث منهما إذا خبثا .

وأخبرني عبد الله بن حامد بإسناده عن محمد بن عجلان قال : قال لقمان الحكيم
ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس .

وأخبرنا عبد الله بإسناده عن أبي هريرة قال : مر رجل بلقمان والناس
يحتشمون عليه فقال ألسنت العبد الأسود الذي كنت راعياً بموضع كذا وكذا ؟
قال بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال من صدق الحديث وأداء الأمانة وترك
ما لا يعني .

أخبرني الحسين بن محمد عن أبيه قال : قال لقمان ضرب الوالد لولده كالما للزرع
وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفره فتلقيه غلامه في الطريق فقال
له ما فعل أبي ؟ قال مات ، قال الحمد لله ملكك أمرى ، قال فما فعلت امرأتى ؟
قال ماتت ، قال جددت فراشي ، قال ما فعلت أختي ؟ قال ماتت ، قال سترت
هورتي ، قال ما فعل أخوتي ؟ قال مات ، قال انقطع ظهري .

أخبرنا الحسين بن الحسين بن محمد بإسناده عن شقيق قال قيل للقمان أي الناس
أشهر ؟ قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً

وقيل للقمان ما أقبح وجهك ؟ قال تعيب بهذا على النقش أو على النقش
وروى البخاري عن سفيان الثوري قال ، قال لقمان لابنه إن الدنيا بحر عميق
قد غرق فيها ناس كثيرون فلتكن سفينةك فيها تقوى الله ، وليكن حشوها
إيمانك بالله ، وشرائعها التوكل على الله فلعلمك تنجو وما أظنك ناجياً

يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون ، يا بني خذ
من الدنيا باقة ولا تدخن فيها دخولا فتضر فيها بأخرتك ، ولا ترفضها فتكون
عيالاً على الناس وصم صيماً يقطع شهوتك ولا تصم صيماً يمنحك عن الصلاة فإن
الصلاة عند الله أعظم من الصوم ، يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به
السفهاء أو ترائي به في المجالس ولا تترك العلم في زهادة فيه ورغبة في الجاهلية

يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس إليهم
فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك ويزيدك علماً وإن تكن مستأهلاً يعلموك ولعل

الله أن يطالعهم برحمتك فتعصمك معهم ؛ وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجالسهم
إليهم فإنك إن تمكن عالماً لا ينفعهم علمك وإن تمكن جاهلاً يزيدوك جهلاً فاعلم
الله يطالعهم بالعتوبة فمنعتك يا بني لا تضع برك إلا عند راعيه كما ليس بين السكيش
والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المرأة يشتم ومن يدخل
مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم
يا بني كن عبداً للأخيار ولا تكن خليلاً للأشرار يا بني كن أميناً تكن غنياً ؛
ولا ترى الناس أنك تتخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك
ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم ؛ والطف بهم في السؤال إذا تركوك ولا تعجزهم
فيملوك يا بني لا تطلب من الأمر مديراً ولا ترفض منه مقبلاً فإن ذلك يقل الرأي
ويزري العقل ؛ يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت كبيراً ؛ يا بني إذا سافرت فلا تأمن
على دابتك فإن ذلك سريع في إدبارها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون
في محل يمكنك فيه التمدد وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ
بعملها قبل نفسك وإياك والسفر في أول الليل وعليك باليقظة والإدلاج من نصف
الليل إلى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وإبرتك
وخيوطك ومخزرك وتزود من الأدوية ما تنفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك
موافقاً موافياً إلا في معصية الله يا بني إياك والنفع فإنه بالنهار شهوة وبالليل رغبة
يا بني لا تأمر الناس بالسير وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس
ويحرق نفسه ؛ يا بني لا تحقرن من الأمور صفاراً إن الصفار غداً يصير كباراً
يا بني إياك والكذب فإنه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك
يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهاون ولا يسمع منك إذا حدثت ولا تصدق
إذا قلت ولا خير في العيش إذا كان هكذا ؛ يا بني إياك وسوء الخلق والضجر
وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليهم
مجانب والزم نفسك التردد في أمورك والصبر على مرارات الأحوال وحسن من
جميع الناس خلقك فإن من حسن خلقه أظهره بشره وبسطة حظي عند الأبرار
واخيه الأخيار وجانبه الفخار ؛ يا بني لا تعلق نفسك بالهجوم ولا تشغل قلبك

بالأحزان وإلياك والظمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف
عيشك وتسرع نفسك وتستلذ حياتك وإن أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع
طمعك عما في أيدي الناس فإن ما بلغ الأنبياء الصديقون ما بلغوا إلا بقطع
طمعهم عما في أيدي الناس ، يا بني لأن متاع الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل ، يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير
أهله فتخسر في الدنيا وتحرّم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدًا ولا تكن مبذرًا ،
ولا تملك المال تقتيرًا ولا تعطه تبذيرًا : يا بني الزم الحكمة تكرم بها ، وأعزها
تعرّب بها ، وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل ، يا بني للحاسد ثلاث علامات
يفتأب صاحبه إن غاب ويتملق إذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة ، ثم خبر لقمان
الحكيم وما وصى لابنه أنعم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

أخبرنا أبو محمد بن عبد الله الخزرقى بإسناده عن عبد الله بن سلام الإسرائيلي
قال كان في بني إسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال
وكان إماماً لبني إسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه السلام وأمه في التوراة
خفياء وكنتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني إسرائيل وكان ذلك
بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والإمامة والقضاء في يده ففلس
خزائن والده فوجد فيها تابوتاً من حديد مقفلاً بهقل من حديد فسأل الخزان عن
ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فسكه فإذا فيه صندوق من خشب
الساج ففسكه فإذا فيه أوراق نعت النبي ﷺ وأمه مختومة بالمسك ففسكها وقرأ
هما فيها على بني إسرائيل ثم أنه قال الويل لك يا أبت من الله فما كتبت وكنتمت
عن الحق عن بني إسرائيل فردّه إلى أهله فقال بنو إسرائيل يا بلوقيا لولا إناك
إمامنا وكبيرنا لنبدشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير
إنما اتبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي ﷺ وأمه بالتوراة
قال وكانت أم بلوقيا من الأحياء فاستاذنها في الخروج إلى بلاد الشام وكانوا

يومئذ ببلاد مصر فتالت له وما تصنع بالشام ؟ فقال اسال عن محمد وأمة فلعل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذا كنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير إذ انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا هو بحيات كامثال الإبل عظماً وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما رأيته قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك ؟ فقال إسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل ؛ قال فتال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن ؟ فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة فقال بلوقيا وما تصنعن ههنا ؟ وكيف تعرفن محمداً ؟ فقلن إن جهنم تفور وتزمر في كل سنة مرتين فتلقيننا إلى ههنا ثم تودلن إليها فشددة الحر من حرها في الصيف وشددة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقها إلا وقد كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ من أجل ذلك عرفنا محمد ﷺ

ثم مضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فأنابه فسلم عليه فدله بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم ساروا في السهول والجبال حتى وصلوا إلى جبل ليس بهال ولا متدان ترابه كالسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالتائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تين وخاتمه بالشمال ؛ وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام ؛ وكان ملكه في خاتمه . وكان خاتمه من ذهب وفضة من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الأعظم

وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان ؟ فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث الله محمداً ﷺ فقال بلوقيا ليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكاً لا يتبغى لأحد من بعدى فأعطاه إياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه ؛

فقال عفان يا بلوقيا اسكت إن الله معنا ومعنا اسم الله الأعظم ولكن أنت يا بلوقيا
تقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التينين
ما أجراك على ربك إن غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرته الله تعالى

قال فكلما فتوح التينين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التينين فيها
شيئاً ودنا عفان من السرير لينزع من أصبعه الخاتم فاشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول
جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الأرض والجبال
وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتظمت حتى صار كل عذب مالحاً
من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التينين فخرج
من بطنه شعلة كاهها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فامرت
النفخة بشيء إلا أحرقتة ولا بناء إلا سخطته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب
ذكر اسم الله الأعظم فلم ينله مكروه

ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجراك
على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا جبريل أمين رب العالمين فقال
بلوقيا يا جبريل إنما خرجت حباً لمحمد ﷺ ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أنعمده
فقال فبذلك نجوت

ثم صعد جبريل عليه السلام إلى السماء ومضى بلوقيا فضل الطريق الذي جاء منه
وأخذ في طريق أخرى فسار فإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورد والزعفران
وأشجارها الزيتون والنخل والرمان ، فقال بلوقيا ما أشبه ذلك المكان بالجنة على
ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة
يا خاطيء يا ابن الخاطيء لا تأخذ مني شيئاً فبقي متعجباً وإذا بحذاء الشجرة
قوم يترأفون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضاً بالضرب
والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحذقوا من ورائه وهموا به سوءاً فذكر
بلوقيا اسم الله فتمعجبوا منه وهاجوا وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا إله إلا الله
محمد رسول الله ، ثم قالوا له من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا من بنى آدم ، فقالوا
ما اسمك ؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل قالوا نعرف آدم ولا نعرف

إسرائيل فما الذي أوقعك إلينا ؟ فقال إني خرجت في طاب نبي يسمى محمدا عليه السلام وإني قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الأهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ، ثم نزلنا إلى الأرض وقاتلنا كفرة الجن ونحن هنا مقيمون نفزوهم ونجاهد إلى يوم القيامة واسننا نموت إلى يوم القيامة وأنت تصير معنا ؛ فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخر ؛ يا صخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان ؟ قال ؛ لما خاق الله تعالى جهنم خاق لها سبعة أبواب وسبعة السنة ، وخاق منها خاقين خاقاً في سمائه سماه جبابيت وخلقاً في أرضه سماه تمايت ؛ فاما جبابيت فإنه خاق في صورة أسد وتمايت في صورة ذئب وجعل الأسد ذكراً والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذئب الذئب بمنزلة ذئب العقرب وذئب الأسد بمنزلة ذئب الحية ، وأمرهما أن ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذئب الذئب عقرب ومن ذئب الأسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك سم أمرهما أن يتناكحا فحمات الذئب من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فاوجى إليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو إبليس وكان اسمه الحارث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجن يا بلوقيا وإن دوابنا لا تنبت مع الإيس والكنني أجمل فرسى وأبرقه حتى لا يعرف من راكبه وأركب عليه على اسم الله تعالى فإذا انتهيت إلى أقصى أعمال على ساحل بحر كذا وكذا فإذا أفت بشيخ وشاب ومشايخ معهم فإنك ستلقاهما هناك فادفع الفرس إليهما وامش في حفظ الله رشداً

فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى إليهم فسام على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعهما إليهما ، وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغذاء وباع إليهما نصف النهار ؛ فقال له بلوقيا منذ كم فارقت الملك ؟ قال فارقت من غدوة قال ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت إليه يداً ولا حركت عليه رجلاً ولم أركضه ركضاً ، قال بلى ولكن فرسنا أحسن بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والأرض ليرى نفسه منك فيكم تراه جاب بك ؟

قال خمس فراسخ أو أكثر قال بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة ؛ وكان يطير بك ما بين السماء والأرض حول الدنيا دون توقف وأنت لا تعلم قال فخلوا عنه السرج والليجام والبراقع فإذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وإله جناحان انفصلا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والإعياء والكلال قال بلوقيا ؛ هذا والله لعجيب ، فقالوا عجائب الله لا تنقضي ، ثم سلم عليهما ومضى فركب اليم ، فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول ؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك ، من أنت أيها الخالق المخلوق ؟ قال أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم ، ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك ؟ قال إسمي يوحنايل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار ، قال فما يدريك مبسوطتين ؟ قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ، ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والأرض ، ولم يكن الليل أبداً ، ولو سبقت الظلمة النور لاطلمت السموات والأرض ، ولم يكن ضوءاً أبداً وبين يدي لوح معاق فيه سطران أبيض وستر أسود ، فإذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة ؛ وإذا رأيت السواد يزداد زادت الظلمة ؛ وإذا رأيت السطر الأبيض يزداد زدت النهار ، وإذا انتقص نقصت ؛ فذلك الليل في الشتاء أطول من النهار ، والنهار أقصر ؛ وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر

ثم سلم بلوقيا ومضى ، فإذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ؛ واليسرى في الأرض ؛ وقدماه تحت الثرى وهو يقول ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك من أنت ، وما اسمك ؟ قال إسمي بلوقيا ، وأنا من بنى إسرائيل ، وإسرائيل من ولد آدم

ثم أن بلوقيا قال أيها الملك ما اسمك ؟ قال مخايل قال فما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء ، قال أحبس الريح يميني والماء بشمالي ولورفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت بإذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليهما ديدى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لأن في السماء

ريحا تسمى الهاثمة ولو أرسلتها لنسفت من في السماء ومن في الأرض ، قال فسلم بلوقيا ومضى فإذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور ؛ والآخر رأسه كرأس النسر ؛ والثالث رأسه كرأس الأسد ؛ والرابع رأسه كرأس الانسان

فاما الملك الذي رأسه كرأس الثور ؛ فإنه يقول ، اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها ، وادفع عنها برد الشتاء ، وحر الصيف ؛ واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كيلا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن ، واجعلني من أهل شفاعته سيدنا محمد ﷺ يوم القيامة

وأما الذي رأسه كرأس النسر فيقول . اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، واجعلني من أهل شفاعته محمد ﷺ يوم القيامة

وأما الذي رأسه كرأس الانسان فإنه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم ، وادفع عنهم النار ؛ واجعلني من أهل شفاعته محمد ﷺ يوم القيامة

فسلم عليهم بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة فإذا هو بفلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت ؟ وما اسمك ؟

قال لاسمى صالح ؛ قال فما هذان القبران ؟ قال ؛ أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي ، وكانا صالحين فماتا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت ، فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة أخرى فإذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعينه من ياقوت ، ومنقاره من أوثر ، ويداه من زعفران ، وقوائم من زمرد ؛ وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي ؛ فسلم عليه بلوقيا ؛ فرد الطائر عليه السلام ؛ فقال له بلوقيا ؛ من أنت لهما الطائر ؟

قال أنا من طيور الجنة ، وأن الله تعالى قد بعثني إلى آدم بهذه المائدة لما أهبط
من الجنة ، وإن كنت معه حين لقي حواء ، وأباح الله له الأكل ، وأنا هنا من
لدى ذلك الوقت ، فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يا كل
منها ، وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة .

فقال بلوقيا ، ولا تتغير ولا تنقص ، فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص .

قال بلوقيا ، أفأكل منها ؟ قال كل فأكل حاجته ، ثم قال له أيها الطائر ، وهل
معهك أحد ؟ فقال معي أبو العباس يأتيني أحياناً ، قال ومن أبو العباس ؟ قال ،
الخضر عليه السلام .

فلما ذكر الخضر إذا به أقبل ، وعليه ثياب بيض ، فما خطى خطوة إلا نبت
الحشيش تحت قدميه .

قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله ، فقال بلوقيا : طال غيبي ، وأريد
الرجوع إلى أمي ، فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام ، وأنا أردك
إليها في مسيرة خمسمائة شهر ، فقال الطائر ، إذا كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة
سنة ، فأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة يوم .

فقال الخضر عليه السلام ، فأنا أردك إليها في ساعة واحدة ، ثم قال غمض
عينيك ، فغمضها ، ثم قال له افتح عينيك ففتحتها ، فإذا هو جالس عند أمه ،
فسألها من جاءني إليك ؟ قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض ،
فوضعت أمامي .

ثم أن بلوقيا حدث بني إسرائيل بما رأى من العجائب والأخبار ، فأثبتوها
وكتبوها إلى يومنا هذا ، فهذا ما كان من حديث بلوقيا ، وما رأى من العجائب
في البحر والبر سهلاً وجبلاً والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام)
قال الله تعالى (ويسألك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً) .

(باب في نسبه ولقبه)

قال أكثر أهل السير ؛ هو الإسكندر بن فيليش بن بطريوش بن هرمس ابن هردوس بن منطون بن رومي بن لظين بن يونان بن يافث ، ويقال نسبه ينتهي إلى العيص بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وزعم بعض القدماء أن الإسكندر هو أخو دار بن دارا ، وذلك أن دارا الأكبر بن بهن ابن اسفنديار بن يستاسف كان زوج أم اسكندر ؛ وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها ملانة ، وإنما حملت إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتمل في زوال ذلك منها ؛ فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من نتنها ومن عرقها ، ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها ليقية نتنها ، وعاقها فردها على أهلها ، وقد علقته منه فولدت له في أهلها غلاماً ، فسمته بإسمه ، وإسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس ؛ فهذا أصل إسمه ؛ ثم خففت ، فقل اسكندر ، وكسني بذى القرنين .

واختلفوا في سبب تسميته بذلك ، فقال بعضهم سمي بذلك لأنه ملك الروم وفارس وقيل لأنه في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم ؛ وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس ؛ وكان تأويل رؤياه أنه يطوف المشرق والمغرب ؛ وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الأيمن ، ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الأيسر ، وقيل لأنه كان له ذوابان حسدان ؛ والنؤابة تسمى قرناً ؛ وقيل لأنه كان كـيم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه ؛ وقيل لأنه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي ؛ وقيل لأنه كان إذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعاً ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل لأنه دخل النور والظلمة ، والله أعلم .

(باب في قصة ذكر أمره وسبب استكمال مملكته)

قال الله تعالى (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً)
وقال قوم كان فيليبس اليوناني أبو الإسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده
الإسكندر ، وقال آخرون ان الإسكندر أخو دارا الأصغر وكان أبوه لانه جد
الإسكندر لأمه ملكاً من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الإسكندر
وكان ملوك الروم يؤدون الإتاوة جميعاً إلى ملوك الفرس ، وكانت الإتاوة التي
كان أبو الإسكندر يؤديها إلى ملوك الفرس بيضة من ذهب

فلما ملك الإسكندر وكان رجلاً ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم
فغفروهم واستجمع له ملك الروم ، ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأفس
بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الأصغر ملك فارس فامتنع عن حمل ما كان
أبوه يحمله إليه من الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب إليه دارا
ابن داهرا بقصة الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابته الإسكندر إني
قد ذهبت تملك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها

فلما وصل إليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب إليه يؤنبه بسوء صديقه في
امتناعه عن حمل الخراج إليه وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيزي سمسم ، وأعلمه
فيما كتب به إليه أنك صبي ويذبح لك ان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت
بهما إليك ولا تنقلد الملك ولا تلبس به ، ولا تستعصى ولا لا بعثت إليك من يأتني
بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد السمسم الذي بعثت به إليك

فبعث إليه الإسكندر في جواب ذلك ، إني قد فهمت ما كتبت وقد نظرت
نما ذكرت في كتابك من إرسال الصولجان والكرة وضمت الكرة إلى الصولجان
وشبهت الكرة بأرض وإني محتو على ملكك وأضيفه إلى ملكي وأضيف بلادك

(م ٢٦ — قصص الأنبياء)

إلى بلادى ولانى نظرت إلى السهم الذى بعثته إلى كينظرى إلى الصولجان
والسكرة وبعث إن دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب وإنما بعثت
إليك بذلك لأن جنودى مثل ذلك

فلما وصل إلى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة
الاسكندر ، وان الاسكندر أيضاً تأهب للقاءه ، وناذى فى عسكره بالرحيل ،
وسار نحو بلاد دارا ، فالتقى بناحية خراسان مما إلى الخزر ، واقتتلا أشد القتال
وصارت الدائرة على جند دارا ، فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته ،
وقيل ان أحدهما كان صديقه ، فطعناه فأردناه من مركبه ، وأراد يطعنهما إياه ،
الحظوة عند الاسكندر والوسيلة إليه ، وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دار
أسيراً ولا يقتل

فاخبر بشأن دار فأسرع حتى وقف عليه ، فرآه يجود بنفسه ، فنزل إليه
وجلس عند رأسه ، وأخبره انه لم يهم قط بقتله ، وان الذى أصابه لم يكن قط
برأيه وإنما غدر به ثقاته

ثم قال له سلمنى عما بدا لك فاعفك به فقال له دارا أن لى اليك حاجتين
أحدهما ان تلتقم لى من الرجلين اللذين فتكبنى ، وسماهما وبلادهما ، والثانية
أن تزوج ابنتى روشنك فاجابه إلى الما جتين ، وأمر بصلب الرجلين ، وان ينلدى
عليهما ، هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش اهل بلده ، وتزوج ابنته ، وكان
ملك دارا أربع عشرة سنة

فلما قتل اجتمع ملك الروم ، وكان قبل الاسكندر متفرقاً ، وتفرق ملك
فارس ، وكان قبل الاسكندر مجتمعاً

(باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا)
(ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق)

قالت العلماء بأخبار القدماء ، لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له
البلاد فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من
بيوت الأوثان وقتل الموازنة وحرق كتبهم ودعا الناس إلى الإسلام والتوحيد .

قال المرتضى في سبب إحراق كتبهم ، إن المجوس جعلوا حروف كتبهم من
الذهب المضرب بمسامير الذهب على جلود النيران فبالغ عددها اثني عشر ألفاً
فأحرقوها لحصول ذلك الذهب وبني اثني عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان
هرات ومرور وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض
الليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة
الاسكندرية ثم انه رأى في منامه انه أخذ بقرني الشمس ورأى في منامه انه يسير
إلى آفاق الأرض شرقاً وغرباً .

واختلف العلماء في نبوته فروى عن النبي ﷺ انه قال : لا أدري أكان
ذو القرنين نبياً أم لا ، فلو صح الحدث لكان الخوض في هذه المسئلة تكلفاً ثم
تختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً ومليكاً عادلاً فاضلاً
وقال آخرون بل كان نبياً غير مرسل . والصحيح ان شاء الله انه كان نبياً غير
مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلاً من
الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان
باسمه عباساً وكان عبداً صالحاً .

فلما استحكم ملكه واجتمع امره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين أني قد بعثتك
إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تاويل رؤياك وأنى
باعتك إلى أمم الأرض كلهم وهم سبع أمم مختلفة السماتهم ، منهم أمتان بينهما عرض

الأرض وأمتان بينهما طول الأرض وثلاث أمم في وسط الأرض وهم الإفس والجن وياجوج وماجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الأرض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وامة أخرى بحياها يقال لها منسك عند مطلع الشمس واما الامتان التي بينهما عرض الأرض فامة في قطر الأرض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحياها في قطر الأرض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين إلهي إنك قد ندبتني إلى أمر عظيم لا يقدر عليه إلا أنت فاخبرني عن هذه الامم التي قد بعثتني اليها بآي قوة أكابرهم وبآي جمع وحيات أكابرهم وبآي صبر أقاسيهم وبآي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبآي سمع اسمع أقوالهم وبآي بصر انقدهم وبآي حجة اخاصهم وبآي عقل أعقل عنهم وبآي قلب وحكمة أدبر أمرهم وبآي قسط أعدل بينهم وبآي حلم أصابرهم وبآي معرفة أفصل بينهم وبآي علم أنقن أمورهم وبآي يد أسطو عليهم وبآي رجل أطوهم وبآي طاقة احصيههم وبآي جند اقاتلهم وبآي رفق أو لفهم وليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقويني عليهم وانت الرءوف الرحيم لا تكف نفسك إلا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشفيها بل انت ترحمها .

قال الله تعالى . ساطوئك ما حملتك واشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتبصر كل شيء واشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وابسط لك لسانك فتتق بك كل شيء وافتح لك بصرك فتتقد كل شيء واحصى لك قوتك فلا يفواك شيء واشد لك عضدك فلا يهوانك شيء واشد لك ركنك فلا يغلبك شيء واشد لك قلبك فلا يفزعك شيء واشد لك يديك فتسطو على كل شيء واشد لك وطاك فتتملك كل شيء والبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهم جنداً من جنودك يهديك النور من امامك وتحوط بك الظلمة من ورائك .

فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير والى عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم ان يبنيوا له مسجداً وان يجعلوا طول المسجد

اربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه اربعة وعشرون ذراعاً وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم ان ينصبوا فيه السواري .

قالوا كيف نصنع ؟ قال إذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكيس مع حائط المسجد فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على المورس قدرة وعلى المقتر قدرة وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكيس وجعلتم خشباً من نحاس ووتداً من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم بمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراع ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعاً ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فنحمل شيئاً فهو له ففعلوا ذلك فاخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين

فمكّن جندهم اربعين الفا فجعلهم اربعة أجناد في كل جنده عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جنده داراً ستمائة ألف ومن المساكين اربعون الفا ، ثم انطلق يوم الامة التي عنده غرب الشمس فذلك قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أي ذات حمأ : ومن قرأ حامية بألف من غير همزة فعناه حاره

أخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني بإسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي ابن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ في عين حمئة

وقال ابن عباس كنت جالساً عند معاوية إذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت وما تقرؤها إلا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرأها كما قرأتها يا امير المؤمنين قال ابن عباس فاطلعت الجبال معها فارسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب ؟

قال : أما العربية فانتقم اعلم بها مني ، وأما الشمس فإني أجدها في التوراة تغرب في
أوطان ، وأنشدك ما تزداد به تبصراً وهو قول تبع :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتسجد
بالبغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها في ذى خلب وثأط حرمه
قال معاوية وما الخلب يا كعب ؟ فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط ؟ قلت
الحماة قال وما الحرم ؟ قلت الأسود فدعا رجلاً فقال اكتب ما يقول .

قلنا بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله تعالى وقوة
وبأساً لا يطيقه إلا الله تعالى ورأى السنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى
(وجد عندها قوماً) يعني ناساً فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث
عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور
ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فحمد إلى
الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وانوفهم وآذانهم وأجوافهم
ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما
خوفوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا ان يهلكوا ضجوا بصوت واحد فكشفها
عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوة فجاء من أهل العرب أمم عظيمة فجعلهم
جنوداً واحداً ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرمهم والنور
أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمة التي في قطر
الأرض اليمنى يقال لها هاويل ؛ وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا
يخطئ إذا عمل عملاً فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه حتى إذا انتهى إلى بحر
أو مخاضة هياً سفناً من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع
مامعه من تلك الجنود وإذا بلغ البحار والأنهار فتتها ثم يدفع إلى
كل رجل منهم لوحاً فلا يكثر بحمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل

ففعّل فيها كمفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنوداً كمفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كرّ مقبلاً حتى أتى ناحية الأرض اليسرى وهو يريد نأويل رهي الامة التي بحيال هاويل وهما مقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنوداً كمفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع قرم لم نجعل لهم من دونها ستراً وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يسكنون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معاشهم وحرثهم والله أعلم .

(باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى (حتى إذا بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) .

قالت العلماء بأخبار القدماء : لما فرغ ذو القرنين من أمر الأمم الذين هم في أطراف الأرض ، وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الأمم التي في وسط الأرض من الجن والإنس ويأجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق بما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس : يا ذا القرنين أن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله ليس فيهم مشابة من الإنس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفرسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم ، فإن أنت اطلعت على ما يتمو من نعمهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملاون الأرض ويخرجون أهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل تجمّل لك خرج أي جملاً وأجرأ على أن تجعل

بيننا وبينهم سداً حاجزاً فلا يصلون إلينا ، فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربي أى
تقوانى عليه خير من خراجكم فاعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً حاجزاً كالحائط .

قالوا وما تلك القوة ؟ قال فملة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة ، قالوا
وما تلك الآلة ؟ قال آتوني زبر الحديد أى قطعة واحدة زبرة وآتوني النحاس
فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسبح هذا العمل ، قال سأدلكم على معادتهما
قالوا فبأى قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدناً يقال له الساهون وهو
أشد ما خلق الله فى الأرض بياضاً وهو الذى قطع به سليمان أساطين بيت المقدس
وصخوره وجواهره .

ثم أنه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس والنار وصنع
منها زبراً مثل الصخور العمام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك
الصخور التى هى من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما
قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ .

فلما أشأ فى عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخ
ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم
يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما
الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ، قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو
النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم
الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد
وغبرته ، فصار سداً طويلاً عظيماً حصيناً قال الله تعالى (فما استطاعوا ان يظهروه)
أى يعلوه ، وما استطاعوا له نقباً .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبى الله قد رأيت سد ياجوج وما جوج
قال انعه لى ، قال كالبرد المجرى طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيت

ويقال أن موضع السد وراء الخزند بقرب مشرق الأرض بينه وبين الخزند مسيرة اثنتين وسبعين يوماً .

وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام أن السد مفتوح فوجه سلاماً إلى جمان في خمسين رجلاً وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة ، أعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله لإسحق بن إسماعيل صاحب أرمينية وكان بتمليس وكتب له إسحق إلى صاحب السر وكتب له صاحب السر إلى ملك اللان وكتب له ملك اللان إلى الأزالى طابجند في بلاد شاه ملك الخزند .

فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلاً أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوماً حتى انتهوا إلى أرض سوداء منتنة الريح ، وكانوا قد حملوا معهم شيئاً يشموناه من الرائحة الزكية ، فساروا تسعة وعشرين يوماً ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هو فقالوا مات ههنا قوم .

ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوماً فساروا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخرّبوها .

ثم ساروا إلى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرءون القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم ، قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا وما هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتهجّبوا منه وقالوا : شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره .

ثم فارقوهم وساروا إلى جبل أماس ليس عليه نخصرة وإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً وعضاداته مبنيتان مقابلتا للجبل وعرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعاً مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس في سلك

خمسين ذراعا وإذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين علو كل واحد مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب في النحاس إلى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر ، وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنين ببعضها إلى بعض منظومة كل واحدة في صاحبيتها فإذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا قائمتاهما في دورهما على قدر الدربند

وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الأرض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والسلسلة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طوله مائة ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع ، وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحد خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثا فإذا ضربوا أصغوا إليه آذانهم فيسمعون من داخل دوبا

وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منها مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب في أحد الحصنين آلة البناء التي بها السد من قدور الحديد ومخاريف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق ببعضه ببعض من الصدا واللينة ذراع ونصف في عرض شهر

وسألنا هل وراء ذلك أحدهم أهل يا جوج وما جوج ، فذكروا أنهم رأوا
منهم عدة فوق الشرف فهبت ربح سوداء فالتفتهم إلى جانبهم وكان مقدار الرجل
في رأى العين شبراً ونصفاً

قال فلما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء على نواحي خراسان فعدلنا إليها فوقعنا إلى
القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودناهم الطعام

ثم سرنا إلى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل
كان معي بخمسمائة درهم ، وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل
ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا إلى الري ورجعنا إلى سر من رأى بعد ثمانية
وعشرين شهراً والله أعلم .

(باب في دخول ذى القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطالب عين الحياة)

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال ، كان ذو القرنين قد ملك
ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويؤمره و
فيمنها ذات يوم يتحدثان إذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم
في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا إن في السماء من الملائكة
من هو قائم لا يجلس أبداً ، ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبداً ؛ ومن هو راكع
لا يستوي قائماً أبداً يقول سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك
حق عبادتك ، فبكى ذو القرنين بكاء شديداً ، ثم قال لاني أحب أن أعيش فاباغ
من عبادة ربي حق عبادته . فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين ؛ قال نعم

قال رفائيل فإن الله عيناً في الأرض تسمى عين الحياة فما من الله عز وجل أن
من يشرب منها شربة لا يموت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت ، فقال
له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين ؛ فقال لا غير أنا نتحدث في

السماوات أن الله في الأرض ظلمة لا يظوها إنس ولا جان فنحن نظن أن تلك العيون
في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار
النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من
الاحاديث وسألتهم من كان قبلكم من العلماء أن الله وضع في الأرض عينا سماها
عين الحياة ، فقالت العلماء لا ، فقال عالم من العلماء إنى قرأت وصية آدم عليه
السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان ووضع
فيها عين الخلد .

فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الأرض التي على قرن الشمس
تغرب الله إليها ذو القرنين وحشد إليها الفقهاء والأشراف من الناس والملوك ،
صار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة فإذا
هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هناك ثم جمع علماء عسكره ، فقال
إنى أريد أن أسألكم عن هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك إن من كان قبلك
من الملوك والأنبياء لم يظئوا هذه الأرض فلا تطأها فإننا نخاف أن ينفخ عليك
أمر تسكره ويكون فيه فساد الأرض ومن عليها ، فقال لا بد من أن أسألكم
فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فإننا لو نعلم أنك طلبتها ظفرت
بها تريد ولم يخط الله علينا لا تبعناك ولسكننا نخاف من الله تعالى فسادا في
الأرض ومن عليها

فقال ذو القرنين لا بد من أن أسألكم فقالت العلماء شأنك بهما فقال ذو القرنين
أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر ، قال الإناث
نقال وأي الإناث أبصر قالوا البكارى

قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى أبكارا ثم انتخب من
عسكره أهل القوى والجلد ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد

رأية الخضر عليه السلام وجعل مقدمته ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا إلى اثنتي عشرة سنة فإن نحن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى دياركم فقال الخضر أيها الملك إذا تسلك الظلمة ولا تدري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال إذا أصابنا : فدفع ذو القرنين إلى الخضر خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع إليها بأهل الضلال أين صاحت .

قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحيط ذو القرنين .

فبينما الخضر عليه السلام يسير إذا عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك ؛ فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطالب صوتها فاتتهى إليها فإذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فإذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم أنه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقع وصاححت فراجع الخضر إلى صوتها وإلى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله .

وإن ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلخوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم لأنهم خرجوا إلى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والأرض حمراء ملة خشخاشية فإذا هم بقصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم إنه خرج وحده حتى دخل القصر فإذا حديدة قد وضعا طرفاهما على جانب القصر من ههنا وإذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بأنفه إلى الحديد معلقا بين السماء والأرض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا ، قال أنا ذو القرنين ، فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفك ماورائي حتى وصلت إلى .

ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل ، فقل هل كثير بناء الجسر والآجر في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديد ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديد وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقاً شديداً ، فقال الطائر لا تخف حدثني ، قال سل قال أهل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعد ؟ قال فانضم الطائر إلى ثلثه ، ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا . فعاد الطائر كما كان ثم يا ذا القرنين أسالك هذه الدرج درجة إلى أعلى القصر فسلكما ذو القرنين وهو خائف رجل لا يدرى على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعاً وجهه إلى السماء واضعاً يده على فيه ، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا ؟ قال أنا ذو القرنين ، قال يا ذا القرنين إن الساعة قد قربت وأنى منتظر أمر ربى يأمرنى أن أنفخ في الصور .

ثم أن صاحب الصور أخذ شيئاً من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فإن شبع هذا شبعته وإن جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله وما أورد عليه وما قال له صاحب الصور ثم عمل على جمع عسكره ، وقال أخبروني ما هذا الحجر وما أمره ؟ فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور . فقال ذو القرنين أنه قال : إن شبع هذا شبعته ، وإن جاع جعت ، فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجراً مثله ووضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجراً بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فقال بالآلاف جميعاً فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم لا نعلمه ، فقال الخضر عليه السلام وكان واقفاً ، أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في إحدى الكفتين وأخذ حجراً من

تقلت الحجارة فوضعه في السكفة الأخرى ثم أخذ كفاً من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجداً لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله قد وضعنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك إن سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وأن الله ابتلي خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالجاهل والجاهل بالجاهل والجاهل بالعلم والعالم بالجاهل وأنه ابتلائي بك وابتلاك بي، فقال ذو القرنين صدقت فأخبرني ما هذا الحجر؟ فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن الله تعالى مكن لك في الأرض فأعطاك منها ما لم يعط أحداً من خلقه وأعطاك منها ما لم يوطئ لأحد من خلقه فلم تشبع وأتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه إنس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبداً حتى يحث عليه التراب ولا يملأ جوفه إلا التراب . فبكى ذو القرنين ، ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أمراً في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت .

ثم إنه انصرف راجعاً حتى إذا كان في وسط الظلمة وطيء الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر واديهم ما هذا الذي تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين أخذوا منه فإن من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئاً ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا إذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في مبدأ أمره ما ترك منه شيئاً حتى كان يخرج به إلى الناس لأنه كان راغباً في الدنيا ولسكنه ظفر وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها . ثم أنه رجع إلى العراق ومملك ملوك الطوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله إلى شهر

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إنه رجع إلى دومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل داراً في أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل إلى أمه بالاسكندرية

ودفن هناك ؛ قالوا فلما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه إسكندروس من بعده فأبى واختار الذسك والعبادة فلسكت اليونانية عليهم فيما قبل بطليموس بن لوسوع وكان ملكة ثمانية وثلاثين سنة ؛ وكانت المملكة في حياة الإسكندرو بعد وفاته إلى أن تحول الملك والمضاض واليونانية وابن إسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطاردهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

(مجلس في قصة زكريا وابن يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)
وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن إسحق وغيره من أهل الأخبار عبرت بني إسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم ينالوا يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ؛ فمريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون كما قال الله تعالى (حتى كان من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام) .
(نسب زكريا عليه السلام)

هو زكريا بن يحيى بن يوحنا بن آدن بن مسلم بن صدوق بن بحسان بن داود ابن سليمان بن مسلم بن ضديقة بن ناخور بن سلوم بن شفا ساط بن أبيا بن رحيمم ابن سليمان بن داود عليه السلام .

(باب في ذكر مولد مريم عليهما السلام وخبر تحريرها)
قال الله تعالى (إذ قالت امرأة عمران ربى لانى نذرت لك مانى بطنى محرراً)
الآيات ، وقال المفسرون هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران .
قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبى موسى إذ بينهما ألف وثمانمائة سنة ، وكانت بنو ماثان روس بنى إسرائيل وأخبارهم وملوكهم .
وقال ابن إسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميثان بن حزقييل بن أحرىف ابن يؤم بن عزازيل بن امصيا بن تاوس بن نوثا بن بارغش بن يهو شافاظ بن أبيا ابن رحيمم بن سليمان بن داود عليه السلام ؛ وكانت القصة فى ذلك أن زكريا

ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين إحداهما عند زكريا يوحنا وهي
إيشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الأخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم
وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمون
فبينما هي في ظل شجرة إذا نظرت طائراً يطعم فرخاً فتحركت عند ذلك شهوتها للكالد
ودعت الله تعالى أن يهب لها ولداً وقالت اللهم لك على إن رزقتني أن أتصدق به
على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذراً وشكراً فعملت بمريم عليها السلام
فحررت مافي بطنها ولم تعلم ما هو فقالت (رب إنى نذرت مافي بطنى محرراً) أى
عتيقاً من الدنيا وأشغالها خالصاً لله تعالى وخادماً لبيتك المقدس حبساً عليه مفزعة
لعبادة الله وخدمته فتقبل منى السكائن إنك أنت السميع العليم .

قالوا وكان المحرر إذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها
ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن
يذهب حيث شاء ؛ وإن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون
مخرجهم على علم منهم ولم يكن أحد من بنى إسرائيل وعلمائهم إلا من في نسله تحررو
لبيت المقدس ولم يكن محرراً إلا الغلمان . وكانت الجارية لا تكاف ذلك ولا تصاح
لما يصيبها من الحيض والأذى فحررت أم مريم مافي بطنها فلما فعلت ذلك قال لها
زوجها عمران : ويحك ما صنعت ؟ رأيت إن كان مافي بطنك أنثى والآثى عورة
لا تصالح لذلك فوقع جميعاً فيهم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها
إذ هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً اعتذاراً إلى الله تعالى ورب
إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، أى في خدمة الكنيسة
والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والأذى وإنى سميتها مريم
وهي بلغتهم العابدات والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها .
أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وحسبك
من نساء العالمين أربع : مريم ابنة عمران وآسيا امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد ﷺ وإنى أعينها ، أى أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان
(م ٢٧ - قصص الأنبياء)

الرجيم ، أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده وأخبرنا أبو سهيل وأحمد بن محمد بن هرون بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم ولابنها ، ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ، ولاني أعينها وذريتها من الشيطان الرجيم .

وأخبرنا شعيب بن محمد بإسناده عن قتادة قال : كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصاب الطائفة الحجاب ولم ينفذ إليهما منه شيء قال : وذكر أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى د فتقبلها ربهما بقبول حسن ، الهاء راجعة إلى النذرة أي فتقبل الله النذرة أي مريم من حنة د وأنبتها نباتاً حسناً ، بمعنى سري خالقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تذب في المدة اليسيرة كما يذب المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج . وأنبتها ربهما في غداها ورقها نباتاً حسناً حتى نمت امرأة بالغة .

قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما يلي الحجة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بذت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لأن عندي خالتها فقالت له الأحبار لا نفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس وأقربهم إليها لتركت لأمها التي ولدتها . ولما كننا نقترع عليها فتكون عند من نخرج منهم فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكأوا تسعة عشر رجلاً إلا نهر جار . قال السدي هو نهر الأردن فالتقوا أي سهامهم وقيل أقلامهم ورسبت في الماء قال ابن إسحق وجماعة وقال السدي . بل ثبت قلم زكريا فوق الماء وكأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام . وكان رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى (وكفلنا زكريا) ضمها إلى نفسه وقام بأسرها وقال ابن إسحق . فلما كملها زكريا ضمها إلى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى نشأت وبلغت مبالغ النساء بني لها محرراً أي غرفة في المسجد وجعل بابها إلى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم . وكان زكريا عليه السلام إذ

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج أغلق عليهما بابها فإذا دخل عليهما غرفتهما وجد عندهما رزقاً أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها ، أنى لك هذا ، فتقول هو من عند الله من قطف الجنة . قال الحسن يحد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا ؟ فتقول من عند الله . قال الحسن . وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها .

وقال محمد بن إسحق ثم أصابت بنى إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج إلى بنى إسرائيل وقال يا بنى إسرائيل تعلمون والله إنى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأياكم يكفلها بعدى ؟ فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجلك ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليهما بالأقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى إسرائيل يقال له يوسف ابن يعقوب بن مائان وكان ابن عم مريم لحملها . قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فإن الله سيرزقنا ، فحمل يوسف إليهما بما رزقه الله فيأتيها الله كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنما الله تعالى وكثره فیدخل إليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها (يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئاً فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فإني جائع ، فقالت لا والله بأبي أنت وأمي . فلما خرج رسول الله ﷺ من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لا وثرن بها رسول الله ﷺ على نفسه ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة من طعام فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدتهما رسول الله ﷺ فرجع إليهما فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء نخبأته لك فهلأبي به فأتى به فكشف عن

الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصالت على نبيه ، فقال عليه الصلاة والسلام من أين لك هذا يا بذية (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله رسول الله ﷺ وقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بمسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً فسمت عنه (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فبعث رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه فأتى فآكل الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهم جميعاً حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانها وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً ، وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة والياق بركة من الله تعالى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) قالت العلماء بأنخبار الأنبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال إن الله الذي قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة من غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولداً على السكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وآيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه (قال رب هب لي) أي اعطني (من لدنك ذرية طيبة) نسلاً نقيماً صالحاً رضيعاً (إنك سميع الدعاء فمادته الملائكة) يعني جبريل وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول ، فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم بالدخول إذاً هو برجل شاب عليه ثياب بيض ، ففرغ منه فماداه وهو جبريل عليه السلام (يا زكريا إن الله يبشرك بيحيى) واختلفوا لم سمى يحيى .

قال ابن عباس لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه ، وقال قتادة وغيره لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والنبوة ، وقال الحسن بن الفضل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة

حق لم يتخير ولم يهمل بمصيبة ، دليله ما أخبرني به الحسن بن فتحويه بإسناده عن
عكرمة عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يلقى الله عز وجل
إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيي بن زكريا فإنه لم يهمل ولم يعمل » .

قال الأئمة كان شيخنا أبو الفاسم الجندي يقول سمي بذلك لأنه استشهد والشهادة
أحياء عند ربهم يرزقون ، قال النبي ﷺ (من هو أن الدنيا على الله أن يحيي بن زكريا
قتلته امرأة) قال وسمعت أبا منصور الخشاعي يقول ، قال عمر بن عبد الله القدسي
أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك أني
مخرج منك عبداً لا يهمل بمصيبة اسمي حتى فني له من اسمك حرفاً فوهبت أول حرف
من حروف اسمها الياء فصارت يحيى وسار اسمها سارة مصداقاً بكلمة من الله يعني عيسى
عليه السلام فسمى كلمة لأن الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقه عليه اسم
الكلمة لأنه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه ، وذلك أن أمة كانت حاملة
به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى ، قالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت ، فقالت
لماذا تقولين هذا ، قالت إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ذلك تصديقه له
ولا يمانه به ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى
إلى السماء وسمي كره ، قال سعيد بن المسيب « وسيداً ، السيد الفقيه العالم . وقال
سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل ، وقال الضحاك السيد الحسن الخلق
وقال عكرمة الذي لا يهمل ، وقال سفيان الذي لا يهمل (وحصوراً) قال ابن
عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل
يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات ، وقال ابن المسيب والضحاك هو العنبر الذي
الابانة له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فتحويه بإسناده عن صالح عن
أن هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد
أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً حصوراً
وقبياً من الصالحين ثم أوما النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها قال وكان ذكره
مثل هذه القذاة ، وقال المدني . الحصور الذي لا يدخل في اللحم ولا الباطيل

قالوا . فلما نادى زكريا بالإشارة قال رب أى ياسيدى ، قاله لجبريل هذا قوله أكثر المفسرين وقاله الحسن بن الفضل إنما قال زكريا يا رب لا لجبريل أنى يكون لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغتى الكبر وامراتى عاقرا تلك عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة .

وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب (كذلك يفعل الله ما يشاء) فإن قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أن كان ذلك شكا في وحيه أم إنكاراً لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان فكيف الأنبياء فالجواب عند ما قاله عكرمة والسدي أن زكريا لما سمع تداء الملائكة جاءه الشيطان . فقال يا زكريا إن الصوت الذى سمعت ليس من الله وإنما هو صوت الشيطان يستخربك ولو كان من الله لأوحاه إليك خفية كما ناديت خفية وكما يوحى إليك فى سائر الآلام . وقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك فى الولد وإنما شك فى كيفية والوجه الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد ، أى كيف يكون لى واداً تجعلنى وامراتى شابين أم نرزقه كذا . لى كبرنا أم ترزقنى من امرأة غير هاتين النساء فقال ذلك مستخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن (قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام) وتقبل بكينك على عبادتى وطاعتى لو أنه حبس لسانه عن الكلام ولما كنهه نهى عنه بدل عليه قوله تعالى (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار) هذا قول قوم من أهل العلم ، وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مناقشته الملائكة إياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام إلا رمزا أى إشارة وعلى هذا أكثر المفسرين . قال عطاء ، أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا ، فولد يحيى بن زكريا عليه السلام .

وفى بعض الأخبار أنه لما ولد يحيى رفع إلى السماء فتغذى بأنهار الجنة حتى فطم ثم أنزل إلى أبيه وكان يرضى البيت لنوره وحسن وجهه وجماله .

(باب في صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الأحبار ، كان يحيى بن زكريا نبياً حسن الوجه والصورة ابن الجناح قليل الشعر قصير الأصابع طويل الأنف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الميرة قوياً في طاعة الله تعالى ، وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته .

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) قيل إن يحيى قال له أتراه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا للعب ، فقال لهم مالم لعب خلقت وقال آخرون إنه نبي صغيراً فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعوهم إلى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلاً أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وقال مثل الشرك كمثّل رجل اشترى عبداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه ثم يؤدون إليه فضل الربح فدفعوه إلى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال إن مثل المصلي كمثّل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يميناً وشمالاً ولم يتم حاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثّل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق ، وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فإذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثّل الجنة لا تدع عدوه يصل إليه ويستتره .

وأما سيرته فروى عن رسول الله ﷺ أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان وعليهم مدرع الشعر والصوف وبرانس الصوف وإذا هم قد حرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها

إلى سوارى المسجد فلما نظر إلى ذلك أنى أمه فقال يا أمه انسجى لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتى إلى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان ، فقالت له أمه حتى يأتى نبي الله زكريا عليه السلام فأوامره فى ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال ، فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك إلى هذا وإماما أنت صبي صغير فقال له : رأيت من هو صفر منى ذاق الموت قال بنى فقال لأمه انسجى له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحسه فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أتبعك على ما قد نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح .

فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فباغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لها يا بنى إنما سألت ربى أن يهبك لتقربك عيني ، فقالت أنت أمرتني بذلك يا أبت ، قال ومتى ، قال ألسنة القائل إن بين الجنة والنار عقبة كثود لا يقطعها إلا الباكون من خشية الله تعالى قال بنى قال فجهد واجتهد وقام فنفذ مدرعته فأخذته أمه فقالت أأذن لى يا بنى أن أتخذ لك قطعتين من لبد يواريان أضراسك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان أضراسه وينشفانه دموعه فبكى حتى ابتلنا من دموع عينيه ثم أخذهما فمصرهما فتحدثت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إن هذا ابنى وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا إذا أراد أن يعظ بنى إسرائيل التفت يمينا وشمالا فإذا رأى يحيى لم يذكرك الجنة ولا نار الجحيم يوماً يعظ بنى إسرائيل وأقبل يحيى وقد لف رأسه بعنائة وجلس فى غمار القوم فالتمت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول حدثنى حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن فى جهنم جبلا يقال له السكران فى أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامة مائة عام فى ذلك الجب

توابدت وهناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال
واغفلناه عن السكران وعن غضب الرحمن .

ثم خرج هائماً على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها
قومي فاطمى يحيى فإنى قد تخوفت أن لا أراه إلا وقد ذلق الموت فقامت وخرجت
في طلبه فمرت بفتيان من بنى إسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدن . قالت
أطلب ولدى يحيى ذكرت النار بين يديه فهم على وجهه فمضت أم يحيى والفتيان
معها حتى مرت براعى غنم فقالت ياراعى هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا
قال لملك تطالبن يحيى بن زكريا قالت نعم دلت ولدى ذكرت النار بين يديه فهم
على وجهه فقال تركته الساعة على عقبه ناعماً قدسيه في الماء رافعا بصره إلى السماء
يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلاتى منك فاقبلت
أمه فلما رأت دنت منه فاختذت برأسه فوضعت بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق
معها إلى المنزل فانطلق معها إلى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر
وتلبس مدرعتك الصوف فإنه ألين ففعل ثم إنها طبخت له عدساً فاكل واستوفى
فذهبت به النوم فلم يقم لصلاته فئودى في منامه يا يحيى أردت دار أخيراً من دارى
وجوراً خيراً من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرى وعزتك لا أستظل
بظل سوى بيت المقدس . ثم قال لأمه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت أنك
ستوردانى للمها لك . فتقدمت إليه أمه ودفعت إليه المدرعة وتعلقت به فقال لها
بن زكريا يا أم يحيى دعيه فإن ولدى قد كشف له عن قناع غفلته . ان ينتفع بالعيش
فقام يحيى فلبس مدرعة ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد
الله مع الأحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم .

(باب فى مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام فى زمن ملك من ملوك
بنى إسرائيل وكان له امرأة وهى ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الأنبياء والصالحين
وكانت طاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزى كاشفة

وجهمك ، وكان كثيراً ما يقول لها مكتوب في التوراة إن الزناة يوقفون يوم القيامة
وريحهم أنثى من الجيف فأمرت يحيى فسيجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك
وكان كثيراً ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فبأخ ذلك امرأة الملك
فحملت بنتاً لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك؟ فقالت وجب لها عليك
حق ، فقال سلى ماشئت . فقالت البنت استوهبت منك أهل الحبس اصنع بهم ماشئت
فظن أبوها أنها ترحمهم وتستروهم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن
فمرضوا عليها . فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذت رأسه في طشت ثم حملت
الطشت إلى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك إنى قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم
ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو؟ قالت يحيى بن زكريا فقال
هايك وأهلك أبويك ، فقير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح
البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب حتى أكلتهم .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ، كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
في اثني عشر من الحوارين يعلمون الناس ، قال وكان ما نهوهم عنه فكأخ بنت الأخ
وكان للملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان له في كل يوم حاجة عنده يقضيها
لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الأخ قالت لابنتها إذا دخلت على الملك وسألك
عن حالتك فقولى حاجتى أن تذب يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألتها عن حاجتها
فقالت حاجتى أن تذب يحيى بن زكريا فقال سلى غير هذا فقالت ما أسألك إلا
هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فبكه فيه فتبذت من دمه قطرة
فلم تزل تغلى حتى بعث الله عز وجل مختصر عليهم . فجاءت عجوز من بني إسرائيل
فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً منهم فقط
فيهم يختصر ليسكن فقتلهم فسكن .

وقال السندى بإسناده : كان ملك بنى إسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدين
بجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمراً دونه وإنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له
فسأله عن ذلك يحيى فنمأه وقال لست أَرْضاها لك ، فبأخ ذلك أمها فخذت على

يحيى حين نجاه أن يتزوج لابنتها فعمدت إلى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فالبستها
حمياً بأرقا حراً وطيبتها وأرسلتها إلى الملك . وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له
فإذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله . فإذا أعطاها ذلك سألتها
أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجمعت تسقيه وتعرض
له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما سألك
قال وما تسأليني ؟ قالت أن تبعث إلى براس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال
ويحك سليمانى غير هذا . فلما أبت عليه بعث إليه فأتى برأسه والرأس ينكم حتى
وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلى فأمر بتراب
فألقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلى ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة
وهو مع ذلك يغلى وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنجاريب وبختنصر كما
قدمنا ذكره فى أخبار بختنصر .

قال كعب الاحبار : كان يحيى من أجل الناس وجها وأحسنهم فى زمانه حباً
شديداً فأرسلت إليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها إنه لا علم له بالنساء والملك
أحق أن يطأ فراشه ، فلما انتهى إليها الرسول غضبت غضباً شديداً وقالت كيف
لى أن أقتله ولا يخبر الناس إني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا
فأرسلت إليه وهو قائم يصلى فى بيت المقدس فى محراب دارى من يضرب عنقه
ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الأرض عقوبة لها
بقتلها يحيى عليه السلام .

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

قال كعب الاحبار : فلما سمع زكريا أن لابنه يحيى قتل وخسف بالقوم
انطلق هارباً فى الأرض حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الأشجار فنادته
شجرة يافى الله إلى ههنا فلما اتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها
فانطلق إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف رداءه فأخرجه من الشجرة ليصدقه
إذا أخبرهم بوجوده ، فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى أطراف أرديتهم .

وقد أخذ الملك وأهله ياتمسون زكريا فاستقبلتهم إبليس لعنة الله تعالى فقال لهم ما تاتمسون ؟ قالوا نلتمس زكريا فقال إبليس إنه دخل في هذه الشجرة ، قالوا لا تصدقك قال فإني إن أريتكم علامة تصدقوني بها ؟ قالوا فأرنا إياها فأراه طرف رداؤه فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فأنشروها فصنعين فسلط عليهم أخبث أهل الأرض علجاً بجوسياً فانتقم الله من بنى إسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظامه بنى إسرائيل وسبى متهم مائة وسبعين ألفاً .

وقيل أن السبب في قتل زكريا أن إبليس جاء إلى مجالس بنى إسرائيل فحذف بمريم زكريا وقال ما أحببها أحد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعة سفهاؤهم وأشرارهم فسلك وادياً كثير الأشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يمتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له ودخل فيها وأخرج إبليس هذب رداؤه منها فمرت بنو إسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلاً ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هذب رداؤه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقطين بالمدشار طولاً فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه ، وفي الخبر أن الشمس بككت على يحيى أربعين صباحاً وكان بكاءها إن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد شهداء يوم القيامة وقائدهم إلى الجنة والله أعلم .

(مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)
قال الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً)
قالت العلماء بأخبار الأنبياء ، لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام .
ومريم يومئذ بذت خمسة عشر سنة وقيل بذت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف البجار وكان رجلاً حليماً نجاراً يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق إلى المفارة التي فيها الماء

فبستقيان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة ، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام
وكان أطول يوم في السنة وأشد حراً نفذ ماؤها ، فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف
فندستقي فقال إن عندي لفضلاً من ماء اكتفي به يومى هذا إلى غد قالت والكنيسة
والله ما عندي ماء ، فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت
عندها جبريل عليه السلام وقد مثله بشراً أسوياً فقال لها يا مريم إن الله قد بعثني إليك
لأهب لك غلاماً زكياً قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أى مؤمناً مطيعاً
وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت أن النقي ذو رحمه وخشية وهى تحسبه
رجلاً من بنى آدم . قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمرد
مضوء الوجه جمع الشعر سوى الخلق قالت الحكماء إنما أرسله الله تعالى فى صورة
البشر لثبوت مريم عليه وتقدير على استماع كلامه ، فلما استعادت منه مريم (قال إنما
أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أن يكون لى غلام ولم ينسنى
بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين) الآية فلما قال لها ذلك استسلمت
لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها وكانت قد وضعت عندها ، فلما انصرفت عنها البست
مريم درعها فحملت بعميسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت إلى المسجد .

وقال السدى وعكرمة . أن مريم عليها السلام كانت تكون فى المسجد ما دامت
طاهرة فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد
فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً أى مشرقاً لأنه كان فى الشتاء
فى أقصر يوم فى السنة .

قال الحسن إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأن مريم انقبذت مكاناً شرقياً
فأتخذت فضربت من دونهم حجاً بأى ستر ، وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين
قومها فبينما هى كذلك فى تلك الحالة إذ عرض لها جبريل وبشرها بعميسى ونفخ
فى جيب درعها ، قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له
يوسف النجار وكان منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد
يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد

وكان لخدمته فطير عظيم وكان يليان معالجته بأنفسهما وتجميره ويطميره وكان لا يعلم في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار ، فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظمه ولم يدرك ما إذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وإنها لم تغب عنه ساعة واحدة وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه لها إن قال إنه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فخابني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشق لي صدري فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر؟ قالت نعم؛ قال فهل نبتت شجرة بغير غيث؟ قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر إنما يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدره جعل الغيث حياة الشجرة بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر ان ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنبائه قال يوسف لها هذا وإمكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشئ كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى ، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شئ من امر الله وإنه لا يسمعه ان يسألها عنه وذلك لما رأى كثبانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من ورقة جسمها وأصفرار لونها وكلف وجهها وتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس

وسمعت من الثقات : ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذا وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق إلى الله تعالى ثم نقل من هذه إلى القيامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس ويدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به إلى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وإنه ينزل فيها والله أعلم .

(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)

قالوا فلما اثقلت مريم ودنا ففانستها أوحى الله تعالى اليها أن مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ايند كرفيه لاسمه فابرزى إلى موضع تأوين فيه فتحوالت مريم إلى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها ، فقالت امرأة زكريا يا مريم اشعرت لاني حبلتي ؟ قالت مريم وأنت أيضاً اشعرت لاني حبلتي ؟ قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى (مصدقا بكلمة من الله) فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها إن ولدت بين اعر قومك عيرونك وقذفوك وقتلوك وولدك فاطلمى من عندهم أى فاخرجى - وقال السكبي قيل لابن عمها يوسف إن مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فمرب بها يوسف فاحتلمها على حمار له فانطلق بها يوسف حتى إذا كان قريبا من أرض مصر في منطقة بلاد قومها أدرك مريم النفاس فالجأها إلى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء .

قال السكبي لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها - واختاف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعيش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة - قال ابن عباس : ما هو إلا أن حملت ووضعته ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباز إلا ساعة واحدة لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فضلا قال الله عز وجل (لحملته فانتبذت به مكانا قصيا) أى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة واحدة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بذت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها الخاض النجأت إلى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فيحتوشتها الملائكة وكانوا صفوا فاحدتين بها أى يحيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الأمر (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)

أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزننى قد جعل ربك تحتك سرياً وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً - فذلك قوله تعالى (فناداها من تحتها أن لا تحزننى) من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلها بإذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهراً من ماء عذب بارد إذا شربت منه وفارا إذا استعملته فذلك قوله تعالى (قد جعل ربك تحتك سرياً) وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الأرض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يابسها فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأطابت وقيل لها هزى إليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطباً جنياً غضا طرياً (قال الربيع بن خيثم ما لفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة إذا عسرت عليها ولادتها خيراً من الرطب وقرأ هذه الآية - قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يمضغ التمر ويحكك به أولاد الصحابة حين يولدون - وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم إن يوسف النجار عمداً إلى حطب فجعله كالخظيرة حوالىها بالقرب منها إذ قد أضر بها الرد ثم أشعل لها نارا لتصطلى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمها إياها فن أجل ذلك توعد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز. قال وهب : فلما ولد عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤوسها ففرغت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاءوا إلى إبليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد نخلت سمات ساعات من النهار فلما رأى إبليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة وإنما كان يراهم أشتاتاً فسالهم فأخبروه أنه حدث فى الأرض حدث فأصبحت كالأصنام كلها منكوسة على رؤوسها ولم يكن شئ أهون على هلاك بنى آدم منها لأنهم كانوا يدخلون فى أجوافهم فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم - فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا: واعلم أنا لم نأتك حتى أحصينا

الأرض وقلوبنا البحار وكل شيء فلم تزدد بما أردنا إلا جهلا فقال لهم إبليس فما يكون إلا أمر عظيم فمكثوا مكانكم فطار إبليس عند ذلك وابث عنهم ثلاث ساعات ثم فيمن بالمكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محققين بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه ، قال فإذا رءوس الملائكة ومنابعهم إلى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أفوام الملائكة راسيه فأراد أن يدخل من بينهم فنهوه من ذلك يدل عليه حديث النبي ﷺ و كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد إلا عيسى بن مريم عليه السلام حجبته الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب ، .

قال وهب فذهب إبليس لعنه الله إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتمكم حتى أحصيت الأرض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجوا الأعلى وكل هذا بافته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتئت قبله رحم أنشئ على والد إلا بعلى ولا وضعتة إلا وأنا حاضرهما ، وإني لأرجو أن يضل به أكثر ممن يهدي به ، وما كان نبي الله أشد على وعليكم من هذا المولود ؛ ثم أنه خرج قوم في تلك الليلة يؤمنونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أنه مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبن فروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال فما بالمر والذهب واللبن أهديتموه بهذه الأشياء ؟ قالوا تلك أمثاله لأن الذهب سيد المناع كله ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ سيد أهل زمانه ولأن المر يجبر به المكسر والجرح وكذلك هذا النبي ﷺ يشفي به كل سقيم ومريض ولأن اللبن دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ يرفعه الله إلى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك أخذ الملك يحدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فإذا علمتم بمكانه أعلموني بذلك فإني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفنوها ما كان معهم من الهدية إليها عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا إلى ذلك الملك ليأعلموه بمكانه فلقينهم ملك وقال لهم (م ٢٨ - قصص الانبياء)

لا ترجعوا إلّية ولا تعلموه بمكانه فإنه إنساناً أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر .
وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت مع عيسى عليه السلام
حدثني وحديثه فإذا شغلني عنه إنسان سبّح في بطني وأنا أسمع والله أعلم .

(باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها إياه)

(إلى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم أن جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامة مريم عليها السلام أمرها
ويسر الله لها أسباب ولادتها ، قال كلّي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب
وقري عينا وطبي نفساً فيما ترين من البشر أحداً فسألك عن ولدك أو لامك
عليه فقولي (إني نذرت للرحمن صوماً) أي صمتاً ؛ وكذلك هو في قراءة ابن
مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا إذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب
والكلام فلن أكلم اليوم إنسياً فأتت به قومها تحمله ، قال الكلبي احتمل يوسف
النجار مريم وعيسى إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوماً حتى تعالت من نفاسها
ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوماً فكلما عيسى في الطريق فقال
يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعهما الصبي بكوا
وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا (يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) فظيها
عظيماً (يا أخت هرون) قال قتادة كان هرون رجلاً صالحاً من أغنياء بني إسرائيل
وليس بهرون أخى موسى وذكر أنه أتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من
بني إسرائيل كلهم يسمون هرون وقال وهب : كان هرون من أفسق بني إسرائيل
وأظهرهم فساداً فشهروها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء وما كانت أمك
بغياً) أي زانية فن أبن لك هذا الولد ؟ فأشارت لهم مرتين إلى عيسى أن كلموه
فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صدياً ؟ قال وهب : فأتاها زكريا عليه
السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها ؛ فقال
عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً (إني عبد الله آتاني الكتاب) الآية
فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيباً للنصارى وإلزاماً للحجة عليهم قال عمرو
ابن ميمونة إن مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجوها فلما
تكلم عيسى تركوها قالوا لم تتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر)

قال الله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنتين وأربعين سنة من مولد أغسطوس وإحدى وخمسون سنة مضت من الأشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس ، فلما عرف هردوس ملك بني إسرائيل سخر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا إلى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكاً إلى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالانعام وأمه إلى مصر ، وأوحى الله إلى مريم أن الحق بمصر فإن هردوس إذا ظفر بابنك قتله فإذا مات هردوس فارجمي إلى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى (وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) .

وذكر أبو إسحق الثعلبي في التفسير (ذات قرار ومعين) قال عبد الله بن سلام هي دمشق ، وقال أبو هريرة هي الرملة ، وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس ، وقال كعب هي أقرب الأرض إلى السماء ، وقال أبو زيد هي مصر ، وقال الضحاك هي عرصة دمشق ، وقال أبو العالية هي إيلياء ، وقال القزاز الأرض المستوية ، والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلقط السنبل في أثر الحصادين ، وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في أثر منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة .

وروى عن محمد بن الباقر رضي الله عنه أنه قال : لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاء إلى الكتاب وأفعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب : قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال له يا مؤدب لم تضربني إن كنت لا تدري فاسألني حتى أفسر

لك فقال له المؤدب فسر لي ، فقال الآلاف لا إله إلا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله ، هوز : الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل النار ، والزاي زفير أهل جهنم ، حطى : حطت الخطايا عن المستغفرين ، كلن : كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته ، سغفص : صاع بصاع والجزاء بالجزاء ، قرشت : أقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم ، فقال المؤدب لأمه : أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة به إلى المؤدب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المفسر بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما باسم الله ، قال المعلم ما أدرى ؟ قال عيسى الباء بهاء والسين سناء الله والميم مملكة جل وعلا ، والله أعلم .

(باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الأحبار : كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر مائلاً إلى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط ، وكان عيسى يمشي حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حليته ولا متاعاً ولا ثياباً ولا رزقاً إلا قوت يومه ، وكان حينما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الأكمة والابرس ويحيي الموتى بإذن الله ويخبر قومه بما يآكلون في بيوتهم ، وما يدخرون لغد ، وكان يمشي على وجه الماء في البحر ، وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهداً في الدنيا راغباً فيها حريصاً على عبادة الله ، وكان سياحاً في الأرض حتى طلبته اليهود ، وأرادوا قتله فرفعه الله إلى السماء والله أعلم .

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام)
(في ضيائه إلى أن نبى)

قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تسمى إليم المساكين فسرقت الدهقان مال من خزانته فلم يهتم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أنتخبين أن أدله على ماله ؟ قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له قم به فقال الأعمى أنا أضعف عن ذلك ، فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام فلما استقل قائماً هوى المقعد إلى ركوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتال على مالك البارحة لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينه فقال الأعمى صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضع في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت إني لم أخلق لذلك ، قال الدهقان فأعطيه لإبنك ، قالت هو أعظم مني شأناً ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فوضع عيسى يده على أفواهها وهو يمشى فكلمها وضع يده على جرة امتلأت شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

آية أخرى : قال السدي كان عيسى عليه السلام إذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما صنع آباؤهم ويقول للغلام انما قد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يا كاون كذا وكذا فينطلق الصبي إلى أهله يبكي لهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا ؟ فيقول عيسى فحسبوا عن صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر ، فجمعهم وهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا هنا فقال لهم فماني

هذا البيت ؟ قالوا خنازير قال كذلك يكون ففتح عنهم فإذا هم خنازير ففشا ذلك في
الناس فمات بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة إلى مصر
آية أخرى . قال السدي : لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسبحان في الأرض
إذ تركا بنو إسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان ملك
بذلك الوقت جباراً عنيداً فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم
عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزيناً ؟ فقالت لها لا تسأليني ،
فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي ؟ فقالت : أن لنا ملكاً يجعل على كل
عنا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فإن لم يفعل طاقبه واليوم يومنا وليس
عندنا سعة قالت فقولي له لا يتم بشيء فإنه قد أحسن إلينا وإني آمرة بني أن يدعوه
ففيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال إن فعلت ذلك يقع شر قالت فلا تبالي لأنه
أحسن إلينا وأكرمنا ، قال عيسى فقولي له إذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك
ماء سم أعطني ففعل ذلك ، فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحماً ومرقاً ، وماء الخواوي
خمرأ لم ير الناس مثله قط ، فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر ؟
فقال له من أرض كذا وكذا قال الملك فإن خمرى قد أتى بها من تلك الأرض وليست
مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبهه عليه قال أخبروني عن
الحق ، قال فأنا أخبرك ؟ عندي غلام ما سأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه وإنه دعا الله
تعالى فجعل الماء خمرأ ، وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام ،
وكان أحب الخلق إليه ، فقال الملك رجلاً دعا الله حق جعل الماء خمرأ ليستجاب
له حق يحكي لابني فدعا عيسى وكله في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لأنه إن دعا وقع
شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه فقال له عيسى إن أحبيته تتركوني أنا وأمي
نذهب حيث نشاء ؟ قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل ملكته قد عاش
تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه علينا
فأكلنا كما أكلنا أبوه فافتلوا وذهب أبوه فافتلوا ، وذهب عيسى وأمه .

آية أخرى ، قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام وصي
فوكزه برجله فقتله فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فأطلع الناس عليه فاتهموه

به وأخذوه وانطلقوا به إلى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال
عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام
فقال لهم ائتوني بالغلाम فقالوا له ماذا تريد منه ؟ قال أريد أن أسأله من قتله قالوا
وكيف يملكك وهو ميت ؟ فأخذوه وأتوا به إلى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاة
فأحياء الله تعالى فقال عيسى من قتلك ؟ قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو إسرائيل
من هذا ؟ قال عيسى بن مريم . قالوا فمن هذا الذي معه . قالوا قاضي بني إسرائيل
ثم مات للغلام من ساعته فرجع عيسى إلى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت
له أمه يا بني ألم أنك عن هذا فقال لها إن الله حافظنا وهو أرحم الراحمين .

آية أخرى ، قال عطاء : سلبت مريم عيسى بعد ما أخرجه من الكتاب إلى
أعمال شق فكان آخر ما دفعته إلى الصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع
عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى إنك قد فعلت هذه الحرفة
وأنا خارج في سفر لا أرجع إلى عشرة أيام . وهذه ثياب مختلفات الألوان وقد
علمت كل واحدة منها على اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغاً منها وقت
قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه
جميع الثياب وقال لها كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ وجدها
كلها في جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت ؟ قال فرغت منها قال أين هي ؟ قال في
الجب فقال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد ؟ لقد أفسدت تلك الثياب .
قال قم فانظر فقام فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر إلى أن
أخرجها على الألوان التي أراها فجعل الصباغ يتعجب وعلم أن ذلك من الله عز
وجل فقال الصباغ انظروا إلى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه
وهم الحواريون والله عز وجل أعلم .

(باب في ذكرى رجوع مريم وعيسى عليهما السلام)

(إلى بلادهما بعد موت هر دوس)

قال وهب : لما مات هر دوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى مريم يخبرها بموت هر دوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار إلى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكن في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى ، وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوى المرضى والزمنى والعريان والجنان ويقمع الشياطين ويذهرهم ويذكهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفاً فمن أطاق منهم أن يمشى إليه مشى إليه ومن لم يطق وصل إليه عيسى عليه السلام وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان ، ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى (اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكيم من في السموات وحكيم من في الأرض لا حكيم فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك بأسمائك المكرام إنك على كل شيء قدير)

(باب في قصة الحواريون عليهم السلام)

قال الله تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد أنا مسلمون) وقال الله عز وجل (وإذا أوحيت إلى الحواريين) أي ألهمتهم ووفقتهم (أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) أعلم بأن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياؤه وأرضيائه وأنصاره ووزرائه وكانوا اثني عشر رجلاً وأسماءهم : شمعون الصمار المسمى بطرس وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه

وفيلبس وبز تولوماس وتوما ومتى العشائر ويعقوب بن حلفا وليسا الذي يدعى
تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام .

واختلف العلماء فيهم لما سموا بذلك ، قال ابن عباس ، كانوا صيادين يصطادون
السماك فربهم عيسى فقال لهم ما تصنعون ؟ فقالوا نصطاد السمك قال لهم ألا تمشون
معي حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك ، قالوا تدعو إلى الله قالوا ومن أنت ؟
قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الأنبياء قوفا ؟
قال نعم النبي العربي ، فأتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه .

وقال السدي : كانوا ملاحين ، وقال ابن أرطاة كانوا قصارين وسموا بذلك
لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا
عيسى فكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الأرض سهلا كان
أو جبلا فيخرج لكل إنسان رغيفا فياكلهما ، وإذا عطشوا قالوا يا روح الله
عطشنا فيضرب الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون ، فقالوا يا روح
الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعتك ؟

قال أفضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه .

قالوا فصاروا يعملون الثياب بالسكرام ، قال ابن عون صنع ملك من الملوك
طعاما فدعا الناس إليه ، وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له
الملك من أنت ؟ فقال أنا عيسى بن مريم ، قال الملك إني أترك ملكي واتبعتك
فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون ، وقيل هو الصباح وأصحابه انتهت القصعة
قال الضحاك : سموا حواريين لصفاء قلوبهم ، وقال عبد الله المبارك : سموا
حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها ،
وأصل الحور عند العرب شدة البياض ، ومنه الأحور والحور ، وقال الحسن :
الحواريون الأنصار ، وقال قتادة : هم الذين تصالح لهم الخلافة ، وقال النضر بن
شميل : الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما يتوهم .

ومنه قول النبي ﷺ : لكل نبي حوارى وحوارى الزبير ، فهؤلاء حوارى
عيسى بن مريم عليه السلام ، فأما حوارى هذه الامة ، فأخبرنا الحسين بن محمد
الدينورى بإسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال : أن الحواريون كلهم من
قريش ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزرة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح
وعثمان بن مطعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد
الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين .

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه)
(وبعد مبعثه إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه)

متى تأييد الله إياه بروح القدس ، قال عز من قائل (وأيدناه بروح القدس)
و نظيرها سورة المائدة (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى
والدتك إذ أيدتك بروح القدس) .

واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نسخ فيه الروح أضافه سبحانه
إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه
قوله تعالى روح منه ، فنفسنا فيه من روحنا ، قال آخرون ، أراد بالقدس
الطهارة أى الروح الطاهرة ، وسمى عيسى عليه السلام روحاً لأنه لم تتضمنه
أصلاب الفحول ولم لا تشمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمراً من الله تعالى .

قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو
أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار إلى أن صعد به إلى السماء وقال
سميع بن جبير وعقيد بن عمر هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس
تلك العجائب ، ومنها تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة ، وكان يقرأهما من حفظه
كما قال الله تعالى (وإذا علمت الكتاب) أى الخط ، قيل الخط عشرة أجزاء
فقسمة منها لعيسى والحكمة والتوراة والإنجيل .

ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبراً عنه (إنا جئكم بآية من ربكم
أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) وقال تعالى
﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى ﴾ فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ

فيه فيكون طيراً بإذن الله ولم يخلق غير الخفاش وإنما خص بالخفاش لأنه أكل الطير خلقاً فيكون أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأسناناً ويبيض ويطيير .

قال وهب ؛ كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن السكّال لله عز وجل .

ومنها إبراء الأكمة والابرص قال الله (وتبرئ الأكمة والابرص بإذني) والابرص الذي به وضوح والأكمة الذي ولد أعمى ولم ير ضوءاً قط ولم يكن في الإسلام أكمة غير قتادة وإنما خص هذين لأنهما أعيايا الأطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر بدبر فيه عميان فقال ما هؤلاء ؟ فقيل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال مادعاكم إلى هذا ؟ قالوا خفنا طاعة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا باسم الله ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً قيام ينظرون . ومنها إحياء الموتى بإذن الله تعالى . وإذا تخرج الموتى بإذني . وأحيا منهم أمواتاً منهم العاذر وكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت فإنه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لأخته اطلقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى ؛ اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتهم أني أحي الموتى بإذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له .

ومنها ابن العجوز ، وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال أن في هذه المدينة لمنزلة يذهب يستخرج له لنا فقالوا يا روح الله لا تدخل هذه القرية أحد غريب إلا قتله فقال لهم عيسى مكانكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز ؛ أما ترضى أن أدعك لأذهب بك إلى الوالي حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب إذ أقبل الفقي ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفقي مثل مقالته

المعجوز فقال له عيسى أما إنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى ؛
إما أن تكون مجنوناً وإما أن تكون عيسى بن مريم ؟ فقال أنا عيسى فأضافه وبات
عنده فلما أصبح قال له أعد وادخل على الملك وقل له جئت وأخطب إنك فإنه
سيأمر بضربك وإخراجك فضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت إليك لأخطب
ابنتك فأمر بضربه وأخرج فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره بالخبر فقال إن كان غداً
مات فذهب إليه وأخطب ابنته فإنه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه
دون ذلك الضرب الأول فرجع إلى عيسى فأخبره فقال ارجع إليه فإنه سوف يقول
لك أنا أزوجك إياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب
وفضة وزبرجد فقال له افعل ذلك فإذا بعث معك أحد فأخرج به فإنه سوف تجده
فلا تحدث فيه شيئاً ثم إنه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي فقال وما حكمك ؟
حكم بالذي سماه عيسى فقال نعم رضيت أبعث من يقبض ذلك فبعث معه رجلاً فسلم
إليهم ما سأله الملك فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت
على مثل هذه الحالة فقال له عيسى إنى آثرت ما يبقى على ما يقضى فقال الفتى أنا أيضاً
أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به إلى أصحابه
وقال لهم هذا المكمن الذى قلت لكم فكان معه ابن المعجوز إلى أن مات ومعه وهو
صيت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريرته ونزل من أعلى أعناق الرجال
ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له .
ومنها ابنة العشار رجل كان يأخذ المشرب ؛ قال له أتحببها وقد ماتت بالأمس
فدعا الله عز وجل فماتت وبقيت وولد لها .

ومنها سام بن نوح قال له الخواريون وهو يصف لهم سفينة نوح ؛ لو بعثت
لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبة من تراب
وقال هذا قبر سام بن نوح إن شئتم أحبيته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم
وضرب التل بعصاه وقال احيى بإذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب
نصف رأسه فقال أو قد قامت القيامة ؛ قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الأعظم
فقال ولم يكونوا يشعرون في ذلك الزمان ، وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب

ثم أخبرهم بخبر السفينة وقال له عيسى مت قال بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى ففعل ذلك ، وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام ومنها عزيز عليه السلام ، قالوا لعيسى عليه السلام أحياه وإلا أحرقتك بالنار . وجمعوا حطباً كثيراً من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صناديق من حجاره مطبقة فوجدوا قبر عزيز مكتوباً على ظهره اسمه فمالجوه ليفتحوه فلم يقدرُوا أن يخرجوه من قبره فرجعوا إلى عيسى فأخبروه فمالجوه ليفتحوه لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به إلى عيسى وهو في أكفانه والارض لا تأكل أجساد الأنبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احيي يا عزيز بإذن الله تعالى فإذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا يا عزيز ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبعثه لنا ليكون بين أظهرنا حياً فقال عيسى يردوه إلى قبره فردوه إلى قبره فعاد ميتاً فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعانده من عانده قال السكابي كان عيسى يحيي الموتى بياحي يا قيوم ؛ ومنها إخباره عليه السلام عن الغيوب فقال الله عز وجل إخباراً عنه (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) . قال السكابي لما أبرا عيسى الأكمة والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر وليكن أنخبرنا بما نأكل وبما ندخر فمكان يخبر الرجل بما يأكل في غذائه وبما يأكل في عشائه ومنها مشييه عليه السلام على الماء ، ويروى أنه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى إلى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشى على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعتك الله فيه ففتك الله على ما قلت فتب إلى الله بما قلت فتاب للرجل وعاد إلى مرتبة التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً .

وحدثني الإمام أبو منصور الخشاعي بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال (لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما يبلغ ذلك أحد قط قال ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء ؟ قال نعم ولو ازداد خوفاً وبقينا لمشي على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر ، فقال إن الله تعالى أبلغ شأننا من أن يبلغ أحد شأنه (ذكر حديث جامع هذا الباب)

قال وهب ؛ خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض فصاحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم فقام عيسى إلا الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيف فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر ؟ فقال ما كان إلا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا فجاءا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلحقيا أعمى فقال له أرايت إن أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره ؛ قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله تعالى فإذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من رغيف ؟ فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فإذا هو بمقعد فقال له عيسى ؛ أرايت إن عالجتك فعاذك الله فهل تشكره ؟ قال نعم فدعا الله تعالى عيسى فإذا هو صحيح قائم على رجلتيه فقال صاحب عيسى ما أرايت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى بصيراً والمقعد صحيحاً أين الرغيف الثاني ؟ فخلف له أنه ما كان معه إلا رغيفاً واحداً فسكت عيسى عنه ، فانطلقا حتى انتهيا إلى بحر عجاج فقال له عيسى لا أرى جسراً ولا سفينة فخذ بحجابي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فإذا هما بطباء ترعى فدعى عيسى بطبى فذبحه وشوى منه بعضاً وأكله ثم ضرب عيسى بقية الطبى بعصاه وقال قم بإذن الله عز وجل فإذا الطبى يعدو

فقال سبحانه الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغبة الآخر ؟
فقال ما كان إلا رغبة واحد فربصاحب بقر فننادى عيسى يا صاحب البقر اجزر
لنا من بقرك هذا عجlan فقال ابعت صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء
به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر إليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظماً فلما
فرغ قذف بعظامه فى جأده ثم ضربه بعصاه وقال له قم بإذن الله فقام العجل وله خوار
فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم
فقال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذى أحيا العجل كم كان معك من
رغبة ؟ فقال ما كان معى إلا رغبة واحد فسكت ومشيا حتى دخلا قرية فنزل
عيسى فى أسفلها واليهودى فى أعلاها فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال له أنا الآن
أبرىء المرضى وأحىي الموتى قال وكان ملك ملك القرية مريضاً مدنفاً فانطلق اليهودى
فنادى من يبتغى طبيبياً حتى أتى باب الملك فأخبر بوجهه فقال ادخلونى عليه فأنا
أبرئه وإن رأيتموه قد مات فأنا أحىيه فقيل له إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك
وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه إلا صلبه فقال ادخلونى عليه فأدخل عليه فضرب
الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول له قم بإذن الله فلم
يقم فأخذ ليصالب فبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى
أرأيتم لو أحيت لكم الملك هل تتركون لى صاحبي ؟ قالوا نعم فدعا الله عز وجل
فأحياه وقام فأزل اليهودى من على الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة
والله لا أفارقك أبداً فقال له عيسى أشدك الله الذى أحيا الظبي والعجل بعدما أكلناهما
وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم كان معك من رغبة ؟
قال خلف بهذا كله وقال والله ما كان معى إلا رغبة واحد فقال عيسى لا بأس
فانطلقا حتى أنيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها
السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لى
واحدة لك وواحدة للذى أكل الرغبة الثالث ، فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب
الرغبة الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها ، فانطلق عيسى وتركه
ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فإن له أهلاً

يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطلع إلى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه
 حمل المال فانطلق مع عيسى ، فبينما هو كذلك إذ مر بالمال ثلاثة نفر فأتوا عليه
 فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق إلى بعض القرى فائتنا بطعام وشراب
 ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن
 تقتله إذا رجع وتقسم المال بيننا ؟ قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجعل فى
 الطعام سما فإذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع إليهما ووصل
 قتلاه ثم أكلا الطعام الذى جاء به إليهما فأتا وأن عيسى عليه السلام مر بهم وهم
 حوله مقتولين فقال ؛ لا إله إلا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ثم إن عيسى أحياهم
 بإذن الله تعالى فاعتبروا وروا ولم يأخذوا من المال شيئا فتظلمت نفس اليهودى
 صاحب عيسى إلى المال فقال اعطاني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك فى الدنيا
 والآخرة فلما ذهب ليأخذه خسف به الأرض فانطلق عيسى عليه السلام ومنها نزول
 المائدة قال الله تعالى (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن
 ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الآية .

واختلف العلماء فى صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر
 عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنه قال (نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذاك
 أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفذ قال فقال لهم إني فاعل ذلك وإنما
 مقيمة لكم ما لم تخبثوا أو تخونوا فإن فعلتم ذلك عذبتم ، قال فما مضى يومهم حتى
 خابوا وخبثوا ، وفى بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لها لا تنزل أبدا
 فوقعت ومسحوا قردة وخنزير ؛ قال ابن عباس قال عيسى لبنى إسرائيل صوموا
 ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا
 يا عيسى إنا إن عملنا لأحد أقضيينا عمله أطعمنا طعاما وإنا إن صمنا وجعنا فادع
 الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافتش الزماد ثم دعا الله
 تعالى فقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) الآية فأقبلت الملائكة بمائدة
 يحملونها عليها أرغفة وأحوات ووضعها بين أيديهم فأكل منها آخرهم كما أكل أولهم
 وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت بالمائدة إذا وضعت لبنى إسرائيل اختلج
 عليها الأيدي فيها كل الطعام إلا اللحم ؛ وقال عطية العوفى نزلت سمكة من السماء فيها

طعم كل شيء ؛ وقال فتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل .
 وقال وهب أنزل الله أفرصة من شعير وحيثانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى وليكن الله ضاعف لهم البركة فكانوا قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيى آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وقال كعب الأحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال إني منزلها عليكم كما سألتني فن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلاً ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضىنا فدعنا شمعون الصفار وكان أفضل الحوار بين فقال هل معك طعام ؟ فقال معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعاً وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقاً كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزاً صحاحاً وسمكا صحاحاً ثم قام عيسى يمشى فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ماشاء الله وفضل الناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعاً شهدنا أنك عدل الله ورسوله ثم سأله مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع ما صنع في المرة الأولى فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم إنما سحر أعينكم فن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فمسحوا قردة وخنازير وليس منهم صبي ولا امرأة فمسكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ويشربوا وكذلك كل مسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيماً ولا قهقه ضحكاً ولا ذباً باعاً عن وجهه ولا أخذ على أنفه مرتين شيئاً قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم الموائد صنفوا قال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) الآية وارزقنا عليها طعاماً نأكل (وأنت خير الرازقين) فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم

(م ٢٩ — قصص الأنبياء)

اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون إليها فنظروا إلى شيء لم يروا مثله
قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملا يكشف عنها
ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصغار رأس الحواريين أنت أولى بذلك
مننا فقام عيسى ونوضا وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال
باسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل
سبيلا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها نخل وحواليها من أنواع البقول ما خلا
الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا
م من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى عليه السلام ليس ماترون من طعام الدنيا ولا من
طعام الآخرة ولكن افعله الله بالقدرة الغالية كلوا مما سألتكم يمددكم ويزدكم من فضله
قالوا يا روح الله لورأيتنا من هذه الآية آية أخرى ؟ فقال عيسى باسمكة احيى بإذن
الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم
تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ، ثم قال فما أخوفنى عليكم أن تعذبوا باسمكة
عودى كما كنت بإذن الله فمادت السمكة مشوية كما قالوا يا روح الله كن أول من يأكل
منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولا يمكن يأكل منها من سألها فخافوا
أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين
وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولا غيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف
وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومن مريض ومبتلى كلهم شبهان يتجشأ ثم نظر
عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئةها حين نزلت من السماء ، ثم طارت المائدة صعدا
وهم ينظرون إليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض ولا برى ولا من
إلا صح ولا مبتلى إلا عوفى ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم
الحواريون ومن لم يأكل وكانت إذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار
والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال
منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفاء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم
وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناية ثمود فأوحى الله إلى عيسى أن اجعل

ما تدعى ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا
الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حتما فقال لهم عيسى هاسكتم فشمروا
لعذاب الله فأوحى الله تعالى إلى عيسى إني شرطت على المكذبين شرطين أن من
كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام
(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فسخ منهم ثلثمائة
وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازين
يسمعون في الطرقات والكناسات ويا كلون القاذورات والحشوش فلما رأى الناس
ذلك فزعوا إلى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين أهلهم فلما أبصرت
الخنازير عيسى بكى وجعلت تطوف فجعل عيسى يدعهم باسمائهم واحداً واحداً
ففيكون ويشيرون براءهم لا يقدر على الكلام فعاشوا ثلاث أيام وهلكوا
ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر
المرو فوجد جالسا فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روج
الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتمجب
أن أدعوا الله فيحيبها لك ؟ قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل
فإذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت ؟ فقال يا رسول الله
أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي اجب فاجبت ثم
قال يا رسول الله مر على من أليم العذاب ما إن ردني الله إلى الدنيا أعطيته عهداً أن
لا أعصيه أبداً فادع الله لي فرق لي قلب عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم
قال له امضى فمضى فقال له صاحب القبر يا رسول الله لقد غلطت بالقبر إنما قبرها
هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى
أتعرفها ؟ قال نعم هذه امرأة أتى فدعا الله عيسى حتى رزها عليه فأخذ الرجل بيدها
سحتى انتهى إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها
ونظرت إليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فأشار إليها فوضعت رأس زوجها
عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها ففقدتها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتهلق
بها وقال امرأتى فقال الفتى هي جاريتى فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى عليه السلام

فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصص فقال لها عيسى ما تقولين ؟ قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردى علينا ما أعطيناك قالت فملت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافراً ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت ، ومنها رفعه إلى السماء إذ قال الله (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) الآية ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (وما قتلوه وما صلبوه واسكن شبه لهم) إلى قوله تعالى (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكماً) .

وروى السكابي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا ؛ قد جاء الساحر ابن الساحر الفاعل بن الفاعلة فقتلوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربى وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من لقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمى فاستجاب الله دعاءه ومسح الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معشر اليهود إن الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضباً شديداً وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفع الله تعالى من رزنته فامر رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب إن عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً وقال احضرونى الليلة فلي إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل غشاهم وقام بخدمتهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاضبوا ذلك وتكاثروا فقال لإمامهم رد عليه شيئاً مما أصنع فليس منى ولا أنا منه فاقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال لهم ؛ أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام غسلت أيديكم بيدي لا ليكون لكم بى أسوة لأنكم ترون إني خيركم فلا يتعاضبوا على بعض ولا يبدلوا بعضكم أنفسه

لبعض كما بذلت نفسى لكم ؛ أما الحاجة التى استعنتكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون
فى الدعاء أن تؤخروا أجلى فلما نصبروا أنفسهم للدعاء وأرادوا يجتهدوا أرسل الله
عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون فى
ليلة واحدة وتأمينونى فيها ؟ فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسير فنكبر السهر
وما نطيق الليلة سهرأ وما نربد دعاء لإلا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعى وتبقى
الغنم وجعل يأتى بكلام مثل هذا يعنى نفسه ثم ليكفرن به أحدكم قبل أن يصبح الديك
ثلاث مرات ليديهنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت
اليهود تطالبه فاخذ شمعون أحد الحوارين فقالوا أهذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من
أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك
فلما أصبح دعا أحد الحوارين أولئك اليهود فقال ما تجعلون لى إن دللتكم عليه ؟ فجعلوا
له ٣ درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه لهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه
وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحبى الموتى وتبرىء الأكمة
والأبرص أغلا نفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم
لأنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض
وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذين دلهم عليه
واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم
رفعه إلى السماء فذلك قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك ومطهر لك من الذين كفروا)
فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها
وأبرأها من الجنون ييكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان ؟
فقالا عليك فقال إن الله تعالى رفعنى فلم يصيبنى إلا خيراً وإن هذا شخص شبه لهم
وقال مقائل ؛ إن اليهود وكلوا بعيسى رجلاً يكون عليه رقيباً يدور معه حيثما دار
فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن
اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم إنى لست عيسى إنى فلان بن فلان فلم يصدقوه
وقتلوه وصلبوه فقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى قال لأصحابه أياكم يقذف عليكم شبهى
فإنه مقتول فقال رجل من القوم أنا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه وقيل
إن الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل إسرائيلى يسمى أشيوع بن قديرا والله أعلم.

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب ؛ لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث
السماء سبعة أيام ثم قال الله له إن أعداءك اليهود أعجلوك من العهد إلى أصحابك
فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فإنه لم يبك عليك أحد بكاء ملة
ولم يحزن عليك أحد حزنا فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلمح بك وأمرها
أن تجمع الخواريين فثبتهم في الأرض دعاة إلى الله تعالى .
وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بنى إسرائيل في قرية من قرى
أنطاكية يقال لها مجدلان ؛ وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها
أشراف بنى إسرائيل فامتعت فظنوا أنها رفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعه
ولما أرادت إخفاء علمها عنهم ؛ فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام إليها كانت
يشفى الله على يديه من المرضى الزمنى أقبات إليه رجاء الشفاء ؛ فلما رأت عيسى
وما ألبسه الله من الهيبة استحييت وانصرفت إلى ورائه ووضعت يدها على ظهره
فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بذية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاء وطهره بطهارته
فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها سبعة أيام
من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نور فجمعت له الخواريين فثبتهم في
الأرض دعاة إلى الله ثم رفعه الله وكساه الریش وألبسه الثور وقطع منه شهوة
المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش في مكان إنسيا ماسكيا أرضية
سماويا وتفرق الخواريون حيث أمرهم تلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي
تخرفها النصارى قالوا فوجه بطرس روميه وأندراوس ومتى إلى الأرض التي
ياكل أهلها الناس وتوما وليسا إلى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا إلى القيروان
وإفريقيه ويحيى إلى أفسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبيين إلى أورشليم وهي
إيلياء أرض بيت المقدس وبرتولو واماوس إلى الإغرابيه رضر الحجاز وشعمون إلى
أرض بربر فاصبح كل واحد من الخواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى إليهم
قال ابن إسحق ؛ ثم عمد اليهود إلى بقية الخواريين أصحاب عيسى يشتمونهم
ويهدبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له إن

رجالاً كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ؛
وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الأسقام وخلق لهم من
الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائراً بإذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب
فقال ملك الروم فما منكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت خلقت بيته
وبينهم ثم إنه بعث إلى الخواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين
عيسى فاخبروه خبره فبأيعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب
عليها فأكرمها وصانها لها مسجداً منه وغزا بني إسرائيل فقتل منهم خلقاً كثيراً
فمن هناك كانت أصل النصرانية في الروم .

وقال أهل التوراة ؛ حملت مريم بعيسى وأبنا ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى
ببيت لحم من أرض أورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على بابل
ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الإسكانيين أوحى الله إليه على رأس ثلاثين
سنة ورفع من بيت المقدس إليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام)

قال وعب ؛ لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام أخى بين الخواريين
فأمر رجلين منهم يقال لأحدهما شمعون والآخر يحيى أن يلتزما أمه
ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم إلى ماروت ملك الروم يدعوونه إلى الله تعالى
وقد بعث الله تعالى إليه قبل ذلك بولس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون
وأندراوس فقتلا وصلبا منكرسين وهربت مريم ويحيى حتى إذا كانا في بعض
الطريق لحقهما الطالبان فخافا فانشقت لهما الأرض فجأبا فيها وأقبل ماروت ملك
الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً فردوا التراب على حال
وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه فأسلم كما
ذكرنا والله أعلم .

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

قال الله تعالى (وإذنه لعلم للساعة فلا تمترون بها) الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن ؟ قال نعم قوله « وكهلا » وهو لم يكن بكمل في الدنيا وإنما معهاه وكهلا بعد نزوله من السماء .

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي بإسناده عن أبي هريرة قال ؛ قال رسول الله ﷺ (الأبياء إخوة لعلات أمهاتهم شقي ودينهم واحد ، وإني أول الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً حكماً وإذنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين محصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويتقبض المال ويهمل من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ملبياً بهما جميعاً ويقا تل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه المال كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة المكذاب الدجال وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفونونه في المدينة بجانب عمر و أقرءوا إن شئتم) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات .

وأخبرنا محمد بن القاسم العارسي بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الأمة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لأبي بكر وعمر يحشران بين نبيين .

وأخبرني أبي قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد علي بإسناده عن ابن عباس قال ؛ قال رسول الله ﷺ (كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها » والمهدي من أهل بيتي في وسطها) .

(باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام إلى أنطاكية)
(وذلك في أيام ملوك الطوائف)

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون) يعنى
رسل عيسى عليه السلام (إذ أرسلنا إليهم اثنين) واختلفوا في إسميهما (فقال ابن
المسيح فاروض وروماض ، وقال وهب ويحي ويونس وقال مقاتل يومان و
وقال كعب صادق وصددوق (فكذبوهما فعزنا بثالث) أى فقويناب
ثالث وهو شمعون القصار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب
إسمه شلوم وقال مقاتل سمعان .

قالت العلماء بأخبار الأنبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين
إلى مدينة أنطاكية ، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنمات له وهو حبيب
النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتم ؟ قال رسولاه عيسى عليه السلام ندعوكم
من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن قال أمعكما آية ؟ قال نعم نحن نبرئ المريض
ونشفى الأكمة والابصر بإذن الله ، فقال الشيخ أن لى ابناً مريضاً صاحب
فراش منذ سنين ، فلما نظرا إلى ولد الشيخ قربا إليه ودعوا له ومسحا يديهما
فقام في الوقت بإذن الله ، وشفى الله على يديهما كثيراً من المرضى ، وكان في
مدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الأصنام يقال له سلاحين .

وقال وهب : إسمه بطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر إلى الملك
فدعاهما إليه وقال لهما من أنتما ؟ قال رسولاه عيسى قال وما آيتكما ؟ قال نبرئ
الأكمة والابصر ونشفى المرضى بإذن الله تعالى ، قال وفيم جئتما ؟ قال جهنمك
ندعوكم من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك :
أو لنا إله سوى آلهتنا ؟ قال نعم ، قال من ؟ قال من أوجدك بعد هدمك :
قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق .

ذهب : بعث عيسى بهذين الرسولين إلى أنطاكية فأقياها فلم يوصلا إلى
طالت مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبيرا وذكر الله تعالى
الملك فأمرهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب
ولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما
يصرهما فدخل شمعون البلد متذكرا فجعل يماشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا
خبره إلى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها
الملك إني قد بلغني أنك حبست رجلاين في السجن وضربتتهما حين دعوك إلى غير
دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ؟ فقال حال الغضب بيدي وبين ذلك ، قال فإن رأى
الملك دعاهما ، فدعاهما الملك فلما حضرا قال شمعون لهما من أرسلكما إلى هنا ؟ قلنا
الذي خلق كل شيء فإنه يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، قال شمعون وما آيتكما ؟
قلنا ما نتمناه نبريء إلا كمة والابرص ونشفى المرضى والزمنى بإذن الله ، قال
فأمر الملك فجاء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زال يدعوان الله
حتى انشق موضع البصر فأخذنا ببندقيتين من الطين فوضعهما في حديقته فصارتا
مقلتين يبصر بهما فأنشراح الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت إلهك حتى يصنع
لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف وإلهك فقال الملك ليس لي عنك سرا علم
أن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فقال الملك للرسولين
إن الحكم الذي تعبدانه يقدر على إحياء الميت ؟ قلنا إلهنا يقدر على كل شيء فقال
الملك إن ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا آخرته فلم أدفنه
حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلوا يدعوان ربهما
علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم إني قدمت منذ سبعة أيام
مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم
قال إن أبواب السماء فتحت لي فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال
الملك ومن الثلاثة ؟ فقال شمعون هذان وأشار إلى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم
شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك بمن آمن
وكفر آخرون .

وقال كعب ووهب ، بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس ، وقال ابن عباس ومقاتل وإسمه حبيب بن إسرائيل النجار قال وهب ، وكان سقيماً قد أقر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة أنطاكية وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمضى في قسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتبكم لإيمانه ويعبد ربه في غار ، فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم إلى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه ، وذلك قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) إلى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم ؟ فقال : (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) إلى قوله (إني آمنت بربكم فاسمعون) فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .

وقال الحسن : خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سوق أنطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) فلما أفضى إلى الجنة الله وكرامته (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النعمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فأتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) على غيرهم من كفار الأمم (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) أي ميتون .

أخبرنا أبو بكر الخشراوي بإسناده عن أبي ليلى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ (سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس ، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم)

(قصة يونس بن متى عليه السلام)

شئ أمه ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس
 متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله ﷺ فيه (لا ينبغي لأحد أن
 يقول أنا خير من يونس بن متى) قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً) الآيات .
 قالت العلماء بأخبار القدماء : كان يونس رجلاً صالحاً يتعبد في جبل وكان في
 قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم
 يونس بن متى عليه السلام بالنهاي عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه
 السلام رجلاً صالحاً لا يصبر على الناس فلمحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن
 القراءة يستمع إلى قراءة الوحي كما كان داود في زمانه وكان يعتره حدة ولذلك
 نهى رسول الله ﷺ أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى (فاصبر كما
 صبر أولوا العزم من الرسل) وقال تعالى (ولا تكن كصاحب الحوت) لأنه كان
 قليل الصبر على قومه والمداراة لهم ، قال رسول الله ﷺ (كان يونس بن متى فيه
 عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ نحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ؛ ولذلك
 السبب ذهب مغاضباً) .

واختلف العلماء في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته ، فقال قوم ذهب مغاضباً
 لقومه وهي رواية الضحاك والعمري عن ابن عباس قال : كان يونس بن متى وقومه
 يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطان ونصف
 وكانوا اثني عشر سبطاً فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى إلى شعيب النبي أن سر
 إلى حزقيا الملك وقل له يوجه نبياً قوياً أميناً فأني ألقى الخوف في قلوب أولئك
 الأسباط حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال الملك فما ترى ؟ وكان في ملكيته خمسة من
 الأنبياء فقال إن يونس فإنه قوي أمين فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك
 الله بإخراجي ؟ قال لا قال هل سماني لك ؟ قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء
 فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان
 وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال له انطلق
 إلى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم إن لم يتوبوا ، قال له التمس دابة

قال الأمر أعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى البحر فركب سفينة فكان من أمره ما كان فعلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت .

قال ابن عباس إنما كانت رسالة يونس بعد أن نبذته الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) وقال آخرون : بل كانت قصة الحوت بعد دعاء قومه وتبليغه الرسالة وإنما ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم بل ولم يعلم السبب الذي رفع عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضباً قال والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً أو عدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ٣٠ سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ٣٣ سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما روبيل وكان عالماً حكماً والآخر تذوخا وكان حليلاً زاهداً .

قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : لما أيس من إيمان قومه دعا عليهم فقبل له ما أسرع ما دعوت على قومك أرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فإن أجابوك وإلا فإني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم ٣٧ ليلة فلم يجيبوه فقام خطيباً فيهم وقال إني محذركم العذاب إلى ٣ أيام إن لم تؤمنوا ثم قال لهم إن آية ذلك تغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وإنا لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات الليلة فآمنوا من العذاب وإن لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصيبكم فلما كان ليلة الأربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب .

قال سعيد بن جبير كما يغشى التراب القبر إذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب غيبت السماء غماً أسود هائلاً تدخن دخاناً شديداً فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه

فقدف الله في قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع إليه فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسأهم رصديانهم وظوا بهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والأنعام فحن بعضها إلى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وتضرعوا إلى الله وقالوا آتنا بما جاء به يونس فرحمهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلمهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الأربعاء للأنصاف من شوال ،

وروى صالح المروى عن عمران الجوني عن أبي خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى ؟ قالوا يا حي حين لا حي يا حي حين يحيى المرنى لا إله إلا أنت فمالوا كشف الله عنهم العذاب ومتعوا إلى حين كما قال الله تعالى رفولاً كانت قرية آمنت أى فلم تكن قرية آمنت وضع النحضوض موضع النفى لأن فيه ضرباً من الجحد (فنفعوا إيمانها) فى وقت اليأس عند معاينة العذاب (إلا فرم يونس لما آمنوا) ففهم إيمانهم فى ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم (كشمنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) .

قال يونس كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتم فأنطلق معاتباً ربه مغاضباً فومه فأتى البحر كما قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) أى أن لن نقضى عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقده تقديرأ وقدره يقدر قدرأ وقد قرىء بهما جميعاً فى قوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) وقوله تعالى (والذى قدر فهدى) هذا قول أكثر المفسرين ، وقال عطاء معناه فظن أن لن تضيق عليه الحديس فمن قول الله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ويضيق ، وقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه) .

قال ابن زيد : هو استفهام معناه فظن أن لن نقدر عليه ، وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه ، قال وبلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضباً ربه فاستنزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه الشيطان فلما أتى يونس البحر إذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير

أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون
أفها عبداً آبقاً من سيده وهذا رسم السفينة إن كان فيها آبق لم تجر فآقروا فوقفت
القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا تلقى في الماء فآقروا ثانياً وثالثاً فخرجت
القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى (فساهم فكان من المدحضين)
فلما وقع في الماء وكل الله به حوتاً فابتلعه وأوحى الله تعالى إلى الحوت إن لم أجعله
لك رزقاً بل جعلناك له حرزاً ومسكناً فخذ به ولا تكسر له عظماً ولا تخذش له لحماً
فأهوى به إلى مسكنه في البحر وقد نطلق من ذلك المكان حتى مر به على الأبله ثم
مر به على هجلة ثم انطلق به إلى نينوى ، ويقال إن الله تعالى رقق له جلد الحوت
حتى كاد يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس صوتاً فقال
في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه وهو في بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب
البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا إنا نسمع
صوتاً ضعيفاً معروفاً بأرض مجهولة ؟ قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبهته في
بدن الحوت في البحر قال فشيئوا له عند ذلك وهو قوله (فنادى في الظلمات أن
لا إله إلا أنت) قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت
(سبحانك إني كنت من الظالمين).

وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
إسم الله الذي إذا دعا به أجاب وإذا نزل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت
يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ فقال هي ليونس خاصة
ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى (فنادى في الظلمات) إلى
قوله (وكذلك تنجي المؤمنين) فلما دعا به يونس وشغفت له الملائكة أمر الله
الحوت فقفه إلى ساحل نينوى كما قال الله تعالى (فنبذناه بالبراء) أي بوجه
الأرض (سقيم) أي عليل ضعيف كالقرخ المميط .

واختلفوا في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ٣ أيام وقال عطاء
٧ أيام ، وقال الضحاك ٣ يوماً وقال السدي والكلبي ٤ يوماً فلما أخرجه الله
من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فيجعل يستظل بها فذلك

قوله تعالى (وأنبئنا عليه) أى عنده (شجرة من يقطين) قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله إليه : أنبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم .

ثم ذهب يونس فإذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام ؟ قال أنا من قوم يونس ، فقال له إذا رجعت فقل لهم إنك لقيت يونس فقال الغلام ؛ إن كنت يونس فأنت تعلم أنه إن لم يكن لي بيذة قتلت فمن يشهد لي ؟ فقال يونس تشهد لك هذه البقرة وهذه الشجرة وهذه الشاة ، وأشار إلى شاة من غنمه فقال له الغلام فمرهم ؟ قال لهم يونس إذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له ؟ قالوا نعم .

فرجع الغلام إلى قومه ثم قال للملك إنى قد لقيت يونس وإنه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال إن لي بيذة فأرسلوا معى أحدا يشهد فأرسلوا معه رجلا فأتى البقرة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس ؟ قالوا نعم فرجع القوم مذعورين فأخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال ؛ أنت أحق بهذا المكان منى ، قال فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم .

يروى أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثير من الفخار . فأوحى الله إليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدي أعيش منه وأتمتع بشمته أنا وعيالى تأمرنى بكسره فبكى يونس فأوحى الله إليه ؛ هذا عمل فخار من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسك ووطنها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادى فمضى يونس وهبط واديا .

قال فلما شهدت الشجرة والأرض والشاة والغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم إن أردتم يونس فاهبطوا الوادى فهبطوا فإذا هم بيونس فسألوه أن يدخل معهم المدينة ، فقال لا حاجة لي في مدينتكم وألحوا عليه فأجابهم فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصبر الغلام الراعى ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ما قيا عليهما السلام ، وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)
 اختلف العلماء في الرقيم . قال النعمان بن بشير الأنصاري : سمعت رسول الله ﷺ
 يذكر الرقيم قال : إن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهلهم فبينما هم يمشون إذا
 أصابهم السماء فآثروا إلى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على
 باب الكهف فأرصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فعمل
 الله برحمته فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة : كان لي أجراء يعملون عملا لي
 فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار
 فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت
 على من الإكرام أن لا أنقصه شيئا عما استأجرت به أصحابه لما اجتمع في عمله فقال
 رجل منهم ، أعطى هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا نصف النهار ؟ فقلت له يا عبد الله
 ألم أبخسك شيئا من شرطك إنما هو مالي أحكم فيه بما شئت . قال فغضب وذهب
 وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر
 فاشتريت به فتممته فبلغت ماشاء الله ، فر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي
 ن لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له إياك أبغى
 وهذا حقلك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تتصدق علي فأعطاني
 حتى فقلت له ما أسخر إن هذا لحقلك ومالي فيه شيء فدفعتهما إليه ، اللهم إن كنت
 فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء .
 وقال الآخر : قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني
 امرأة تطلب مني معروفا ، فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت ثم إنها
 رجعت فذكرتني بالله فأبى عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت
 ثم إنها رجعت إلى تشدني بالله فأبى عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت
 ذلك أسلمت إلى نفسها فلما كشفتها ارتعدت فقلت لها ما شأنك ؟ فقالت ، إني أخاف
 الله رب العالمين ، فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخا . فركبته وأعطيتها ما تحب
 اللهم إن كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا تصدع الجبل حتى تعارفنا .
 (م ٣٠ — قصص الأنبياء)

وقال الآخر ، لقد عملت حسنة مرة كان لي أبوان كبيران ؛ وكان لي غنم
فكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي ، قال فأصابني يوماً غيث فلبسني
حتى أمسيت فأتيت إلى أهلي وأخذت محلي فلبت غنمي وتركتهما قائمة ومضيت إلى
أبوي فوجدتهما قد ناما فشق علي أن أوقظهما وشق علي أن أترك غنمي فما برحت
جاساً ومحلي في يدي حتى أيقظتهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك
الكريم فافرج عنا ما نحن فيه ، وقال النعمان لسكاني أسمع من رسول الله ﷺ
قال (كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم نخر جوا) .

وقال ابن عباس ، الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي
فيه أصحاب الكهف قال كعب هي قريتهم .

وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الأخيار والرقيم لوح من حجارة ، وقيل
من رصاص وكتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه
على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال (إذ أوى الفتية إلى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ (كان أمر
أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

وأما قصتهم . فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة
أنه قوم من أحبار اليهود فقالوا يا عمر أنت ولي الأمر بعد محمد ﷺ وصاحبه وإنا
نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها علمنا أن الإسلام حق وإن محمداً كان نبياً
وإن لم نخبرنا علمنا أن الإسلام باطل وأن محمداً لم يكن نبياً فقال عمر ، سلوا عما
بدا لكم ؟ قالوا أخبرنا عن أفقال السموات ما هي ؟ وعن مفاتيح السموات ما هي ؟
وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو ؟ وأخبرنا عن خمسة أنبياء مشوا على وجه
الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ؟ وأخبرنا عما يقول الدارج في صياحة ؟ وما يقول
الديك في صراخه ؟ وما يقول الفرس في صهيله ؟ وما يقول الضفدع في نقيقه ؟
وما يقول الحمار في نهيقه ؟ وما يقول القنبر في صفيره ؟

قال فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال لا عيب بعمر إذا سئل عما لا يعلم
أن يقول لا أعلم وإن يسأل عما يعلم فوثب اليهود وقالوا . نشهد أن محمداً لم يكن

نبييا وأن الإسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الإسلام
فقال وما ذلك ؟ فاخبره الخبر فاقبل يرفل في بردة رسول الله ﷺ فلما نظر إليه
عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا علي
كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فإن النبي ﷺ علي ألف باب من
العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه . إن
لي عليكم شريطة إذ أخبرتكم كما في توراتكم دخاتم في ديننا وآمنتم قالوا نعم ؛ فقال
سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهي ؟ قال أقفال السموات
الشرك لأن العبد والامة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل .

قالوا أخبرنا عن مقاتيح السموات ماهي ؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمد آ عبده ورسوله . قال فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق الفتى :
قال أخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ قال الحوت الذي التقم بونس بن متى فسار به
في البحار السبعة ، فقالوا ، أخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن ولا من الإنس ؟
قال هي نمة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون ، قالوا أخبرنا عن خمسة مشوا في الأرض ولم يخلقوا في
الأرحام ؟ قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى ، قالوا
أخبرنا ما يقول الدارج في صياحه ؟ قال يقول الرحمن على العرش استوى ، قالوا
أخبرنا ما يقول الديك في صراخه ؟ قال يقول اذكروا الله يا غافلون . قالوا أخبرنا
ما يقول الفرس في صهيله ؟ قال يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين للجهاد اللهم
أنصر عبادك المؤمنين على الكافرين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه ؟ قال
يقول لعن الله العشار وينهق في أعين الشياطين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع في
غقيقه ، قال يقول سبحان ربى المعبود المسيح في لجج البحار ، قالوا فأخبرنا ما يقول
القنبر في صفيره ؟ قال يقول اللهم لعن مبغضى محمد وآل محمد ، وكان اليهود ثلاثة نفر
قال اثنان منهم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ووثب الخبر الثالث
فقال يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الإيمان والتصديق وقد بقي خصلة

واحدة اسألك عنها فقال سل ما بدا لك ؛ فقال أخبرني عن قوم في أول الزمان ماتوا
 ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم ؟ قال على رضى الله عنه يا يهودى
 هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآناً فيه قصتهم وإن شئت قرأت
 عليك قصتهم فقال ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم إن كنت عالماً فأخبرني بأسمائهم
 وأسماء آياتهم وأسماء مدينتهم وإسم ملوكهم وإسم جبلهم وإسم كهفهم
 وقصتهم من أولها إلى آخرها فاجتبي على كرم الله وجهه بركة رسول الله ﷺ ثم
 قال : يا أخا العرب حدثني حبيبي ﷺ أنه كان بأرض رومية مدينة يقال لها
 أفسوس ويقال هي طرسوس وكان لإسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام
 سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع ملك
 من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جباراً كافراً فأقبل في عساكره حتى دخل
 أفسوس فأتخذها دار ملكه وبني فيها قصراً فوثب اليهودى وقال : إن كنت عالماً
 فصف لي ذلك القصر ومجاليسه فقال يا أخا اليهود ابق في فيها قصر من الرخام طوله
 فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل
 من الذهب لها سلاسل من اللجين تخرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرق
 المجلس مائة وثمانين كوة وغربية كذلك وكانت الشمس من حين تطلع إلى حين
 تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريراً من الذهب طوله ثمانون ذراعاً
 في عرض أربعين ذراعاً مرصهاً بالجواهر ، ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيّاً
 من الذهب فأجلس عليها بطارقه واتخذ أيضاً ثمانين كرسيّاً من الذهب عن يساره
 فأجلس عليه مراقبته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى
 وقال : يا على إن كنت عالماً فأخبرني عما كان تاجه ؟ فقال يا أخا اليهود كان تاجه من
 الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضئ كما يضئ المصباح في الليلة
 الظلماء واتخذ خمسين غلاماً من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق من الديباج الأحمر
 وسروهم بسر اويل من القز الأخضر وزينهم وتوجهم ودملجهم وأعطاهم عمد
 الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلبة من أولاد العلماء وجعلهم وراءه فله
 يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال

يا على إن كنت صادقاً فأخبرني ما كانت أسماء الستة ؟ فقال على كرم الله وجهه .
حدثني حبيبي محمد بن علي إن الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تملينا ومساكيننا ومحمديننا
وأما الذين كانوا عن يساره فرطليوس وكشطوس وسادقيوس وكان يستشيرهم
في جميع أموره وكان إذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل
من باب الدار ثلاثة غلقة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني
جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى الثالث طائر فيصيح فيطير الطائر حتى يقع
في جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث
فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك
وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع
ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغا وتجرأ
واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا إليه وجوه قومه فكل من أجابه
أعطاه وحياه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا
في ملكه زماناً يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيده على
سريره والتاج على رأسه إذا أتى بعض بطارقه فأخبره أن عصا كرافرس قد غشيتها
يريدون قتاله فاغتم لذلك غمّاً شديداً حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سرير
فمظار أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه إلى ذلك وكان عاقلاً يقال له تملينا ففكر
وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا إلهاً كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان
يبدل ويتنوط وليست هذه الأفعال من صفات إله وكانت الفتية الستة يكفون
كل يوم عند واحد منهم ، وكان ذلك اليوم نوبة تملينا فاجتمعوا عنده فأكلوا
وشربوا ولم يأكل تملينا ولم يشرب ، فقالوا يا تملينا مالك لا تأكل ولا تشرب ؟ فقال
يا إخواني وقع في قلبي شيء منهي عن الطعام والشراب والمقام فقالوا وما هو يا تملينا
فقال أعطت فسكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفاً محفوظاً بلا علاقة من فوقها
ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت
فسكري في هذه الأرض ومن سطعها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال
لرواسي لئلا تميد ثم أطلت فسكري في نفسي فقلت من أخرجني جنيناً من بطن أمي

ومن غذائي ورباني إن لهذا صانعاً ومديراً سوى دقيانوس الملك فأنكبت الفية على
رجليه يقبلونها وقالوا يا تلميذا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال إني
يا إخواني ما أجد لي وليكم حيلة إلا الهرب من هذا الجبار إلى ملك السموات والأرض
فقالوا الرأي ما رأيته فوثب تلميذا فابتاع تمر بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا
خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تلميذا يا إخوتاه قد
ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل
يحمل لكم من أمركم فرجاً ونجراً فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة
فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دماً لأنهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم
رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أولن؟ فقال عندي ما تحبون ولا كني
أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم إلا هرايا؟ فاخبروني بقصصكم فقالوا يا هذا إنا
دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصديق؟ قال نعم فاخبره بقصصهم فأنسكب
الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلب ما وقع في قلوبكم فقفوا لي عنها حتى
أرد الأغنام إلى أربابها وأعود إليكم فوقفوا له فرددوا وأقبل يسمى فتبعه كلب له فوثب
اليهودي قائماً وقال يا علي إن كنت عالماً فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال
يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد ﷺ أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطمير .
قال الأستاذ : اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أنمر
وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرة أنه وصفه أنه يضرب إلى الحمرة
وقال الكلبي لأنه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء . واختلفوا في اسمه أيضاً
فروى عن علي كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي
أحدى الروايات عن علي وقال شعيب الجباني كان اسمه حمرا وقال الأوزاعي نتوى
وقال مجاهد قنطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب أصهب واسمه تفنى
وأخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن اسم كلبهم
كان قنطور وقيل قطمير .

أخبرني أبو علي الزهري بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (ما يعلمهم إلا قليل)
قال أنا من أولئك القليل وهم مكسلينا وتلميذا ومبرطيوس وبيدوس وساوانوس

ودانوس وكشطرس وهو الراعي والكلاب اسمه قطير كلب أنمر فوق القلطي
ودون المكركي . وقال محمد بن إسحق القلطي الصغير وكتبه أبو عمرو الجبيري .

رجعنا إلى الحديث قال : فلما نظرت الفتية إلى الكلب قال بعضهم لبعض إننا
نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طرداً بالحجارة فلما نظر إليهم
الكلب وتمطى وقال بإسنان طلق ذلق يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسم من عدوكم وأتقرب بذلك إلى الله
سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلاً واحط بهم على كهف
فوثب اليهودي وقال : يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين :
يا أبا اليهود اسم الجبل تاجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم .

قال ابن عباس : كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تأكل الأرض لحومهم ويقال
إن يوم عاشوراء كان يوم قلبهم قال أبو هريرة ، كان لهم في كل سنة تقليبتان .

رجعنا إلى الحديث قال : وأوحى الله تعالى إلى الشمس فكانت تزاور عن
كهفهم ذات اليمين إذا طلعت وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، فلما رجع الملك
دقيانوس من عيده سأل عن الفتية ف قيل له إنهم اتخذوا لها غيرك وخرجوا هاربين
منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل ينفقوا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف
ف نظر إليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لأصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء
ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتوني بالبنائين فأتى بهم فرموا عليهم باب
الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لأصحابه قولوا لهم يقولون لإلههم الذي في السماء
إن كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فكشوا ثلثمائة وتسعين سنين فنفخ الله
فيهم الروح وهموا من رقبتهم لما برغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه
الليلة عن عبادة الله تعالى فقموا بنا إلى العين فإذا بالعين قد غارت والأشجار قد
جفت فقال بعضهم لبعض إن أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة
واحدة ، ومثل هذه الأشجار قد جفت في ليلة واحدة .

فألقى عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه إلى المدينة فليأتنا بطعام
 منها ولينظر أنت لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله
 تعالى (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أذكى طعاماً) أي أحل
 وأجود وأطيب فقال لهم تلميذا يا إخوتي لا ياتيكم أحد بالطعام غيري وليكن أيها
 الراعي ادفع إلى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وكان يمر بمواضع
 لا يعرفها وطرق ينكرها حتى أتى على باب المدينة فإذا عليه علم أخضر مكتوب
 عليه لا إله إلا الله عيسى روح الله صلى الله على نبيينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر
 إليه ويمسح عينيه ويقول أرني نائماً .

فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فر باقوام يقرءون الإنجيل واستقبله أقوام
 لا يعرفهم حتى انتهى إلى السوق فإذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه
 قال أفسوس قال وما اسم مدينتكم ؟ قال عبد الرحمن قال تلميذا إن كنت صادقاً
 فإن امرى عجيب ادفع إلى بهذه الدراهم طعاماً وكانت دراهم ذلك الزمان الأول
 ثقلاً كبيراً فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال : يا على إن كنت
 عالماً فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها ؟ فقال يا أخا اليهود أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم
 أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلاثاً درهم ، فقال له الخباز يا هذا إنك قد
 أصبت كنزاً فاعطني بعضه وإلا ذهبت بك إلى الملك فقال تلميذا ما أصبت كنزاً
 وإنما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقال ألا ترضى إن أصبت
 كنزاً أن أعطيني بعضه حتى تذكر رجلاً جباراً كان يدعى الربوبية قد مات منذ
 ثلاثمائة سنة وتسخر بي ثم أمسكه واجتمع الناس ثم إنهم أتوا به إلى الملك وكان
 عاقلاً عادلاً فقال لهم ما قصة هذا الفتى ؟ قالوا أصاب كنزاً فقال له الملك
 لا تخف فإن نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكسوز إلا خمسها فادفع
 إلى خمس هذا الكنز وامنض سالماً فقال أيها الملك تثبت في امرى ما أصبت كنزاً
 وإنما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها ؟ قال نعم قال اتعرف أحداً ،
 قال نعم قال فسمى لنا فسمى له نحواً من مائة رجل فلم يعرفوا منهم رجلاً واحداً

قالوا يا هذا ما نعرف من هذه الاسماء وليست هي من اسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة داراً ؟ فقال نعم هذه داري .

ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه فقال أيها الناس ما بالكم ؟ فقال لرسول الملك إن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت إلى تلميذها وتدينه وقال ما اسمك ؟ قال تلميذا بن فلسطين فقال الشيخ أعد على فأعاد عليه فانكسب الشيخ على يديه ورجليه يقبلانها وقال هذا جدى ورب الكعبة وهو أحد الفتيه الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار إلى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون . فأنهى ذلك إلى الملك وأتى إليهم وحضرهم .

فلما رأى الملك تلميذها نزل عن فرسه وحمل تلميذها على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون يا تلميذا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان رجل مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذاه تلميذها فلما صاروا قريباً من الكهف قال تلميذها يا قوم إني أخاف أن اخوتى يحسبون بوقع حوافر الخيل والدواب وصاصلة اللجم قفوا قليلاً حتى أدخل إليهم . فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تلميذها فوثب إليه الفتيه واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذى نجاك من دقيانوس . فقال دعوني منكم ومن دقيانوس (كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) قال بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاءكم فقالوا له يا تلميذا تريد أن تصيرنا فتنه للعالمين قال فماذا تريدون . قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أرىتنا من العجايب في أنفسنا إلا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا حرام لا نأوت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له باباً ولا منفذاً ولا مسلكاً فأيقنا حينئذ بالظيف صنع الله الكريم وإن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله إياها فقال

المسلم على ديني ما نوا أنا أبي على باب الكهف مسجدا وقال النصراني قل
على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني
على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لنبي
عليهم مسجدا) وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم .

ثم قال على كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا
قورا أمكم فقال اليهودي ما زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً يا أبا الحسن لا تسمني يهودي
فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإني أعلم هذه الأمة

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتية ثمانية مطوقين مسورين ذرى ذوا
وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في ذى موكب وأخرجوا
آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فغلب الله في قلوبهم الإيمان وكان أحد
وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم
غير أن يظن بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لنلا يصيدنا عقاب بجره .

فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على نفسه
م قالوا لبعضهم لبعض لنخرج كل فتية منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره
صاحبه ، فخرج فتية منهم فتوافقوا ثم تكلموا فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه
فأقبلا وهما مستبشران إلى أصحابهما فقالا : قد اتفقنا على أمر واحد وإذا
جئنا على الإيمان وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (فأور
إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) فدخلوا
الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدتهم قوهم
فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يجدوا عليهم كتبوا أسماءهم
وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا
من سنة كذا في ملك فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
ليكون لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن .

وقال وهب بن منبه ، جاء حواري من اصحاب عيسى عليه السلام إلى مدينة
اصحاب الكهف فأراد ان يدخلها فقبل له ان على بابها صنبا لا يدخلها أحد إلا سجد
له فكره ان يدخلها فأتى إلى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي
وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم
عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة ، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر
الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، وكان يقول ان الليل لي لا يحول بيني وبينه أحد
فيصلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فغيره
بها الجواري وقالوا له انت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحييا ابن الملك بعد أن
سبه وانتهره ولم يلتفت إليهم ثم لهما دخلا معاً فانا جميعاً في الحمام فأنتى الملك
وقيل له قتل صاحب الحمام لابتك قالتس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا
الفتية فالتسوا فخرجوا من المدينة فروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم
فذكروا أنهم التمسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا فالتسوا
وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على
آذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما
أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أربع فلم يظن أن أحد يدخله فقال قائل أليس
لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ، قال بلى قال فأين عليهم باب الكهف وأتركهم فيه
يموتوا عطشاً وجوعاً ففعل ذلك ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعياً أدركه المطر
عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر فلم
يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله إليهم أرواحهم من القدر حين أصبحوا .

وقال محمد بن إسحق . مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطففت فيهم
الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبخوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون
بعبادة الله تعالى وتوحيده فيكان من فعل ذلك من ملوكهم ملك الروم يقال له
دقيانوس كان عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك بمن أقام على
دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدًا بدين المسيح إلا

فقتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها كبر ذنوبه على أهل
الإيمان فاستخلفوا وهربوا في كل ناحية ودقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع
أهل الإيمان فيجمعوا إليه واتخذوا شرطاً من كمار أهلها وجعلوا يتبعون أهل
الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذي يذبح
فيه للطواغيت فيخبرهم بن القتل وعبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم
من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى
ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون.

فلما رأى ذلك الفتية حزتوا حزناً شديداً فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح
والتقديس والدعاء وكانوا من أشرف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا
وجعلوا يقولون (ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد
قلنا إذا شططا) ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء
وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك .

فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم
سجوداً على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من
دقيانوس وقتلته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك
انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا نجمع
الجميع هؤلاء الفتية أهل بيتك يسخرون منك ويهصونك فلما سمع ذلك خبرهم
لما أن يذبحوا لآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس ولما أن يقتلهم الملك مكسلينا وكان
أكبرهم إن لنا إلهاً ملاً السموات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إلهاً أبداً
ولن نقر بهذا الذي تدعو إليه أبداً ولكننا نعبد ربنا الذي له التمجيد والتكبير
والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصاً أبداً وإياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير
وأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً فاصنع بنا ما بدا لك . ثم قال أصحاب مكسلينا
لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع ملبوساً كان عليهم

من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم إنكم إذا فعلتم ما فعلتم سأؤخركم وأفرغ لكم ما وعدتكم من العقوبة ما ينبغي أن أعجل لكم ذلك لأنى أراكم شباباً حديثاً السنائكم فلا أحب أن أهلكم حتى أعجل لكم ذلك أجلاً فتراجعوا فيه عقولكم ثم امر بحليلة كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوهم من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينته سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فآتمروا أن يأخذ رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيقتصدوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة يقال له بابا جلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى إذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء .

فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لأحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه .

رجعنا إلى حديث ابن إسحق . فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تلميذا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرّاً وكان من أجلهم فكان تلميذا يصنع ذلك فإذا دخل المدينة يصنع ثياباً كانت عليه حسناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيه ثم يأخذ درهما فينطلق إلى المدينة فيشتري طعاماً وشراباً ويتسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرهم بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا كذلك ملبثوا . ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت فنزع من ذلك أهل الإيمان . وكان تلميذا بالمدينة يشتري طعاماً فرجع إلى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام فأخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وإنهم قد ذكروا والتسوا مع عظماء المدينة لئذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجداً يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون به من الفتنة .

ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويدكر بعضهم بعضاً فبينما هم كذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فأصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدتهم دقيانوس والتسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد سامني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون إني غضبان عليهم بجعلهم ما جعلوا من أمرى فإني لا أغضب عليهم إذا تابوا وعبدوا آلحق فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا إلى ذلك إلا لجل ولاكنهم لم يتوبوا .

فلما قالوا له ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نملك ولم تقتلنا بقوم مردة لأنهم خالفونا وانطلقوا إلى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ولاكن كفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله ارواحهم وفاء النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يلقبون ذات اليمين وذات الشمال ، قال ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس يكتبان إيمانهما اسم أحدهما تندروس والآخر روباس اثتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقال لعل الله أن يطالع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليه خبرهم حين يقرأ هذا اللوح فجعل ذلك وبنياء عليه فبقى دقيانوس ما بقي ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك .

ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من أومن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وإنهم يقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب .

فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله ويبكي بما يرى فيه الناس ويقول أي ربي قد ترى اختلاف هؤلاء ؟ فابعث لهم آية ثم إن الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستحب لعبده الصالح تندوسيس أن يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الإيمان الذي أعطاه وأن لا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئاً وأن يجمع من كان تبعد من المؤمنين فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف وكان إسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبين به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعوا ما على فم الكهف وفتحوا عليهم باب الكهف وحججهم الله عن الناس فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم نائماً .

فلما نزعوا الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعاتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها .

ثم إنهم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبصارهم ولا ألوانهم شيئاً ينكرونه إنما هم كهيئتهم حين رقدوا برون أن ملكهم

دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتلميذا صاحب نفقاتهم ، بين لنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كـ بعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم قالوا بعضهم لبعض « وكم لبثتم . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تلميذا التستم في المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك قتل . فقال مكسليمينا . يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله تكفروا به بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً .

ثم قالوا يا تلميذا انطلق إلى المدينة فنسمع ما يقال عاينها اليوم وتلطف ولا تشهرن بك أحداً وابتع لنا طعاماً واثبتنا به وزدنا عل الطعام الذي جئتنا به أمس فإنه كان قليلاً وقد أصبحنا جوعاً ففعل تلميذا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقاً من نفقاتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق تلميذا خارجاً فلما مر باب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفياً بعيداً عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك ثلاثمائة سنة ، فلما رأى تلميذا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق الباب علامة لأهل الإيمان لما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً فنظر يميناً وشمالاً لأنه ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل فجعل يتخيل أنه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يشو بين بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناساً يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسنداً ظهره إلى جدران المدينة وهو يقول في نفسه هه هذه ليست بالمدينة التي أعرفها فإني اسمع كلام أهلها ولا أعرف واحداً منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالخيران ولا يتوجهها وجهها ، ثم إنه لقي

أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ فقال أفسوس في نفسه لعل بي مسأ
او أمرا اذهب عقلي والله يحق على أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبني شرفأهلك
هذا ما يحدث به تملينا أصحابه حتى يبين لهم ما فيه ، ثم افاق وقال والله لو عجالت
الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي فسكران اكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام .

ثم أخرج الورقة التي كانت معه فأعطاهم رجلا منهم وقال يا عبد الله بعني بهذه
طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها إلى
رجل من أصحابه فنظر إليها ، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل فيتمتعون
منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا
في الأرض من زمان طويل فلما رأهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل
يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ولأنهم يريدون أن يذهبوا به إلى ملائكتهم
دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق
اتفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى فمن انت
وما شأنك ؟ فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء أحذر
منه ثم قالوا والله يا فتى إنك لا تستطيع أن تسكن ما وجدت ولا تظن في نفسك ان
تستخفي عليك فتخبر في نفسه وليس يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم و فرق
حق ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه ثم جعلوا
يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سلح به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنزا
فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله
ما هذا الفتى من أهل المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تملينا وما يدري
ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال
لأنه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا أن أباه وإخوته في المدينة وان حسبه
في أهل المدينة من عظماء أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هم قائمون
كالخيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخاطبه من أيديهم ، فبينما هو كذلك إذ
(م ٣١ - قصص الانبياء)

قد اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديريها وهما رجلان صالحان اسم
أحدهما أرموس والآخر اسطيوس .

فلما انطلقوا به ظن تلميذا أنهم انطلقوا به إلى دقيانوس الملك فجعل يلتفت
يميناً وشمالاً وجعل الناس يستخرون منه كما يستخرون من المجنون والهيران فجعل
تلميذا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السموات والأرض أفرغ
على اليوم صبراً وأوج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي
ويقول في نفسه فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت فيأتون فنقوم
جميعاً بين يدي هذا الجبار فإننا كنا قد توافقنا لنكونن معاً لأنكفر بالله ولا نفرق
في موت ولا في حياة أبداً حتى انتهى إلى الرجلين الصالحين أرموس واسطيوس .

فلما علم تلميذا أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وسكن ما به فأخذ أرموس
واسطيوس الورق ونظرا إليهما وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي
وجدت يا فتى ؟ فقال ما وجدت كنز وإنما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه
المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال
أحدهما من أنت ؟ فقال له تلميذا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأنبأهم باسم
أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تذببنا بالحق فلم
يدر تلميذا ما يقول غيره ثم أنه نكس بصره إلى الأرض ، فقال بعض من حضر :
هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه عمداً لكي ينفلت
منكم فقام أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً وقال له اتظن أنا رسلك ونصدقك بأن
هذا مال أبيك واضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلاثمائة سنة أنت غلام شاب
تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن سمط كما ترى وحولك امرأة هذه المدينة
وولادة أمرها وخزائن هذه البلاد بايدنا وليس عندنا من هذا الضراب درهم ولا دينار
لأعذبك عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت ، فلما قال
له ذلك قال تلميذا انبئوني عن أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا

سل لانكتمك شيئاً قال ما فعل بالملك دقيانوس ؟ فقال له تملينا فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وإن الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتهينا نخرجت لأشترى لأصحابي طعاماً وأنجس الأبخار فإذا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي .

فلما سمع أرموس ما يقول تملينا قال : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد الفتى فانطلقوا معه يرينا أصحابه فانطلق معه أرموس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تملينا قد احتبس عنهم لأنه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وأنه بعث إليهم ليؤتيهم فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تملينا فإنه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظمرائي الكهف ولم يشعروا إلا وأرموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تملينا قد دخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم إنهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تملينا أرموس فرأى تابوتاً من نحاس محتوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ، ثم دعارجالاً من عظام أهل المدينة ففتحوه التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما إن مكسلينا و تملينا و مرطونس وكشيطونس وداسيوس وتكريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة ولما كننا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن أثر عليهم

فلما قرأوه عجزوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبلى ثيابهم فنخر أرموس وأصحابه سجوداً وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضاً وأنباهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أن أرموس وأصحابه بعثوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس فاعجل لملكك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل إلى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التي كان عليها وقال: أحمدك اللهم رب السموات والأرض تطولت على ورحمتي برحمتك فلم تطفىء النور الذي جعلته لأبائي وللعباد الصالح فسطيطوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أنوا الكهف .

فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به ونخروا سجداً لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم أعانهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم إن الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والإنس فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أرواحهم قام الملك إليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا إنا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فتركنا كما كننا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتواييت من ساج فجعلوا فيها وجعهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلي فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة ، وقيل لأنهم لما أتوا باب الكهف قال تلميذنا دعوني أدخل على أصحابي فأبشروهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعنى عليهم مكانهم فلم يفتدوا إليه كما ذكر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فهذا خبر أصحاب الكهف .

(مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه النخعي قال كان في الموصل ملك يقال له زنانة، وكان ملك الشام كلها ودان له أهلها، وكان جباراً غانياً وكان يعبد صنماً يقال له أفلون؛ وكان جرجيس عبداً صالحاً من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجراً كثير المال عظيم الصدقة؛ وكان لا يأمّن ولا ية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوماً يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه إليه لئلا يجعل لأحد من تلك الملوك سلطاناً عليه دونه فجاء وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد ناراً عظيمة.

فلما رأى جرجيس عليه السلام فزع منه وماله فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه على أهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال فأقبل عليه، وقال له أعلم أنك عبد ملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك وأن لك رباً هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضررك وينفعك؛ وإذا قال شيء كن فيكون وإنك إنما عمدت إلى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً من الله فزنته بالذهب والفضة وجعلته قنينة أناس ثم عبده من دون الله، فقال الملك له إن سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو، فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أذل عباده من التراب خلقت وإليه أصير، فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى أثرى على من حولي ومن هو في طاعتي فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره؛ ثم قال أتعدل أفلون الأصم الأبكم الذي لا يغنى عنك شيئاً رب العالمين الذين قامت السموات والأرض بأمره أم تعدل طوفلياً ومانال بولايتك فإنه عظيم قومك بما قال إلياس من ولاية الله تعالى فإن إلياس كان في بدء أمره آدمياً يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق فأكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار

إنسيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخلطيس وما نال بولايتك فإنه عظيم
قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فإن الله تعالى فضله على رجال العالمين
وجعله وأمه آية للمعتبرين ، أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها بكلمته وفضلها
على إمامه وما نالت بولاية الله بأربيل وما نالت بولايتك حق اقتحمت الكلاب
بيتها فانتهمشت لحمها وولفت في دمها وقطعت الهضباع أوصالها فقال له الملك
إنك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فأتتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما قال إن تراهما
وإن يرياك إلا أن تعمل بعملهما فتتزل منازلهما فقال له الملك أمانحن فقد أعذرنا
إليك وتبين لنا كذبك لأنك فخرت بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ، ثم
إن الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلون فقال له جرجيس إن
كان أفلون هو الذي رفع السما ووضع الأرض فقد أمسييت ونصحت لي وإلا
فأخسأ أبها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب إلهه وأمر بنخشة
فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده
وعروقه ونضح عليه خلال ذلك بالخل والخردل لحفظه الله من ذلك الألم والهلاك .
فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحيت حتى جعلت
نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه لحفظ من الألم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم
يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى إذا جعله نارا أمرته فادخل في جوفه
واطبق عليه فلم يدل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له جرجيس
ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به ، فقال إن ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب
عني وصبرني لأحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخاف على نفسه ومملكه
وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملائكة من قومه إنك إن تركته طليقا في
السجن يكلم الناس أو شك أن يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب في السجن
فيشفله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتده في يديه ورجليه أربعة
أوتاد من حديد وأمر باسطواذه من رخام فوضعت على ظهره ثم إنه حمل تلك
الأسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه موتدا تحت الحجر فلما أدرك الليل أرسل

الله تعالى إليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاء الوحي فقلع عنه الحجر ونزع عنه الأوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر .

فلما أصبح أخرجته من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده في الله حق جهاده ؛ فإن الله يقول لك اصبر وابشر فإنني قد ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات وفي كل ذلك أرد إليك روحك فإذا كان في القتلة الرابعة نقلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا إلا وقد وقف جرجيس على رموسهم يدعوههم إلى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانتك فلما قال له ذلك مله غيظا ودعا بأصناف العذاب وقال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفها على مفرق رأسه فشره حتى سقط من بين رجليه وصار جزءين ثم عمدوا إلى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت له في جيب وكأنت حنفا من اصناف عذابه فرموا بجسده إليها فلما هوى نحوها امر الله عز وجل فخفضت برموسها وأعناقها وقامت على برائتها تقيسه الألم فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موته ماتها ، فلما أدركه الليل جمع الله جسده الذي قطعوه وضم بعضه إلى بعض حتى سواه ثم رد الله إليه روحه وأرسل إليه ملكا فاخبره من الجلب فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر ، فلما أصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال أبعيك قال له : اعلم ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من الجلب أخرج فالحق بعدوك وجاهده في الله حق جهاده وموت الصابرين ، فلم يشعر الملك واصحابه الآخرون إلا وقد أقبل جرجيس وهم عجوف على عيد لهم قد صنعوه فرحاً بموت جرجيس ، فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كأنه هو ، فقال الملك ليس هو حقا ألا ترون إلى سكون ريحه وقلة هيئته فقال جرجيس بلى هو فبئس القوم انتم قتلتم ومثلتم فاحيانا الله تعالى بقدرته فملموا إلى الرب العظيم الذي أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم إلى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من

السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك مايسر عينى فقال ادع لى بشور من البقر فلما اتى به نفث فى إحدى اذنيه فانشتت اثنتين ثم نفخ فى الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ، ثم دعا ببنر فخرث وبنر ونبت الزرع وحصد ثم درس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك فى ساعة واحدة وهم يرون : فقال له الملك هل تقدر ان تمسخ لى جرجيس دابة ، فقال الساحر ادع لى بقدح من ماء ، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشربه فشربه جرجيس حتى اتى على آخره ، فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد ، قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فعطف الله لى بهذا الشراب وقوانى به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له : اعلم ايها الملك انك كنت تقايس رجلا مثلك . إذا لمكنت غلبته ، وامكنت تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذى لا يرام .

١ وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجر جيس وما يصنع من الاعاجيب فأتته فقالت له يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لى مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا فجهنتك لترحنى وتدعو الله أن يحيى لى ثورى فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيى لها ثوريا ثم إنه أعطاهما عصا وقال لهما اذهبي إلى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولى لهما احببيا بإذن الله تعالى فقالت يا جرجيس إن ثورى قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبينى وبينهما أيام فقال لهما لو لم تجدى منهما إلا شيئا يسيرا وقرعتيه بالعصا فإنيهما يقومان بإذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى اتت مصرعهما وكان أول شيء بدا لهما من ثوريا ذقنه احدهما وشعر أعينى الآخر فجمعت احدهما إلى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما امرها فقام الثوران بإذن الله تعالى ، قال رجل من اصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك إنكم قد وضعتن أمر هذا الرجل على السحر وإنكم قد عذبتموه فلم يصل إليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساجرا يذرا عن نفسه الموت أو أحيا ميتا قط فقالوا إن كلامك بكلام رجل صبا إليه فلمعله استهواك إلى —

فقال آمنت بالله واشهد أني بريء مما تعبدون فقام إليه الملك واصحابه
فألقوا حجرا فقتلوه .

فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد إليهم الملك فلم
يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى أفتنهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هل ادعوت ربك
فأحياء لك اصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجزيرتك فقال جرجيس ما خلى بيني وبينهم
حتى حانت آجالهم فقال لهم رجل من عظمائهم يقال له مخلص إنك زعمت يا جرجيس
إن إلهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ؛ ولمنى سألتك أمرا إن فعلته آمنت بك
وصدقتك وكفيتك ؛ نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيًا وهذه مائدة بيننا عليها
أقداح وصحاف من اشجار شتى فادع ربك بنشء هذه الكرسي والأكواب كما
بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها انبويته ورقه وزهره فقال له
جرجيس : إله على الله لمين فدعا الله عز وجل فأبرحوا من مكانهم حتى انخضرت
لكم الكرسي والأكواب كلها وأورقت وازهرت واثمرت فلما نظروا إلى ذلك
انقلب لهم مخلص الذي تمنى عليه ما تمنى فقال أنا اعذب لكم هذا الساحر عذابا
يبطل به كيده ثم إله عمدا إلى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم
حشاها فقطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم ادخل جرجيس مع الحشوة في جوفه
ثم اوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شيء فيها وجرجيس في جوفها ،
فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فماتت السماء سخابا أسود فيه رعد
وبرق وصواعق وأرسل الله أعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما ، وأرسل الله
ميكائيل فأحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى إذا أقلها ضرب بها الأرض
ففرغ من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة
مخرج منها جرجيس حيا . فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة واسفر ما بين
السماء والأرض ورجعت إليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفيليا لا ندري
يا جرجيس إن كنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك . فإن كان ربك هو الذي
يصنع فادعه يحيى لنا موتانا التي في القبور فإن فيها امواتا منهم من نعرفه

ومنهم من لا يعرفه فقال له جرجيس لقد علمت أن ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريك هذه الاعاجيب ثم إنه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً سبعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية وإذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك ، فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت ، قال في زمان كذا وكذا فحبسوه فاذا هو مات منذ أربع مائة عام ، فلما نظر الملك وأصحابه إلى ما فعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء إلا وقد عذبتموه إلا الجوع والعطش فمذبوه بهما فعمد إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحضره في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاماً ولا شرباً فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج أتس لك شيئاً فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى ، قالت نعم . قال إياه تعبدين ، قالت لا ، فدعاها إلى الله فصدقته ، ثم لأنها انطلقت تطالب لها شيئاً وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فأحضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبيا واللياز وهو مثل البردي ، فأقبلت العجوز وهو فيها شاء يأكل رغداً فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني فقال لها أذنيه منى فأدنته فبصق في عينيه فأبصر ونفت في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله قال لها أخريه فإن له يوماً عظيماً .

وكان الملك قد خرج يوماً في مدينته إذ وقع بصره على شجرة فقالوا له إن تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتدله أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقد اسطوانة وجعل في أسفل العجل خناجر وشفار ثم أمر بأربعين ثوراً فنهضت بالعجل

مهمضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فالتقت في النار حتى عادت رماداً فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجلاً فدروه في البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء : يا بحر إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من الجسد الطيب فإني أريد أن أعيدته كما كان ، ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج معه جرجيس مذبواً ينفذ رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك وما نحن فيه ولولا أن يقول الناس إنك غلبتني وقهرتني لا تبعثك وآمنت بك ولكن اسجد لأفلون سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ثم إنني أفعل لك ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فأدخلني في صنمك ففرج الملك بقوله أن تظل هذا اليوم ولا تبث هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي وكرامتي حتى تستريح فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى إذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتاً فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر إلا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس إلى الإيمان فآمنت به وأمرها فكتمت إيمانها فلما أن أصبح الصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها فلما سمعت المعجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها وتوبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظروا وإذا بالمعجوز وإبنتها على عاتقها أقرب الناس إليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن المعجوز بإسمه فنطق وأجابه ولم يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه ومشى على رجله ولم يكن يبطأ الأرض قبل ذلك بقدميه قط ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع لي هذه الأصنام وهي يومئذ سبعون صنماً على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعوا الأصنام فقال له قل لها إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلا ما أجبته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تندحرج إلى جرجيس فما انتهت إليه ركض الأرض

برجله فخنسف بها ، وبمنابرها وخرج إبليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا
من الخسف فلما مر بجر جيس أخذ بناصيته فخنضع له وكلمه جرجيس فقال أخبرني
أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذي يحملك على أن تهلك الناس معك
وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ، فقال له إبليس لعنه الله لو خيرت
بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلك واحد من بني آدم
وضلالته لا خيرت هلكته على ذلك كله وإنه ليقع في من الشهوة واللذة في ذلك
جميع ما يلدذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أسجد لأبيك آدم
جميع الملائكة فسجدوا كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه ؛ قال فلما
قال هذا خلى سبيله جرجيس .

قال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلك آلهتي فقال جرجيس لعله
فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها وإنما أنا مخلوق
ضعيف لا أملك إلا ما ملكتني ربي .

فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن إيمانها
وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل لإلادعوة فيخنسف بكم الأرض كما خسف
بأصنامكم اتقوا الله أيها القوم في أنفسكم ، فقال الملك ويحك يا اسكندرة ما أمرع
ما أضلك هذا الساعر في ليلة واحدة نقالت أمارأت الله كيف يظفره بك ويسلطه
عليك فيكون له الفلاح والحجة في كل موطن .

فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان
علق عليها وجعلت عليه الأمشاط التي جعلت على جرجيس ؛ فلما آلمها قالت :
ادع ربك يا جرجيس فيخنسف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك
فلما نظرت ضحككت فقال لها الملك ما يضحكك ، قالت أرى ملائكة فوقي ومعهم
تاج من حلي الجنة ينتظرون خروج روعي ؛ فلما خرجت روحها زينها بذلك
التاج ثم صعدا بها إلى الجنة ؛ فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على لدعاء وقال
اللهم انت أكرم مني بهذا البلا . لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي كنت

وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا . اللهم اني اسالك أن لا تقبض روحي ولا أزل
من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونعمتك . الا قبل لهم به
حتى تشفي به صدري وتقربه عني فانهم ظلموني وعذبوني فيك . اللهم اني اسالك
أن لا يدعوا بهدي داع في بلاء وكرب فيذكروني ويشدك باسمي إلا فرجت عنه
ورحمته وأجبتة وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما
رأوا ذلك عمدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيهم الله بالقتله
الرابعة ما وعدده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من
وجه الأرض وجعل عاليها سافلها ، وكان جميع من آمن بجرجيس قد قتل وقتل
معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك ، وقال الأستاذ وكانت قصة جرجيس في
أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)

أخبرنا عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه ، أن رجلا من أهل قرية من
قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الإنجيل وكانت
أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثنان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها
على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب
الأموال فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى
وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره لجاهدهم في الله
ألف شهر يصيب منهم حاجته فاحتالوا عليه وقالوا لآثانيه إلا من قبل امرأته
لجعلوا لها جملا على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أوثقه ليكم فأعطوها حبلا وثيقا .
وقالوا لها إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه حتى تأتية فتأخذه فلما نام أوثقت يديه
إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما اتعبه من نومه جذبه بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم
فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارتدت إليهم وقالت
لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيئا فarsلوا إليها بجامعة من حديد وقالوا
لها إذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها . فلما هب جذبها

فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الأرض شيء يغلبك قال لا إلا شيء واحد قالت وما هو . قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله حتى قال لها ويحك إن أمي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شيء أبدا ولا يغيظني إلا شعري فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه فاوقفه ذلك فبعثت إليهم فجاءوا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفققوا عينيه وأوقفوه بين ظهري المدينة وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا إلى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثوابه وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعاً فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدماً وهلكت أيضاً امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاماً وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

﴿ باب في قصة أصحاب الأخدود ﴾

قال الله تعالى (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) الآيات وروى عن عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حبر يقال له يوسف ذونواس ابن مروحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك إني قد كبرت . فأبعث لي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يقال له عبد الله بن السامر يعلمه السحر فمكره الغلام ذلك فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة وحسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فأعجبه وكان يبطله عند الراهب ويأني المعلم فيضربه ويقول له ما أبطاك . فشكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال له الراهب إذا أنيت المعلم فقل حبسني أي وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فمر بها الغلام ورمها بحجر وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فأتى الراهب وأخبره فقال الراهب أنت قتلتها ؟ قال نعم قال إن لك لشأناً

وقد بلغ من أمرك ما أرى وإني سقتلي فإذا ابتليت فلا تدل على فمكان الغلام يبريء
الأكمة والأبرص ويشفي المرضى .

وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقيله الحية ، فجاءه مع
قائد وقال له . أنت قتلت الحية ؟ قال لا . قال فمن قتلها ؟ قال الله تعالى ، قال
فمن الله قال رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل
والنهار والدنيا والآخرة ، قال إن كنت صادقاً فادع الله أن يرد علي بصري فقال
له الغلام أرأيت إن رد الله عليك بصرك تؤمن بالله . قال اللهم إن كان صادقاً
فأردد عليه بصره فرجع إلى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه
وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله ؟ قال رب السموات والأرض
فقال له الملك أخبرني من علمك هذا ؟ فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام
فجىء بالغلام فقال له الملك يا بني قد باع من سحرِكَ هذا . فقال له الغلام إني
لا أشفي أبداً وإنما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجىء بالراهب
فقال له ارجع عن دينك فأبى ثم جىء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك
فأبى فوضع المذشار في مفرق رأسهم فشققهم ثم التفت إلى الغلام وقال له ارجع
عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا
فذهبوا به إلى الجبل فقال اللهم اكنفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا
ثم جاء الغلام يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك بك فقال كفانيهم الله
فغاض الملك ذلك فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقر وهي
السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه في
البحر وأغرقوه فذهبوا به إلى البحر ، فقال الغلام اللهم اكنفنيهم بما شئت
فانكذمت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ،
قال كفانيهم الله ، فقال له الملك اقتلاه بالسيف فنبأ السيف عنه ، وفشا خبره في
الأرض وعرفه الناس وعظموه وعلموه أنه وأصحابه على الحق ثم إن الغلام قال
للملك إني لا أقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أمرك به فقال وما هو ، قال تجمع

أهل ملكتك وأنت على سريرك فتصلبني على مجذع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال باسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس لا إله إلا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولادين إلا دينه ، فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك ونحسد أخدودا وملاه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الإسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجمين عن دينك وإلا ألقى بك أنت وأولادك في النار فأبى فأخذ ابنها الأكبر والأوسط فألقى في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فأبى فأمر بإلقائه في النار فهتت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أمه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وأمه على أثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرناه مرفوعا عن رسول الله ﷺ .

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور بإسناده عن صهيب عن رسول الله ﷺ بمثل معناه « وقد تكلم ستة في العهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بذت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الأخدود »

وقال سعيد بن المسيب : كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلماهم يده عادت إلى الصدغ فكتب إليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الأخاديد ثلاثة : واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فأنطياخوش الرومي أحرق قوما من المؤمنين وأما بفارس فهو بختنصر ، وكانت قصته ما أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن ابن أروى قال لما هزم المسلمون أهل الأسفندهار وانصرفوا جاءهم نعي عمر . فاجتمعوا وقالوا أي شيء تجرى على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي

العرب ، فقال على كرم الله وجهه ؛ بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم ، وكانت الخيرة قد أجلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت به وما المخرج منه ؟ فقالت المخرج منه أنك تخطب الناس فتقول ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات إذا ذهب هذا في الناس تناسوا ما حرمتهم عليهم ، فقام فيهم خطيبا فقال ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات ، فقال الناس بأجمعهم ؛ معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع إلى أخته وقال ويحك إن الناس قد أبوا على فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا أن يقربوا له فقال لها إن الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقرؤا فقالت خذ لهم الأخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعتك حل عنه ومن أبى فاقدفه في النار فاخذ الأخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قدفه في النار ومن أجاب بخلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم (قتل أصحاب الأخدود) إلى قوله تعالى (عذاب الحريق) وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شراحبيل بن تبع بن يشرخ الحميري ، وقال مقاتل إنما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين إنسانا ، وقال الكلبي كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنون في النار خرجت النار إلى أعلى شفير الأخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثنتا عشر ذراعا ونجا ذونواس فسلط الله عليهم أرباطا الحديد حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فغرقه الله فيه ، وفيه يقول عمرو بن معديكرب ؛

أتوعدني كأنك نور عيني	بأنعم عيشة أو ذو نواس
وما قد كان قبلك في نعم	وملك ثابت في الناس رواس
فقدتم عهد من عهد عاد	عظيم قاهر الجبروت قام
فأمسى أمته بادرا وأمسى	ينقل في أناس من أناس

(م ٣٢ — قصص الانبياء)

(باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل)
(والشرف لنبينا محمد ﷺ)

قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال محمد بن إسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك حمير يقال له زرة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك إلا ما كان من أهل نجران فإنهم كانوا على دين النصرانية على حكم الإنجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن السامر فدعاهم إلى اليهودية فأبوا فنحروهم فاقتاروا القتل فنهزم من قتل صبرا ، ومنهم من ألقى في النار إلا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واسأله فمعه فقال له بعدت بلادك عنا وليكني أكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على ديننا قيصر فكاتب له وبعث معه رجلا من الحبشة يقال له إرياط فلما بعثه قال له إن دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وانحرب ثلث بلادها وابعث إلى ثلث سبائها لما دخلها ناوشتهم القتال فتعوقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فملكها جميعا فكان آخر العهد به ، ودخلها إرياط فعمل بما أمره النجاشي فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن :

دعيني لا أنا لك لم تطبق	لحاك الله قد أنزفت ريقى
بذا عزف القيان إذا انتشا	إذا تسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عار	إذا لم يشكيني فيها رفيقى
وإن الموت لا ينهائاه	ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان	يناطح جلده بيض الأنوق
وغمدان الذى نبشت عنه	ينوء ممسكا في رأس نيق
لمتهم وأسفله حروث	وجر الموجل اللشق الزليق
مصاييح السليط يلحن فيه	إذا يمسي كومضان البروق

فأصبح بعد جدته رماداً وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست إليه يكاد اليسر يهصر بالعدوق
وأسلم ذو نواس مستبينا وحذر قومك صلك المضيق
قال ؛ فأقام إرياط باليمن وكتب إليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك حيناً
ثم أن أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه
طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تراخفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى
إرياط وكان إرياط جسيماً عظيماً وسيماً في يده حرب ، وكان أبرهة رجلاً قصيراً
حاذراً لحما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزيراً يقال له عنودة
فلما دنوا رفع إرياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جنبه فشرمت
عينيه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الأشرم ، فلما رأى عنودة ذلك حمل
على إرياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبأخ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب
عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يعجز ناصيته ويأبى بلاده ، ثم إنه كتب إلى أبرهة
إنك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى ، وكان أبرهة رجلاً مardاً ، فلما بلغه
قول النجاشي حلق رأسه وملا جراباً من تراب أرضه وكتب إلى النجاشي ؛ أيها
الملك إنما كان إرياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بأرض الحبشة
وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل في فقلته ، وقد بلغنى الذى حلف عليه الملك
وقد حلفت رأسى وبعثت به إليك وملا جراباً من تراب أرضى وبعثته إليك
ليطأه الملك ليبر قسمه فلما انتهى إليه ذلك رضى عنه وأقره على عمله وكتب إليه
بأن اثبت بمن معك من الجند ، ثم أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ،
ثم كتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم بين الملك مثلاً قط لست
منتها حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بنى مالك بن كسانة
فخرج إلى القليس ، فدخلها ليلاً فغدر فيها تهوفاً بها وتغضباً للكعبة فبلغ ذلك
أبرهة ، ويقال إنه أتاها ناظراً إليها فدخلها فوجد القذرة فيها ، فقال من اجترأ
على هذا ؟ فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذى يحجونه سمع
بالذى قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها ،

فخرج سائراً من الحبشة إلى مكة وأخرج معه الفيل ، فبلغ ذلك العرب فأعظموه
ورأوا جهاده حقاً عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه
من قومه فمزمه وأخذ ذو نفر فأبى به إلى أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فإن
استبقائك لي خير لك من قتلي ، فاستحياء وأوثقه وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم خرج
سائراً حتى إذا من ديار خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي
خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فمزمهم وأخذ
نفيل أسيراً فقال أيها الملك إن دليلك بأرض العرب فلا تقتلني فاستبقاه وخرج
معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث الثقفي في رجال من
ثقيف وقال له ؛ أيها الملك إنما نحن عبيدك فإن كنت تريد البيت الذي بمكة فنحن
نبعث معك من يدلك عليه فيبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى إذا كانوا
بالمغمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس
رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع إليه أموالاً
وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ مائتي بعير ثم أن أبرهة بعث حناطه
الحميري إلى أهل مكة سفيراً فقال له سل من شريفها ثم أبلغه إنني لم آت لقتال إنما
جئت لأهدم هذا البيت فانطلق حناطه حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم
فقال له ؛ إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت للقتال إلا أن تقاتلوه إنما أتى
لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلى بينه وبين ما جاء له
فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه فهو بيته
وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي
إلى الملك .

زعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة وكان راكباً عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قام المعسكر وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأناه فقال له يا ذو نفر هل
عندك من عشاء فيما نزل فقال له ما عشاء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو
عشية لكن سأبعث لك أنيس سائس الفيل فإنه صديق لي فأسأله أن يصنع لك عند
عند الملك ما استطاع إليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده فأرسل إلى أنيس

فأتاه ، فقال له إن هذا سيد قریش صاحب غیر مكة يعطى ويطعم الناس من السهل والجبل والوحوش والطيور في رموس الجبال ، وقد أصاب الملك مائتى بعير ، فإنه استطعت أن تنفعه عنده فهو صديق لى ولانى أحب ما يصل لى به من الخير ، ثم أن أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب وقال له : أيها الملك هذا سيد قریش وصاحب غیر مكة الذى يطعم الناس فى السهل والجبل والطيور والوحش فى رموس الجبال ، وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فأذن له ، فلما دخل عليه وجلس بين يديه فأناه وأجلسه معه على السرير ، ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتى أن برد على مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتمنى حين رأيته وأقد زهدت فيك الآن فقال له ولم ؟ قال حيث جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائة بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت ربه سيمتعه منك قال ما كان ليمنعه منى فقال له أنت وذاك ثم أمر له بإبله فردت عليه قال محمد بن إسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب إلى أبرهة بعمر و بن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى كنانة ونحو يلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة تلك أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى أن يرجع قال فلما ردت الإبل على عبد المطلب رجع فأخبر قریشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحركوا فى رموس الجبال تخوفا عليهم من ميرة الجيش إذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب إلى الكعبة فأخذ حلقه الباب وجعل يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك	يا رب فامنح منهم حياكا
إن هدو البيت من عاداك	فامنهم أن يخربوا قراكا
وقال أيضا : لا هم أن المزمع	سح رحله فامنح رحالك
وانصر على آل الضارب	سب وعابديه اليوم آلک
لا يغلبن صليبيهم	ومحاربتهم أيبدأ محالك

عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكهـ بيتنا فأمر ما بدالك

ثم أن عبد المطلب توجه في بعض الوجوه مع قومه ، وأصبح أبرهة بالمغمش
وقد تهيأ لدخول مكة وعبيد جيشه وهيا فيله ، وكان إسم الفيل محموداً وكان من
قبل النجاشي بعثه إلى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الأرض عظما وقوة وجسما
وقال السكابي لم يكن عندهم إلا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى (ألم تر كيف
فعل ربك بأصحاب الفيل) قال الضحاك : كانت الفيلة كثيرة ، ويقال فإن معه
إثنا عشر فيلا ، وإنما وحده (١) على هذا التأويل لوافق رموس الآي ، ويقال
نسبهم إلى الفيل الأعظم ، قال فاقبل الفيل الأعظم فاخذ بأذنه وقال : ابرك وقال
ابرك محموداً أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل
فبعثوه فإني أن يقوم فضر به بالمعول في رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه
مراقه ورفعوه ليقيم فإني ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقم يهروا ثم وجهوه
إلى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم
فبرك وأنى أن يقوم ثم أن نفيلاً خرج من عندهم وصعد إلى الجبل وأرسل الله
تعالى طيراً من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران
في رجلية وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم
فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى
(طيراً ابابيل) أي متفرقة من ههنا وههنا ، قال ابن عباس كان لها خراطيم
كخراطيم الطيور ، واكف كالكلاب ورموس كرموس السباع ولم تر
قبل ذلك ولا بعده ، وقال أبو الجوزاء : أفساها الله في الهواء في ذلك الوقت
(ترميمهم بحجارة من سجيل) أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطيور ورميمهم

(١) قوله : وإنما وحده الخ : المراد أن الإفراد في الآية على هذا القول
لوافق رموس الآي .

(٢) قوله : أي سنك كل : لفظ معربه سجيل .

بالحجارة ، وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل إلا خرج من الجنب الآخر ، وإذا وقع على رأس رجل خرج من دبره (فجعلهم كعصف ما كول) أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه ، فلما رأت الحبيشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاءوا منه ويسألون عن نفيل ابن حبيب ليبدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة .

أين المفر والإله الطالب والأشرم المفلوب غير الغالب
وقال أيضا في ذلك

ألا حبيت عنا يا ردينا نعمنا كم من الأصباح عيوننا
رديشة لو رأيت ولم تريه لدى جنب الخضب ما رأينا
إذ أعذرتني وحمدت امرئ ولم تأس على ما قات بيننا
حمدت الله إذ عاينت طيرا وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسألون عن نفيل كان على للجيشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طيرا لا بابل كانوا يبيلوا من قبل البحر
أرجال الهند ترميهم بحجارة أصفرها مثل رموس الرجال وأكبرها كالإبل النزل
ما رمت أصابت وما أصابت قتلت ، وبعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده
فجعل تنساقط أنامله كلما سقطت أنملة اتبعته أنملة وقيح ودم فانتبه إلى صنعاء
وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من أصحابه فامات حتى تصدع صدره عن قلبه ،
ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جر حديث أصحاب الفيل هو أن
فئة من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل
البحر وفي سندها حقف من أحقادها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها
النجاشي وأهل أرضه الماسر نخشان فنزل القوم في سندها فجمعوا خطبا واججوا
نارا واشتوا لحناء ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهبّت الرياح
فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصويخ إلى النجاشي فاخبروه فأسف عند ذلك غضبه
للبيعة فبعث أبرهة لهدم السكعبة وكان يملكه يومئذ أبو مسعود الثقفي ، وكان

مكفوف البصر يصيف بالظائف ويشتى بمكة ، وكان رجلا نبيها عليلا ، وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود ؛ هذا يوم لا نستغنى فيه عن رأيك فما رأيك ؟ فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الإبل فاجعلها هدية لله تعالى وقلدها زملا واثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيفضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ؛ إن لهذا البيت ربا سيمنعه ، فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاء واطلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزورا .

ثم قال ابو مسعود لعبد المطلب انظر إلى بحر اليمن هل ترى شيئا ؟ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤوسنا فقال له هل تعرفها ؟ فقال عبد المطلب والله ما اعرفها ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية ، وإنما تطير بارضنا غير مؤنسة قال ما قدرها ؟ قال امثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الحذف قد أقبلت كالليل المظلم ، فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركبت فوق رؤوسهم فلما توافقت الرجال كلها بنحيا لهم اهلت الطير فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم لأنها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وابو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا فلم يسمعا حسا فقال لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر الفيل فإذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة احدهم فيفجرها ويقطع فى دماغه ويحرق الفيل والدابة ويفيب الحجر فى الارض من شدة وقعه .

ثم إن عبد المطلب أخذ قاسا وحفر حتى اعرق فى الارض فملاها من الذهب الأحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملاها ثم قال لا بى مسعود هات خاتمك فاختر فإن شئت اخذت حفرتى وإن شئت اخذت حفرتك وإن شئت فهما لك معا فقال له ابو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب لانى جمعت اجود المتاع فى حفرتى فهو لك .

ثم جلس كل واحد منهما على حفرة ونادى عبد المطلب بذلك على قرينه
وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال إلى أن ماتا
وقال الواقدي بإسناده : غزا النجاشي إرياط قى أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها
فأكره الملوك واستنزل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم
أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل إرياط وغلب على اليمن فرأى الناس
يتجهزون أيام الموسم للحج ، فسأل أين تذهب الناس ؟ فقيل يحجون بيت الله بمكة
قال فما هو ؟ قالوا من حبر ، قال فما كسوته ؟ قالوا ما يأتي من ههنا من الوسائل
فقال والمسيح لابنين خيراً منه فبنى لهم بيتاً من الرخام الأبيض والأسود والأحمر
والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبواباً عليها صفائح
الذهب ، وكان يرقده بالمنديل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر ، وأمر
الناس بحججه فحججه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبدون
ويتنكسون فامل نفيل الخشمي حتى كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرك فجاءه
بعذر فملطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً ،
وقال إنما فعلت العرب ذلك غيظاً لأجل بيتهم ثم إنه قال لانهضه حجراً حجراً ،
ثم إنه كتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيلة محمود وكان فيله
لم ير مثله في الأرض عظماً وجسماً وقوه فبعثه إليه فغزا البيت كما ذكرنا إلى أن
قال أقبلت الطير من البحر أباييل مع كل طير ثلاثة أحجار حبران في رجليه
وحبر في منقاره فقفزت الحجارة عليهم لا تصيب شيئاً إلا هشمته وبعث الله
سيلاً أتى عليهم فذهب بهم إلى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هرباً فجعل
أبرهة يسقط عضواً عضواً حتى مات وأما محمود النجاشي فربض ولم يشجع على
الحرم فنجاً ، وأما الفيلة الآخر فتشجعت فخصبت وهلك : وهو أول وقت
رؤى عليه الجدرى والحصبة ، وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

إن آيات رينا بيغات ما يمارى بين إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى يحبوا كأنه معقور ظل

حواله من رجال كندة فتيان مصاليه في الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراعا كلهم عظم ساقه مكسور

وقال السكبي : لما أهلكهم الله بالحجارة لم يقلت منهم إلا أبرهة الأشرم بن
مكسوم فسار طائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم
فما استنم كلامه حتى رماه طائر فسقط ميتاً فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه

وقال الواقدي : كان أبرهة جده النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وآمن به
واختلفوا في تاريخ عام الفيل ، فقال مقاتل : كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ
بأربعين سنة ، وقال عبيد بن عمير السكبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة ،
وقال آخرون كانت قصة الفيل قبل العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ ، وعلى هذا
أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال : سمعت
عبد العزيز بن أبي ثابت الزبير ، حدثنا ابن موسى عن أبي الجوزاء قال : سمعت
الملك بن مروان يقول لفضيائ بن أسيم الأسدي يا غياث أنت أكبر أم رسول الله
ﷺ فقال إن رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه .

ولد رسول الله ﷺ عام الفيل . ووقعت بن أمي على روث الفيل .

ويدل عليه أيضاً ما روى أن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت الفيل
موسائسه بمكة أعمىين مقعدين يستطعمان .

فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشاً وقالوا : هم أهل الله ،
ولأن الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم ، والله عز وجل أعلم وأحكم ، وحسبنا
الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

(تم الكتاب)

فهرس قصص الأنبياء (المسمى عرائس المجالس)

صحيفة

- ٢ خطبة الكتاب ، باب في ذكر بعض وجوه الحكمة ، وتقصيصه تعالى
أخبار الماضين على سيد المرسلين
- ٤ الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها
- ٥ » الثاني في حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها
- ٦ » الثالث في ذكر الأيام التي خلق الله فيها الأرض
- ٧ » الرابع في ذكر أسمائها وألقابها
- ٨ » الخامس في ذكر ما زين الله به الأرض
- ٩ » السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها
- ١٠ » السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن
- ١١ مجلس في ذكر خلق السموات والأرض وما يتصل به ، وفيه سبعة أبواب
الباب الأول في بدء خلق السموات ، الثاني في جواهرها وأجناسها
- ١٢ » الثالث في هيئتها وحدودها ، الرابع في أسمائها وألقابها
- ١٥ » الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها
- » السادس في ذكر ما زين الله به السموات
- ١٨ » السابع في ذكر ما لها وآخر حالها
- ٢٣ مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
الباب الأول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام
- ٢٤ » الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
- ٢٦ » الثالث في صفة نفخ الروح فيه
- ٢٨ » الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
- ٢٩ » الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه السلام وما كان منه في ذلك
- ٣٤ » السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الأرض وما كان منه

- ٤١ الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله في الأرض وحاله فيها بعد اللعنة
- ٤٢ » الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراءى له إبليس فرآه عياناً وكلمه شفاهاً
- ٤٣ » الباب التاسع في قصة قاييل وهابيل
- ٤٩ » العاشر في وفاة آدم عليه السلام
- ٥١ » في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام
- بجاء في ذكر النبي إدريس عليه السلام ٥٣ قصة هاروت وماروت
- ٥٨ » » قصة نوح عليه السلام ٦٤ ذكر خصائص نوح عليه السلام
- ٦٦ » » هود » » ٧٢ مجلس في قصة صالح » »
- ٧٩ » » إبراهيم عليه السلام والنمرود وهو يشتمل على أبواب
- الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام
- ٨٦ » الثاني في خروج إبراهيم من السرب ورجوعه إلى قومه الخ
- ٨٧ » الثالث في ذكر مولد إسماعيل وإسحق ونزول إسماعيل وأمه هاجر إلى الحرم وقصة بئر زمزم ٩٣ الرابع القول في بقية قصة بئر زمزم
- ٩٥ » الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا
- ١٠١ » السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله إبراهيم بذبح ولده
- ١٠٢ » قصة الذبح وصفته وفعل سيدنا إبراهيم بإبنه
- ١٠٥ » السابع في هلاك النمرود بن كنعان وقصة بناء الصرح
- ١٠٧ » الثامن في وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده
- ١٠٨ » التاسع في خصائص إبراهيم
- ١١١ مجلس في ذكر بعض أخبار إسماعيل وإسحق ابني إبراهيم عليهم السلام
- ١١٤ » في قصة لوط عليه السلام
- ١٢٠ » في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام
- ١٢٢ القول في القصة ١٥٩ مجلس في قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام
- ١٢٣ مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد
- ١٢٤ » » » قصة أصحاب الرس ١٦٨ مجلس في قصة نبي الله أيوب

صحيحة

- ١٧٦ مجلس في قصة ذى الكفل ١٧٧ مجلس في قصة شعيب النبي
- ١٨٠ » » ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران وهو يشتمل على أبواب
الباب الاول في ذكر نبويه عليه السلام ، الباب الثانى في ذكر مولده
- ١٨٤ » الثالث في ذكر حليمة موسى وهرون عليهما السلام
- » الرابع في قصة قتل القبطى وخروجه من مصر ووروده مدين
- ١٨٦ » الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته إياه
- ١٨٨ » السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها
- ١٨٩ » السابع في صفة المآرب التى كانت له فيها
- ١٩١ » الثامن في ذكر خروج موسى من مدين وتكليم الله إياه فى الطريق
وإرساله إلى فرعون واستعاقبه بأخيه هرون وكيفية ذهابهما إلى فرعون
- ١٩٥ » التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
- ١٩٦ » العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة
- ١٩٩ » الحادى عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده
- » الثانى عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
- ٢٠٠ » الثالث عشر في بناء الصرح
- ٢٠٢ » الرابع عشر في ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه الخ
- ٢٠٣ باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيةيتها
- ٢٠٣ فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة فى الجراد
- ٢٠٩ الباب الخامس عشر فى قصة إسراء موسى ببني إسرائيل وفلق البحر لهم
- ٢١٣ » السادس عشر ذهاب موسى إلى الجبل لميقات ربه وإتياء الله له الألواح
- ٢١٥ فصل فى نسخة العشر السكيات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه الخ
- ٢١٩ باب فى قصة بنى إسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذ لهم العجل
- ٢٢٣ » » » قارون حين عصى ربه الخ
- ٢٢٨ » » » موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من المعجائب

- ٢٣١ فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله
- ٢٣٢ » » بدء أمر الخضر عليه السلام
- ٢٤٣ باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني إسرائيل وقصة البقرة
- ٢٤٧ » » » بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النافق
التي كانت تأكل القربان الخ
- ٢٤٩ » » » مسيرة بني إسرائيل إلى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب
الجبارين الخ.. فصل في فضل الشام وأهله
- ٢٥٠ » » » قصة بلعام بن باعوراء
- ٢٥٤ » » » النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومه الخ
- ٢٥٥ فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله
- ٢٥٨ باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في التيه الخ
- ٢٦١ » » فتح أريحا ونزول بني إسرائيل الشام . قصة وفاته هرون عليه السلام
- ٢٦٢ ذكر وفاة موسى عليه السلام ٢٦٦ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين
قاموا بأمور بني إسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
- ٢٦٦ ذكر حزقيل عليه السلام ٢٦٨ باب في قصة إيلياس عليه السلام
- ٢٦٨ قصة اليسع عليه السلام ٢٧١ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
- ٢٨٣ مجلس في قصة عيل وشمويل وهي تشتمل على أبواب كثيرة الخ
- فصل في سياق الآية ومقدمة القصة ٢٨٤ القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته
- ٢٨٥ ذكر قصة طالوت وإتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
- ٢٧٨ قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه
- ٢٩١ باب في قصة شمويل حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت مع
بني إسرائيل وصفة نهر الابلأ ٢٩٢ باب في ذكر أمر داود وخبر طالوت وقتله
- ٢٩٥ ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه إلى داود عليه السلام بعد قتل جالوت
- ٢٩٩ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها
- باب في ذكر نسبه - ياب في ذكر صفته وحليته
- » » » ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل الخ

- ٣٠٤ باب في قصة داود حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك
- ٣١٢ » » ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما
- ٣١٣ » » قصة أصحاب السبت ٣١٥ باب في قصة داود وسليمان في الحرب
- ٣١٦ » » استخلاف داود لابنه سليمان وذكر بدء الخاتم
- ٣١٨ » » ذكر وفاة داود عليه السلام ٣١٩ مجلس في قصة سليمان وما يتعلق به
- ٣٢٠ » » صفة حليته باب فيما خص الله به نبيه عليه السلام حين ملكه من
أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك ٣٣٣ حديث القبة
- ٣٢٥ قصة مدينة سليمان التي كان يسافر بها في الهواء ، صفة كرسى سليمان
- ٣٣٦ صفة بنيانه وبتدأ أمره ٣٤٣ قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به
- ٣٤٤ صفة القصر الذي بذته بلقيس ٣٤٥ صفة عرشها
- ٣٥٤ باب في ذكر غزوة سليمان أبا زوجته والجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ
خاتمته من يده وسبب زوال ملكه
- ٣٥٩ » » وفاة سليمان ٣٦٢ مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به
- ٣٦٣ قصة شعيب ٣٦٩ قصة أرميا
- ٣٧٦ قصة دانيال ٣٧٩ خبر وفاة دانيال
- ٣٨٢ باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
- ٣٨٥ » » تمام قصة عزيز وحاله بعد ما رجع إلى قومه
- ٣٨٦ مجلس في ذكر غزوة بختنصر للعرب وقصة يوحنا وخراب حضور
- ٣٧٨ » » لقمان الحكيم وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
- ٣٨٩ » » ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن
- ٣٩٣ » » قصة بلوقيا ٤٠٠ مجلس في ذكر قصة ذي القرنين
- باب في نسبه ولقبه ٤٠١ باب في قصة بدء أمره وسبب استكمال ملكه
- ٤٠٦ » » ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا
ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق
- ٤٠٩ » » صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به

صحيفة

- ٤١١ باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة.
- ٤١٦ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى ونسب زكريا
- ٤١٨ باب في مولد مريم ونخبه تحريرها ٤٢٠ مولد يحيى بن زكريا
- ٤٢٢ » » صفته وحليته وفصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده
- ٤٢٥ » » مقتله عليه السلام ٤٢٧ ذكر مقتل زكريا
- ٤٢٨ مجلس في مولد عيسى وفي حمل مريم وما يتصل به
- ٤٣١ باب في ذكر ميلاده
- ٤٣٣ رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها إياه إلى قومها من بيت لحم
- ٤٣٥ باب في ذكر خروج مريم وعيسى إلى مصر
- ٤٣٦ » » صفة عيسى وحليته
- » » ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى في صباه إلى أن نبى
- ٤٣٩ » » رجوع مريم وعيسى إلى بلادهما بعد موت هردوس
- ٤٤٠ » » قصة الحوارين
- ٤٤١ ذكر خصائص عيسى والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مجيئه
- إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه وذكر حديث جامع في هذا الباب
- ٤٥٣ ذكر نزول عيسى من السماء ٤٥٥ ذكر وفاة مريم ابنة عمران
- ٤٥٦ » » » » في المرة الثانية في آخر الزمان
- باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى إلى أنطاكية ، وذلك في أيام
- ملوك الطوائف
- ٤٥٩ قصة يونس بن متى ٤٦٤ باب في قصة أصحاب الكهف
- ٤٨٥ مجلس في ذكر جرجيس ٤٩٣ باب في قصة شمسون النبي
- ٤٩٤ باب قصة أصحاب الأخدود
- ٤٩٨ باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لسيدنا محمد ﷺ

Bl-0111
2000-01-01

Bl

Bl-0111

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ISLAM AND CHRISTIANITY



Bibliotheca Alexandrina



0207119